عِشْرَةُ النِّسَاءِ

وتربيةُ الأولادِ والخُدَّامِ

للإمام محمد بن عبد الرءوف المناوي

كتاب ما اشتدت إليه حاجة الخاص والعام في:

- آداب الأكل والشرب والجماع.
- آداب الملبس والمنام ودخول الحمام.
- آداب عشرة النساء.
- آداب تربية الأولاد والخدام.

حققه وهذبه وعلق عليه

محمد إبراهيم الدسوقي

مكتبة ابن سينا

جلال عبده

عِشْرَة النِّسَاء

وتربية الأولاد والخُدام

للإمام محمد بن عبد الرؤوف المناوي

كتاب ما اشتدت إليه حاجة الخاص والعام في:

- آداب الأكل والشرب والجماع.
- آداب الملبس والمنام ودخول الحمام.
- آداب عشرة النساء.
- آداب تربية الأولاد والخدام.

دراسة وتحقيق

محمد إبراهيم البسوقي

مكتبة ابن سينا
للنشر والتوزيع والتصدير
٧٦ شارع محمد فريد - جامع الفتح - الزهراء
مصر الجديدة - القاهرة - ت ٢٤٧٩٨٦٢ فاكس ٢٤٨٠٤٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

من يشاهد وسائل الإعلام ، أو يستمع إليها ، أو يقلب صفحاتها لا تقع عينه إلا على قبيح .. ولا يسمع إلا ما يصم الآذان ، ولا يقرأ إلا ما يؤذى المشاعر ويهز الوجدان !

حوادث عنيفة يرتكبها الخدم !

وحوادث خطيرة يرتكبها الأبناء والبنات !

وحوادث عجيبة يرتكبها الأزواج والزوجات !

ماذا حدث ؟

وكيف تغير مجتمعنا بين غمضة عين وانتباهتها ؟!

لقد ظهر على السطح - وكان لابد أن يظهر يوماً مَّا - إفراز تلك المجتمعات التى اندفعت بجنون إلى تقليد الغرب فى أسوأ ما لديه وأقبحه !

وكان ذلك هو الخطأ الذى وقعنا فيه حيث تخلينا عن قيمنا ومبادئنا السامية .. بل الخطيئة الكبرى !

لقد أصبحت للأمهات اهتمامات واهتمامات ! وأصبح الآباء يهيمون فى واد آخر غير تربية الأبناء والبنات ..

وتطّلع الخدم إلى القيام بدور الآباء والأمهات .. وأصبحت لهم طموحات وطموحات !

وشغل الجميع عن واجبهم .. عن رسالتهم المقدسة .. بهرتهم الدنيا .. جذبتهم الأضواء .. وتساقطت الفتيات .. وانحرف الأزواج والزوجات .. ضعفوا .. استكانوا .. خضعوا لشهواتهم ولانوا .. غرهم ذلك البريق .. بهرهم هذا الحشد الهائل من اللهو والفساد والانحراف عن الجادة والصواب !!

وأفاق الجميع على صيحات رنانة تطالب بإعادة بناء الإنسان الذى انهار

أمام التيارات الفاسدة بعد أن تخلى عن مبادئه وقيمه ..

وكيف ينهار البناء وبين أيدينا كنز من القيم لا ندرك قيمته ؟!

وفى تراثنا ذلك المفتاح الذهبى الذى يفتح جميع الأبواب !

ولا حل ولا نهضة إلا بالعودة إلى آدابنا الإسلامية ، ورعاية الحقوق ، والتمسك بالمبادىء والقيم .

فمتى يأتى اليوم الذى نعرف فيه قيمة تراثنا ، وعظمة حضارتنا ، حتى نخلع عنها رداء القهر والفشل والتخلف .

متى نعود إلى طهارة النفس وتزكيتها وتحليها بالأخلاق الفاضلة والمزايا الشريفة الكاملة ؟

إن هذا الكتاب الجامع للآداب مع رعاية الاختصار ، وتجنب الإطناب ينقلنا من آداب الأكل والشرب إلى آداب الجماع .. والملبس والمنام ، ودخول الحمام ، وعشرة النساء ، وتربية الأولاد والخدم ..

ولا يسعنى إلا أن أقدمه لأبناء أمتى إسهاما منى فى « **معركة إعادة البناء** » . بعد أن حققت مخطوطته وعلقت عليها ، وها هو ذا بين يديك يرى النور لأول مرة .

فيه تبصرة لمن تبصر !

وتذكرة لمن أراد أن يتذكر !

والله العاصم والهادى إلى سواء السبيل .

محمد ابراهيم الدسوقى

القاهرة فى شعبان/ ١٤١٢ هـ

فبراير ١٩٩٢ م

مـع المـؤلـف

من حق من أُلِّف لهم هذا الكتاب أن يعرفوا شيئا عن مؤلِّفه ، وما كان له فى عصره من مكانة علمية ، وما خلّفه من آثار كان لها أبلغ الأثر فى حياتنا .

إن معايشة العلماء متعة ، وقراءة تاريخ حياتهم إضافة جديدة نضيفها لحياتنا ، بل وعمر جديد نضيفه إلى عمرنا !!

تُرى ماذا قال : « الزِّركلى » فى « أعلامه » عن شيخنا « المُناوى » صاحب ما يزيد على ثمانين مؤلَّفا ؟!

المُنَاوى (٩٥٢ - ١٠٣١ هـ = ١٥٤٥ - ١٦٢٢ م)[1] . هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ، زين الدين : من كبار العلماء بالدين والفنون . انزوى للبحث والتصنيف ، وكان قليل الطعام كثير السهر ، فمرض وضعفت أطرافه ، فجعل ولده تاج الدين محمد يستملي منه تآليفه . له نحو ثمانين مصنفاً ، منها الكبير والصغير والتام والناقص . عاش في القاهرة ، وتوفى بها . من كتبه «كنوز الحقائق - ط» فى الحديث ، و«التيسير - ط» فى شرح الجامع الصغير ، مجلدان ، اختصره من شرحه الكبير «فيض القدير - ط» و«شرح الشمائل للترمذي - ط » و« الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية - ط » في جزأين و« شرح قصيدة النفس ، العينية لابن سينا - ط » و« الجواهر المضية في الآداب السلطانية - خ » و« سيرة عمر بن عبد العزيز - خ » و« تيسير الوقوف على غوامض أحكام الوقوف - خ » و« غاية الإرشاد إلى معرفة أحكام الحيوان والنبات والجماد - خ » و« اليواقيت والدرر - خ » في الحديث ، و« الفتوحات السبحانية - خ » في شرح ألفية العراقي ، في السيرة النبوية ، و« الصفوة - خ » في مناقب آل البيت ، و« الطبقات الصغرى - خ » ويسمى إرغام أولياء الشيطان ، و« شرح القاموس

---

(١) وفى البدر الطالع : ١٠٢٩ هـ بدلاً من ١٠٣١ هـ .

المحيط – خ » الأول منه ، و« آداب الأكل والشرب – خ » – وهو الذى بين يديك – و« الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود – ط » و« التوقيف على مهمات التعاريف – خ » ذيل لتعريفات الجرجاني ، و« بغية المحتاج في معرفة أصول الطب والعلاج » و« تاريخ الخلفاء » و« عماد البلاغة » في الأمثال ، وكتاب في « التشريح والروح وما به صلاح الإنسان وفساده » و« إحكام الأساس » اختصر به أساس البلاغة ورتبه كالقاموس .

مصادر ترجمته :

(١) خلاصة الأثر ٢ : ٤١٢ – ٤١٦ .
(٢) فهرس الفهارس ٢ : ٢ .
(٣) آداب اللغة : ٣ : ٣٣٢ .
(٤) الفهرس التمهيدى : ٤٢١ .
(٥) خطط مبارك ١٦/٥٠ .
(٦) الكتبخانة : ١ : ٢٩٠ .
(٧) الأزهرية : ١ : ٤٩٩ .
(٨) معجم المطبوعات : ١٧٩٨ .
(٩) الخزانة التيمورية ٣ : ٢٩٠ .
(١٠) محمد إبراهيم العفيفى فى مجلة الرسالة ٤ : ٦٤ .
(١١) الأعلام : ٦/٢٠٤ .

وقفة مع الاسم :

اسم المؤلف على المخطوطة : « عبد الرءوف المناوى الحدادى » ويقول الزركلى : من المؤرخين من يسميه : « عبد الرءوف بن على » وسماه المحبى : عبد الرءوف بن تاج العارفين بن على .

وهو فى مقدمة كتابه «**الكواكب الدرية**» يقول : « وأنا محمد المدعو عبد الرءوف » وفى هذا الكتاب يقول أيضاً فى المقدمة : « محمد المدعو عبد الرءوف المناوى » .

● هـذا الكتـاب ●

أشار الزركلى إلى اسمه فسماه : « **آداب الأكل والشرب** » .

أما المؤلف فقد أشار إليه فى المقدمة بقوله : هذا .. « ما اشتدت إليه حاجة الخاص والعام إلى معرفة آداب الأكل والشرب والجماع ، والملبس والمنام ، ودخول الحمام وعشرة النساء وآداب تربية الأولاد والخدام » .

ولا تحمل الصفحة الأولى من المخطوطة إلا تلك الفقرة التى جاءت فى المقدمة .

ومن هنا كان علينا أن نختار العنوان الذى يوحى للقارىء بما تضمنه هذا الكتاب على ضوء ما جاء فى مقدمته !

ومن يتصفح الكتاب يجده قد جمع الآداب فى عشرة أبواب .

جاء الأول منها كمدخل ومقدمة .. أما العاشر فقد جاء – كما أشار المؤلف – على غاية من الإيجاز لكنه جاء مستوعبا لكل الآداب ليكون جمعا لجوامعها .

ولا يفوتنى أن أسجل أنه حاول أن يجمع كل الآداب الإسلامية على ضوء ما جاء فى إحياء علوم الدين للغزالى وغيره ، ناقلا تارة ، وملخصا أخرى ، ومؤلفا حينا .

و لم يمنعه حرصهُ على الافادة من نقل رسالة كاملة فى الباه للبدر القوصونى اكتفينا منها بما فيه الفائدة .

وكم نحن فى أمس الحاجة إلى كتاب يجمع كل الآداب لتصبح آدابنا وأخلاقنا دليلا علينا ... على إسلامنا الذى ننتمى إليه ، وينبغى أن نتخلق بأخلاقه !

لقد خسر المسلمون كثيرا بتخليهم عن أخلاق الإسلام وآدابه .. فهل آن الأوان للعودة ؟!

هأنذا قد عكفت على مخطوطة الكتاب وقمت بتحقيقها ، واستكمالاً للفائدة علقت عليها بما يزيدها بيانا ونفعا ووضوحا وفهما .

ولقد عزوت الآيات إلى سورها وموقعها منها ، وخرجت الأحاديث الشريفة ، وترجمت للمؤلف ترجمة مستوفاة ، وقدمت دراسة بين يدى الكتاب ، وها هوذا يحتل مكانه فى المكتبة العربية ليملأ فراغا كنا نفتقده .

ولكم أرجو أن ينفع الله به الإسلام والمسلمين !

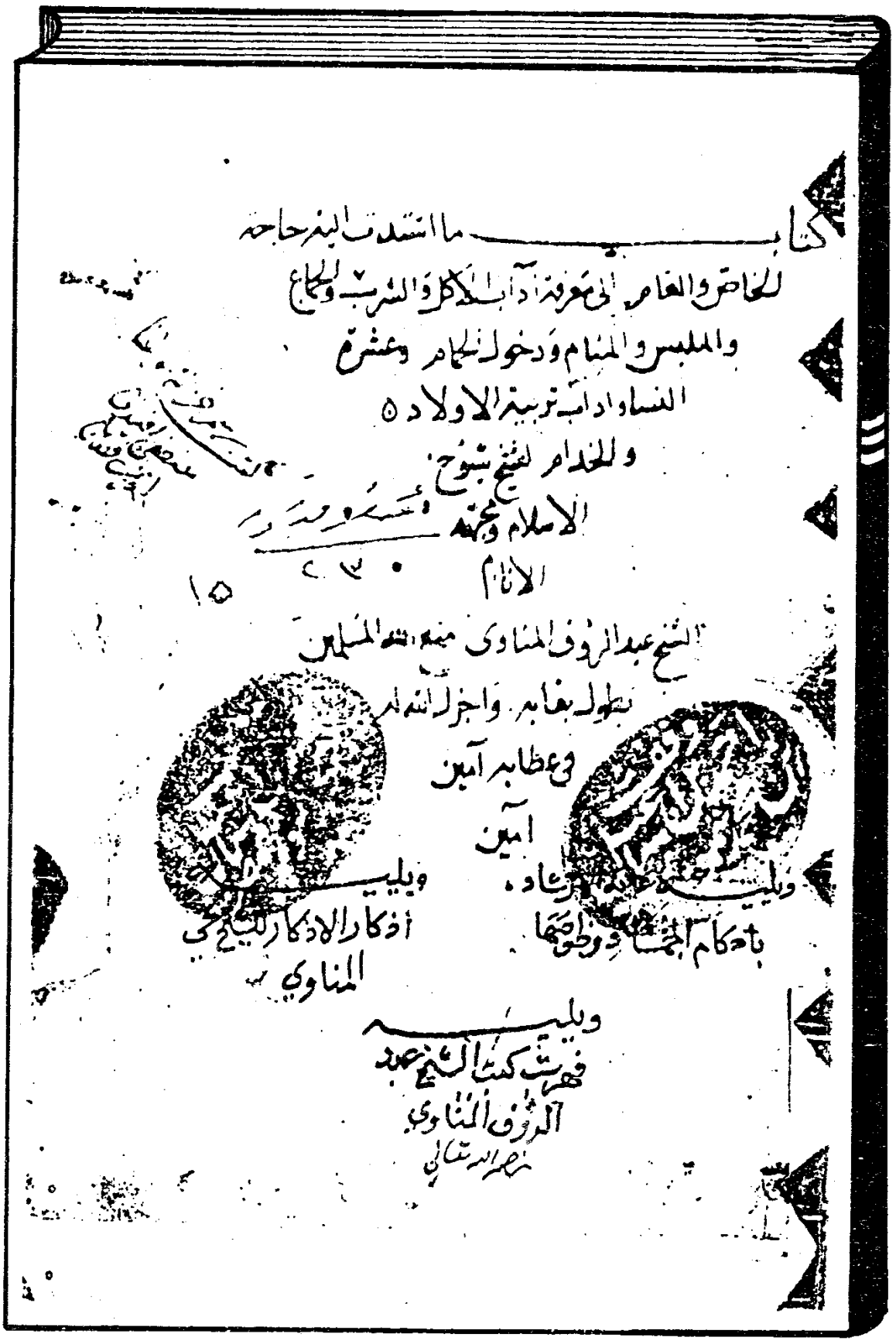
كتاب ما استدت اليه حاجة
الخاص والعام في معرفة آداب الاكل والشرب والجماع
والملبس والمنام ودخول الحمام وعشرة
النساء وادب تربية الاولاد ٥
والخدام لشيخ شيوخ
الاسلام ومجتهد
الانام
الشيخ عبد الرؤف المناوي منع الله المسلمين
بطول بقائه واجزل الله لنا
وعظابه آمين
آمين
ويليه
باذكار الجماع ووظائفها
ويليه
اذكار الاذكار للشيخ
المناوي
ويليه
فهرست كتب الشيخ عبد
الرؤف المناوي
رضي الله تعالى

الصفحة الأولى من المخطوط

اليقين ما كان بالمشاهدة وهي اليقين بها والشريعة التزام العبودية
والحقيقة مشاهدة الربوبية كما تراه والطريقة الوجه من العبودية
الى المشاهدة وكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول وغير
كامل وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول وزندقة والشريعة
ايضا حقيقة من حيث انها بامر الله والطريقة والحقيقة شريعة من
حيث انها بامره والتوحيد اعتقاد الله بالوحدانية والوحدة طرح
الكائنات بالنسبة الى ذات الله وعظمته وقدرته والحلول والاتحاد
باطلان والتلوين والتمكين والتجريد والتفريد والذوق والشرب
والعزلة والخلوة والغيبة والحضور والصحو والسكر والمحو والاثبات
والنفس والوقت والحال والقال والوجد والجمع وجمع الجمع والتفرقة
وتفرقة التفرقة والسر وسر السر والمحاضرة والمشاهدة
والمكاشفة والخاطر والتجلي ونحو اللوامع الى غير ذلك معروف
عن الراسخين مما يلايم الطبع والله الموفق والهادي
للصواب تم هذا الكتاب بحمد الله وعونه
وحسن توفيقه في سابع عشري
شهر صفر الخير سنة ١٠٢٥
وحسبنا الله ونعم الوكيل
وصلى الله على
من لا نبي بعده
والسلام

الصفحة الأخيرة للمخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعالى وكفى ، والصلاة والسلام على أشرف الرسل ؛ المصطفى .

وبعد ... فيقول العبد الضعيف الملتجىء إلى كرم اللطيف محمد المدعو عبد الرءوف المناوى الحدادى – كفاه الله شر المساوىء والمعادى – هذا « **ما اشتدت إليه حاجة الخاص والعام إلى معرفة آداب الأكل والشرب والجماع والملبس والمنام ، ودخول الحمام وعشرة النساء وآداب تربية الأولاد والخدام** » ، جمعته تبصرة لمن تبصر ، وتذكرة لمن أراد أن يذَّكر مع رعاية الاختصار وتجنب الإطناب .

* **المقصد الأول** : فى آداب الأكل الشرعية والطبية وفيه بابان :

الباب الأول : فى آداب الأكل الشرعية وفيه فصول : **الأول** : فيما لابد للأكل من رعايته .

الثانى : فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة فى الأكل .

الثالث : فى آداب تقديم الطعام إلى الإخوان .

الرابع : فى آداب الضيافة .

الخامس : فى آداب ومناهَى منثورة .

الباب الثانى : فى آداب الأكل الطبية .

* **المقصد الثانى** : فى آداب الشرب وفيه بابان : **الأول** : فى آدابه الشرعية .

الثانى : فى آدابه الطبية .

* **المقصد الثالث** : فى آداب اللباس .

* **المقصد الرابع** : فى آداب الجماع وفيه بابان :

الأول : فى آدابه الشرعية .

الثانى : فى آدابه الطبية .

* **المقصد الخامس** : فى آداب النوم وفيه بابان :

الأول : فى آدابه الشرعية .

الثانى : فى آدابه الطبية .

* **المقصد السادس** : فى آداب الحمام وفيه بابان :

الأول : فى آدابه الشرعية .

الثانى : فى آدابه الطبية .

* **المقصد السابع** : فى آداب معاشرة الزوجة ومتعلقات ذلك .

* **المقصد الثامن** : فى آداب صحبة الإخوان .

* **المقصد التاسع** : فى آداب تربية الأولاد وفيه بابان :

الأول : فى آدابه الشرعية .

الثانى : فى آدابه الطبية .

* **المقصد العاشر** : فى جمع جوامع الآداب وإن كان فيه تكرار مما تقدم ؛ لكن هذا على غاية الإيجاز وذلك على الاستيعاب .

الخاتمة : فى طهارة النفس وتزكيتها وتحليها بالأخلاق الفاضلة والمزايا الشريفة الكاملة . ومن مُمِدّ الكونِ أستمد العون والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن يمدنى بفضله العميم وهو حسبى ونعم الوكيل والولى النصير والكفيل .

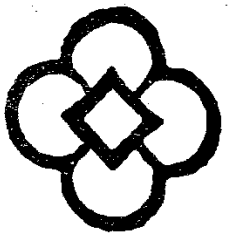

مقدمة المصنف

مدخل :

اعلم أن تناول الطعام أصل كبير يحتاج إلى علوم كثيرة لاشتماله على المصالح الدينية والدنيوية ، وتعلق أثره بالقلب والقالب وبه قوام البدن فى حياته بإجراء سنة الله تعالى فى خلقه بذلك .

والقالب مَرْكب القلب وهما عمارة الدنيا والآخرة .

وقد ورد أن أرض الجنة نباتها التسبيح والتقديس[1].

والقالب بمفرده : على طبيعة الحيوانات يستعان به على عمارة الدنيا ، والروح ، والقلب على طبيعة الملائكة ، يستعان به على طبيعة الآخرة ، وباجتماعهما صَلحَا لعمارة الدارين ، وقد ركب الله الآدمي بلطيف حكمته من أخص جواهر الجسمانيات ، والروحانيات ، وجعله خلاصة الأرضين والسماوات ، وجعل عالم الشهادة ما فيه من حيوان ، ونبات ، قِوَاماً لبدن الإنسان .

قال تعالى : ﴿ **خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً** ﴾[2] فكوَّن الطبائع وهى الحرارة والبرودة وذو الرطوبة واليبوسة وكوَّن بواسطتها النبات وجعله قواماً للحيوانات وجعل الحيوانات مسخرة للإنسان يستعين بها على أمد[3] معاشه ومعاده لقوام بدنه الذى هو مركب الروح .

والطعام يصل إلى المعدة وفيها طبائع أربعة ، **وفى الطعام** طبائع أربعة :

فإذا أراد الله تعالى إعتدال مزاج البدن أخذ كل طبع من طبائع المعدة ضده من الطعام فتأخذ الحرارة للبرودة وذو الرطوبة لليبوسة فيعتدل المزاج ويوهن الاعوجاج وإذا

---

(١) ذكره المنذرى بنحوه فى الترغيب والترهيب عن ابن مسعود بلفظ « أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء ، وأنها قيعان (أمكنة مستوية) وأن غراسها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » وعزاه للترمذى والطبرانى فى الصغير والأوسط ، انظر الترغيب والترهيب (٢/٤٢٤ - ٤٢٥) .

(٢) البقرة : ٢٩ .

(٣) أمِد معاشه : الأمد الغاية والنهاية . والمراد فى حياته .

أراد إفناء القالب وتخريب بيته أخذت كل طبيعة جنسها من المأكول وتميل الطبائع ويضطرب المزاج ويسقم القلب[1] ذلك تقدير العزيز العليم .

قال وهب[2]: « أوجدت فى النواة صفة آدم ، ركبت جسده من أربعة أشياء من رطب ويابس وبارد وساخن وذلك أنى خلقته من تراب وهو يابس ورطوبته من الماء وحرارته من قبل النفس وبرودته من قبل الروح ، وخلقت فى الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق هن ملاك الجسم بإذنى وهن قوامه فلا يقوم الجسم إلا بهن ولا تقوم منهن واحدة إلا بالأخرى وهن : المِرَّة السوداء ، والمِرَّة الصفراء ، والدم والبلغم ثم أسكنت بعض هذا الخلق فى بعض فجعلت مسكن اليبوسة فى المِرَّة السوداء [3].

والحرارة فى المِرَّة الصفراء .

والرطوبة فى الدم .

والبرودة فى البلغم .

فأيما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع التى جعلتها ملاكَه وقوامه فكانت كل واحدة منهن ربعا لا يزيد ولا ينقص كملت صحته واعتدلت نيته .

---

(١) لا يخفى على القارىء الكريم أن هذه تفسيرات كيفية ؛ لا تخضع لمعايير موضوعية حتى نستطيع الحكم على مدى صحتها ؛ وأن هذه التفسيرات قد أحل العلم محلها تفسيرات كمية قائمة على التجربة العلمية .

(٢) وهب بن منبه (٣٤ - ١١٤ هـ = ٦٥٤ - ٧٣٢ م) . وهب بن منبه الأبناوى الصنعانى الذمارى ، أبو عبد الله : مؤرخ ، كثير الإخبار عن الكتب القديمة ، عالم بأساطير الأولين ولاسيما الإسرائيلية يعد فى التابعين . أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن . وأمه من حمير . ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها . وكان يقول : سمعت اثنين وتسعين كتاباً كلها أنزلت من السماء ، اثنان وسبعون منها فى الكنائس ، وعشرون فى أيدى الناس لا يعلمها إلا قليل ... من كتبه « ذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم » ، « قصص الأنبياء » ، انظر الأعلام للزركلى (١٢٦/٨) وكتاب الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير (ص/١٠٥) .

(٣) المرة : خلط من أخلاط البدن ، وكان القدماء يعتقدون أن فى الجسم عناصر أربعة . وهى : الدموى ، والصفراوى . والسوداوى ، والبلغمى . أما المحدثون من علماء النفس فيوافقون القدماء على أن الأمزجة ترجع إلى مؤثرات جثمانية ، ولكنهم يخالفون فى عدد الأمزجة وأسمائها إذ يعتدون بالإفرازات التى تفرزها الغدد الصم كالغدة الدرقية ، والغدة الكلوية ، ويجعلونها المؤثرات الأساسية فى تكوين مزاج

فإن زادت منهن واحدة عليهن هدمتهن ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيتها بقدر قلتها حتى تضعف من طاقتهن وتعجز عن مقدارهن » .

فأهم الأمور فى الطعام أن يكون حلالاً ، وكل مَا لَا يذمه الشرع حَلَالٌ رخصةً ورحمةً من الله لعباده ولولا رخصةُ الشرع لعظم الأمر واشتد الخطب وأتعب طلب الحلال .

وقد أمر – تعالى – بأكل الطيب وهو الحلال وقدم النهى عن الأكل بالباطل على العمل تفخيماً لأمر الحرام وتعظيماً لبركة الحلال فقال تعالى : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ [1] الآية .

فالأصل فى الطعام كونه طيباً وهو من الفرائض وأصول الدين .

قال المصطفى ﷺ : « **طلب كسب الحلال فريضة بعد الفريضة** »[2]. رواه البيهقى والديلمى .

وقال : « **طلب الحلال واجب على كل مسلم** »[3] رواه الديلمى .

وقال : « **طلب الحلال جهاد** »[4] رواه أبو نعيم وغيره .

---

(١) البقرة : ١٨٨ . وفى تفسير هذه الآية يقول الرازى فى التفسير الكبير « إن الأموال إما أن تكون من المعادن أو من النبات ، أو من الحيوانات ، أما المعادن وهى أجزاء الأرض فلا يحرم شىء منه إلا من حيث يضر بالآكل ، وهو ما يجرى مجرى السم ، وأما النبات فلا يحرم منه إلا ما يزيل الحياة والصحة أو العقل ، وأما الحيوانات فتنقسم إلى ما يؤكل وإلى ما لا يؤكل ، وما يحل إنما يحل إذا ذبح ذبحاً شرعياً ثم إذا ذبحت فلا تحل بجميع أجزائها بل يحرم منها الفرث والدم » التفسير الكبير للرازى (١٢٦/٥) .

(٢) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ، وقال : تفرد به عباد بن كثير الرملى وهو ضعيف ، فى كتاب الإجارة ، باب كسب الرجل وعمله بيديه (١٢٨/٦) ، والديلمى فى الفردوس حديث رقم (٣٩١٨) (٤٤١/٢) والعجلونى فى كشف الخفاء حديث رقم (١٦٧١) (٥٩/٢) وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب (٥٤٦/٢) والمقصود بالفريضة الثانية أداء الصلاة المكتوبة .

(٣) أخرجه الديلمى فى الفردوس حديث رقم (٣٩١٤) (٤٤٠/٢) والطبرانى عن أنس فى الأوسط ، وقال الهيثمى : إسناده حسن ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى ، كتاب الزهد ، باب طلب الحلال والبحث عنه (٢٩١/١٠) ، وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب (٥٤٦/٢) ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير حديث رقم (٣٦٢٤) (١١/٤) .

(٤) أخرجه الديلمى فى الفردوس حديث رقم (٣٩١٩) (٤٤٢/٢) وأورده الهندى فى كنز العمال حديث رقم =

أى أنه بمنزلة الجهاد فى الثواب ؛ لأنه جاهد نفسه فى تحدى الحلال مع عزته وترك الحرام مع كثرته وكابد نفسه فى التخلص من الشبهات وذلك هو الجهاد الأكبر ومن أهم الأمور شكر المنعم على النعمة .

روى أبو يعلى وغيره عن عائشة قالت : دخل علىَّ رسول الله فرأى كسرة ملقاة فأخذها ومسحها وأكلها ثم قال : « **أحسنى جوار نعم الله فقلما زالت عن قوم فعادت إليهم** »[1] انتهى . وذلك لأن حسن جوار نعم الله من تعظيمها ، وتعظيمها من شكرها والرمى بها من الاستخفاف بها وذلك من الكفران والكفور ممقوت مسلوب .

ومن ثم قال الحكماء : الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة .

قال الغزالى[2]: فحافظ على إحسان نعمة الجواد وشكر النعم عسى أن يتم نعمته عليك ولا يبتليك بمرارة الفقد والزوال فإن أمر الأمور وأصعبها الإهانة بعد الإكرام والطرد بعد التقريب والفراق بعد الوصال .

حكى أن امرأة نجت[3] صبيا بكسرة فوضعتها فى جحر فابتلى أهل ذلك البلد بالقحط فاضطربت المرأة لشدة الجوع حتى طلبتها فأكلتها فارتباط النعم بشكرها .

وزوالها فى كفرها فالحذر الحذر من احتقار شىء من الطعام لاسيما الخبز .

قال عليه السلام : « **أكرموا الخبز فإن الله أنزله من بركات السماء ، وأخرج له من بركات الأرض** »[4] رواه الحكيم الترمذى وغيره .

= (٩٢٠٥) (٦/٤) وذكره السيوطى فى الجامع الصغير وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير وعزاه للقضاعى ولأبى نعيم حديث رقم (٣٦٢١) (١١/٤) .

(١) أخرجه الترمذى فى نوادر الأصول (ص ٢٣٦) . وأبو يعلى عن أنس أيضا ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى الذى قال : وفيه عثمان بن مطر وهو ضعيف ، فى كتاب البر والصلة ، باب إكرام النعم وتقييدها بالطاعة (١٩٥/٨) .

(٢) الغزالى (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ - ١١١١ م) . هو محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى ، أبو حامد ، حجة الإسلام : فيلسوف ، متصوف ، له نحو مئتى مصنف ، مولده ووفاته فى الطابران (قصبة طوس ، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر ، وعاد إلى بلدته . نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف ، من كتبه « إحياء علوم الدين » و« تهافت الفلاسفة » .. إلخ الأعلام للزركلى (٢٢/٧) .

(٣) نجت صبيا : أزالت برازه .. كما نستنجى نحن بحجر ونحوه .

(٤) أخرجه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول (ص ٢٣٦) وذكره السيوطى فى الجامع الصغير وضعفه الألبانى فى =

وذلك بالنظر إليه بعين الإجلال والتعظيم والاعتراف بأنه من فيض الفضل العميم ؛ إذ به حياة الأشباح وبعموم وجوده حصول الروح والارتياح .

وزعم أن المراد بإكرامه التقنع به وحده لما فيه من الرضى بالموجود من الرزق وعدم التعمق فى التنعم وطلب المزيد يردّه الأمر بالائتدام والنهى عن أكل الخبز وحده غير مأدوم فى عدة أحاديث .

ومن إكرامه ألا يوطأ ولا يمتهن بإلقائه فى قاذورة أو مزبلة أو ينظر إليه بعين الاستقلال أو الاحتقار أو ينتظر به غيره إذا حضر .

ومن أعظم المهمات أيضاً أن ينوى بأكله فاعلاً للطاعة فيثاب عليه ولا يقصد التلذذ به ولا قضاء الشهوة ، وبتلك النية تصير عاداته عبادات ، والفعل الواحد العادى قد يقترن به نيات متعددة فيثاب عليه ثواب مندوبات والعارف يريد حياته نسكا قال تعالى لإبراهيم ﴿ **قُل إن صَلَاتِى ونُسكى ومحياىَ ومماتى لله** ﴾[1] .

وتلك النية تحف بعاداته فور يقظته وحسن مقصده فتتنور العادات وتنال بالعبادات ؛ ولهذا قال المصطفى : « **وفى بُضْعِ أحَدِكُم صَدَقَةٌ** » فقيل له : أيأتى أحَدُنَا شَهوتهُ ولَهُ فِيها أجر ؟ فقال : « **أرأيتم لو وضَعَها فى حَرَامٍ أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها فى حلال** »[2].

= ضعيف الجامع الصغير ، وعزاه للحكيم عن الحجاج بن علاط السلمي ولابن منده عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ، حديث رقم (١٢٢٤) (٣٤٤/١) وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات وقال : هذا من عمل طلحة الحضرى ، وقال أحمد والنسائى : متروك الحديث . وقال يحيى : ليس بشىء وقال ابن حبان : لا يحل الرواية عنه إلا بالتعجب . انظر الموضوعات لابن الجوزى (٢٩٠/٢) ، وأخرج الديلمى فى الفردوس بنحوه ، حديث رقم (٢٠٠) (٦٨/١ ، ٦٩) ، وذكر الهيثمى بنحوه فى مجمع الزوائد وعزاه للبزار والطبرانى وقال : وفيه عبد الله ابن عبد الرحمن الشامى وهو ضعيف ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى (٣٤/٥) .

(١) الأنعام : ١٦٢ . وفى تفسير هذه الآية قال ابن كثير فى تفسيره : يأمره تعالى (أى يأمر سيدنا إبراهيم) أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم فى ذلك فإن صلاته لله ونسكه على إسمه وحده لا شريك له ... قال مجاهد فى قوله ﴿ إن صلاتى ونسكى ﴾ النسك الذبح فى الحج والعمرة » ابن كثير فى تفسير القرآن العظيم (٦/٢ ٢) .

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب الزكاة من - يث طويل ، باب بيان أن إسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ، حديث رقم (٥٣) (٦٩٧/٢) وأحمد فى المسند (١٦٧/٥) ومعنى (وفى بُضع أحدكم) هو بضم الباء ، ويطلق على الجماع ، ويطلق على الفرج نفسه . و لاهما يصح ذكره هنا ، وفى هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات =

وقال : « **نوم العالم** - فى رواية بدله الصائم - **عبادة ونفسه تسبيح** »[1]. هذا مع كون النوم عين الغفلة لكن كلما يستعان به على العبادة يصير كما إذا مل من العبادة فاشتغل بلهو مباح لينشط ويعود .

قال الغزالى : إن لهوه هذا أفضل من صلاته ومنها أن يأكل ما تيسر حضوره من غير إسراف ولا تبذير ولا توسع فى الأطعمة .

قال تعالى : ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾[2].

وينبغى ألا يخص نفسه بأكل نفيس الأطعمة بل يأكل هو وعياله .. ويتصدق من طعام واحد .

قال - ﷺ - : « **أطعموا المساكين مما تأكلون** »[3] رواه الإمام أحمد وغيره .

ويندب ألا يتعمق فى الأطعمة ولا يتكلف لأن المصطفى نهى عن التكلف فى خبر وقال : « **إنى برىء من التكلف وصالحو أمتى** »[4] وذلك لأن التكلف تصنع وتعمد وتحامل على النفس وذلك مباين للكمال وفى بعضه خفى منازعة للأقدار وعدم الرضى بما قسم الجبار ولذلك قيل : التصوف ترك التكلف .

وقيل : التكلف وهو تعرض العبد لما لا يعنيه .

= بالنيات الصادقات ، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف الذى أمر الله تعالى به ، أو طلب ولد صالح ، أو إعفاف الزوجة ، ومنعهما جميعاً من النظر إلى حرام أو الفكر فيه أو الهم به أو غير ذلك من المقاصد الصالحة .

(١) الديلمى فى الفردوس عن عبد الله بن أبى أوفى ، وله بقية ، حديث رقم (٦٧٣٤) (٢٤٨/٤) ، والغزالى فى الإحياء وقال العراقى : رويناه فى أمالى بن منده من رواية ابن المغيرة القواس عن عبد الله بن عمر بسند ضعيف ولعله عبد الله بن عمرو فإنهم لم يذكروا لابن المغيرة رواية إلا عنه . انظر الإحياء (٢٣٢/١) ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير ، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير ، وعزاه للبيهقى فى الشعب حديث رقم (٥٩٨٤) (١٧/٦) .

(٢) الأعراف : ٣١ .

(٣) أخرج أحمد بنحوه فى المسند (٢٤٣/٤) ، ومسلم بلفظ : « أطعموهم مما تأكلون ، وألبسوهم مما تلبسون» ، فى كتاب الزهد والرقائق ، باب حديث جابر الطويل ، وقصة أبى اليسر ، حديث رقم (٧٤) (٢٣٠١/٤ ، ٢٣٠٢ ، ٢٣٠٣) ، والمتقى الهندى فى كنز العمال حديث رقم (٢٥٠٦٢) (٨١/٩) .

(٤) وروى البخارى ما يشهد له عن أنس قال : كنا عند عمر فقال : « نهينا عن التكلف » وذلك فى كتاب الاعتصام ، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف مالا يعنيه (٢٥٩/٤) .

ودخل على سلمان الفارسى[1] بعض أصدقائه فأخرج إليه خبزا وملحا وقال : لولا أن رسول الله نهانا عن التكلف لتكلفت لكم والتكلف مذموم فى جميع الأشياء والتكلف بالملبوس للناس والتكلف فى الكلام وزيادة التملق الذى هنا ودأب هذا الزمان الذى لا يكاد يسلم منه إنسان ومنها الإنفاق من غير إقتار[2] وترك الادخار فقد كان المصطفى لا يدخر شيئا لغد ولا يأكل طعاما بايتاً وذلك لأن الكامل يرى خزائن فضل الحق فهو كمن هو مقيم على شاطىء البحر والمقيم على شاطئه لا يدخر ماء فى قربته ولا راويته .

« **وما من يوم إلا وملكان يناديان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا** »[3] كما فى حديث .

فيتعين على كل ذى لب ترك الاهتمام بالرزق وقلة الاشتغال بطلبه وتجنب الادخار والجمع[4] قال تعالى : ﴿ **وكأين من دابةٍ لا تحملُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُها وإيَّاكُم** ﴾[5]

---

(١) سلمان أبو عبد الله الفارسى .. ويقال له سلمان بن الإسلام وسلمان الخير وقال ابن حبان : من زعم أن سلمان الخير آخر فقد وهم ، أصله من رام هرمز وقيل من أصبهان وكان قد سمع بأن النبى ﷺ سيُبعث فخرج فى طلب ذلك فأسر وبيع بالمدينة فاشتغل بالرق حتى كان أول مشاهده الخندق وشهد بقية المشاهد وفتوح العراق وولى المدائن .. مات سنة ست وثلاثين فى قول أبى عبيد أو سبع فى قول خليفة » الإصابة فى تميز الصحابة للعسقلانى (٦٣/٢) سير أعلام النبلاء (٥٠٥/١) .

(٢) أَقْتَرَ الرَّجُلُ : ضاق عيشه والمقصود : الإنفاق من غير تضييق .

(٣) أخرجه أحمد فى المسند (٣٠٦/٢) . والبخارى فى كتاب الزكاة عن أبى هريرة ، باب قول الله تعالى : ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ﴾ والحاكم عن أبى سعيد الخدرى فى مستدركه ، فى كتاب الأهوال (٥٥٩/٤) وقال : تفرد به خارجة بن مصعب عن زيد بن أسلم ، وعقب الذهبى قائلا : خارجة ضعيف ، والمتقى الهندى فى كنز العمال عن أبى سعيد حديث رقم (١٦١٢٣) (٣٧٤/٦) ، والعجلونى فى كشف الخفاء وعزاه لابن عساكر وللخرائطى فى مكارم الأخلاق ، حديث رقم (٥٤٩) (٢١٢/١) .

(٤) ربما كان ما يدعو إليه المناوى من عدم الاهتمام بجمع المال ضرورياً فى زمانه لاقترانَ المال بالمنكرات والمحرمات ، أما الآن فقد صار المال سبباً حيوياً من أسباب عزة المسلم وتقدمه الاقتصادى ، ولما قال الله سبحانه وتعالى فى آياته ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ [المنافقون : ٨] ، كان المسلمون أشد حاجة إليه من غيرهم ، لأن العزة للمسلمين ، ليست عزة فى العقيدة فحسب ؛ بل أيضا عزة فى الاقتصاد ، والسياسة والاجتماع ؛ بل فى كل أنواع العلوم ، ولنا فى صحابة رسول الله أسوة حسنة ، فهاهو عثمان بن عفان يسأل عن أمواله الكثيرة فيرد قائلاً : إنه لو لم يخش وجود ثلمة فى الإسلام يسد بالمال هذه الثلمة لما جمع هذه المال ، ولذا فالمال ليس شراً فى ذاته ولا خيراً فى ذاته ، وما يحدد خيريته وشريته هو طرق استخدامه .

(٥) العنكبوت : ٦٠ . يقول ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية « أى لا تطيق (أى الدواب) جمعه وتحصيله =

أى لا تدخروا ولا تكثروا الطعام فإن ذلك من الشره .

قال رويم : لم يخطر ببالى ذكر الطعام منذ عشرين سنة حتى إذا حضر حظها أكلته ويعطى النفس منه حقها دون حظها .

قال المصطفى - ﷺ -: « **إن لنفسك عليك حقاً** »[1] فتتناول الطعام ترجو به الشفاء وتمنع به النفس من الشره والتخمة لقول المصطفى - ﷺ -: « **ما ملأ الآدمى وعاء شراً من بطنه ، بحسبِ ابن آدم لُقيمات يُقمن به صلبه** »[2].

وقال : « **أكثر مِن أكلة فى كل يوم سرف** »[3].

وقال : « **إذا أقّل أحدكم الطعام مُلِىء جوفه نوراً** »[4].

= ولا تدخر شيئا لغد فالله يقيض لها رزقها على ضعفها ويسره عليها فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتى الذَّرّ فى قرار الأرض ، والطير فى الهواء والحيتان فى الماء » ابن كثير (٣/٤٣٠) أما تفسير المناوى لهذه الآية بأن الله يأمر المسلمين بألا يدخروا فربما قد إعتمد فى حكمه هذا على حديث غريب رواه ابن كثير بدايته تقول « إن الله عز وجل لم يأمرنى بكنز الدنيا .. » فهذا حديث غريب وأبو العطوف الجزرى ضعيف ، فالإدخار فى ذاته محمود ومذموم ؛ فيحمد الإدخار إذا كرس لخدمة الإسلام والمسلمين ويذم إذا كان الإدخار جمعاً للأموال وكنزاً لها فقط ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ [التوبة : ٣٤] .

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الصوم بلفظ (وإن لنفسك وأهلك عليك حظاً » من حديث طويل ، باب حق الأهل فى الصوم (١/٣٣٨) ومسلم فى كتاب الصيام بلفظ « ولنفسك حظاً » ، باب النهى عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوّت به حقاً أو لم يفطر العيدين والتشريق ،ت حديث رقم (١٨٢) ، (٢/٨١٣) .

(٢) أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد ، باب ما جاء فى كراهية كثرة الأكل وقال : هذا حديث حسن صحيح (٩/٢٢٤) ، وابن ماجه فى كتاب الأطعمة ، باب الاقتصاد فى الأكل وكراهة الشبع حديث رقم (٣٣٤٩) (٢/١١١١) ، وأحمد فى المسند (٤/١٣٢) .

(٣) ذكره السيوطى فى الجامع الصغير وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير ، حديث رقم (١١٩٩) (١/٣٣٧) ، والمتقى الهندى فى كنز العمال وعزاه للبيهقى فى شعب الإيمان حديث رقم (٧٣٦٧) (٣ ٤٤٤) .

(٤) الديلمى فى الفردوس حديث رقم (١١٣٨) (١/٢٩٠) والسيوطى فى الجامع الصغير وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير حديث رقم (٤٩١) (١/١٥٣) .

(فصل) « الأكل سبع مراتب »

الأولى : أن يأكل ما تحصل به الحياة فقط .

الثانية : أن يزيد عليه قدراً يمكنه معه صلاة الفرض دون النفل وهما واجبان ومثله الأكل فى رمضان وغيره من كل صوم واجب ليمكنه الصوم .

الثالثة : أن يأكل ما يحصل له به قوة على صوم النفل أو صلاته من قيام وهو مستحب .

الرابعة : أن يأكل ما يقيم صلبه للكسب والعمل وهذا هو الشبع الشرعى .

الخامسة : أن يأكل إلى ثلث بطنه ولا كراهة فيه .

السادسة : أن يأكل ما يزيد على ذلك وهو مكروه وبه يحصل الثقل والنوم .

السابعة : أن يأكل على ذلك إلى أن يتضرر وهو حرام ذكره بعضهم .

قال الغزالى : والأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا بألم الجوع فإن المقصود بالأكل بقاء الحياة والقوة على العبادة و ثقل الطعام مانع من ذلك وألم الجوع يشغل القلب ويمنع العبادة .

وتجشأ رجل عند النبى - ﷺ - فقال له : « **كف عنا جُشَاءك**(*) **فإن أكثرهم شبعاً فى الدنيا أكثرهم جوعا فى الآخرة يوم القيامة** »(١).

وقال الحسن : كانت بلية آدم فى أكله ، وهى بليتكم إلى يوم القيامة .

وقال سويد بن عبد الله : لأن أترك من عشائى لقمة أحب إلىَّ من إحياء ليلة .

وقال ابن معاذ : لو كان الجوع يباع لما كان لطلاب الآخرة أن يشتروا سواه .

---

* الجُشاء : الصوت يخرج من الفم عند امتلاء المعدة .

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب القيامة ، باب حدثنا محمد بن حُميد الرازى وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه (٢٩٧/٩ ، ٢٩٨) ، وابن ماجه فى كتاب الأطعمة ، باب الإقتصاد فى الأكل وكراهة الشبع حديث رقم (٣٣٥٠) (١١١٢/٢) ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير ، حديث رقم (٤٣٦٧) (١٦٦/٤) .

واعلم أن هذه النفس العدوة الكافرة الأمَّارة ؛ لها على الإنسان قوة كبيرة وسلطان عظيم بسيفين ماضيين يقطع بهما الإنسان رقاب صناديد الرجال وعظماءهم وهما شهوة البطن وشهوة الفرج اللتان قيدتا جميع الخلائق ، وأسرتاهم ، ومن عظمهما . أفرد حجة الإسلام الغزالى كتابا سماه « الشهوتين » فى الإحياء هما البطن والفرج .

فاعلم أنه – تعالى – سلط على الآدمى شهوتين عظيمتين هلك بهما أكثر الناس : البطن والفرج ، غير أن شهوة الفرج وإن كانت عظيمة السلطان هى دون شهوة البطن ؛ لأنها لا تبدو لنا إلا من جهة شهوة البطن فإذا غلب هذا العدو البطنى عظم التعب مع الفرج فالشهوة البطنية تحمل صاحبها على أن يمتلىء من الطعام وتوقعه فى التخمة وأصل كل ذى داء البردة دينيا أو بدنيا – فالداء الطبيعى – الذى تنتجه هذه البَرَدَة[1] فساد الهضم وفساد الأعضاء من أبخرة فاسدة يتولد منها آلام وأمراض تؤدى إلى الهلاك .

كما حكى أن سليمان بن عبد الملك[2] كان ذا نهمة فخرج وركب دابة عليها زنبيل[3] فيه بيض مسلوق فدعا بتين وهو راكب فمازال يقرن التينة بالبيضة حتى أتى على ما فى الزنبيل كله فثقل على معدته فأهلكه[4].

فانظر كيف ساقت الشهوة إليه حتفه .

وقيل للشبلى[5] ابنك أتخم البارحة من كثرة الأكل **فقال** : لو مات ما صليت

---

(١) البَرَدَة : التُخَمَة .

(٢) سليمان بن عبد الملك (٥٤ – ٩٩ هـ = ٦٧٤ – ٧١٧ م) . هو سليمان بن عبد الملك بن مروان ، أبو أيوب : الخليفة الأموى ولد فى دمشق . وولى الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد سنة (٩٦ هـ) وكان بالرملة ، فلم يتخلف عن مبايعته أحد ، فأطلق الأسرى وأخلى السجون وعفا عن المجرمين ، وأحسن إلى الناس . وكان عاقلاً فصيحاً طموحاً إلى الفتح ، جهز جيشاً كبيراً وسيره فى السفن بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك ، لحصار القسطنطينية . وفى عهده فتحت جرجان وطبرستان ، وكانتا فى أيدى الترك . وتوفى فى دابق (من أرض قنسرين – بين حلب ومعرة النعمان) وكانت عاصمته دمشق ومدة خلافته سنتان وثمانية أشهر إلا أياماً » الأعلام (١٣٠/٣) .

(٣) الزنبيل : القُفَّة .

(٤) وذكر ابن كثير روايات أخرى فى موت سليمان منها أنه جاءته بحة فى خطبة له ، ثم نزل وقد أصابته حمى ، فمات فى الجمعة المقبلة . ويقال أيضا : إنه أصابته ذات الجنب ، فمات بها ، انظر البداية والنهاية لابن كثير (٢٠٢/٩ ، ٢٠٣) .

(٥) أبو بكر الشبلى (٢٤٧ – ٣٣٤ هـ = ٨٦١ – ٩٤٦ م) . هو دلف بن جحدر الشبلى : ناسك كان فى مبدأ أمره والياً فى دنباوند (من نواحى رستاق الرى) وولى الحجابة للموفق العباسى ؛ وكان أبوه صاحب =

عليه !.. كأنه يقول : هو قاتل نفسه فهذا هو الداء الطبيعى .

وأما الداء الدينى المؤدى إلى الهلاك الأبدى فكونه يؤدى إلى فضول الكلام والمشى وغيرها من الحركات البدنية فواجب على كل عاقل ألا يملأ بطنه من طعام ولا شراب فإنه ما أوتى أحد إلا من بطنه ؛ من دفع الرغبة ، وقلة الورع فى الكسب والتعدى لحدود الله ؛ فالله الله فى تقليل الغذاء فى الطعام واللباس ؛ فإن اللباس غذاء الجسم كالطعام به ينعم حيث تحفظه من الهواء البارد والحار القوى بمنزلة الجوع والامتلاء والظمأ والرى المتفاوت فكل واشرب والبس ليقوى الجسم على العبادة ؛ لأن النفس لا تطلب إلا بسد جوعه بما كان ووقاية من الهواء الحار والبارد بما كان سواء كان خبزاً سميداً[1] أو لحماً أو قبضة شعير كلاهما يسد الجوع وسواء كان حلة أو عباءة .

وأما النفس الأمّارة فلا تطلب إلا الطيب من طعام وشراب ومسكن وملبس إنما تريد من كل شيء أحسنه وأعلاه ولو استطاعت أن تستقل بالأحسن كله دون كل النفوس لم تُقَصِّر . والحامل لها على ذلك طلب التقدم والترؤس والعظمة ، ولا يقال حراماً كان أو حلالاً والجسم ليس كذلك فصار الجسم فى هذه طالبا لما يصونه فقط من أكل وشرب وملبس ومسكن ونحوه مما يصلح به فإن كانت النفس هى الغالبة على العقل المغذية له والناظرة له خاض فى المحرمات لأنها أمارة بالسوء مطمئنة بالهوى فهلكت وأهلكت فى الدارين لأنه ربما لا يبتغى هنا مناها ؛ لأن الأمر رزق مقسوم وأجل مسمى محتوم[2] وإن كان العقل هو المغذى له أخذ الشيء من حله ووضعه فى حقه وترك التشهى من الطعام رغبة فيما هو خير وآثر الجُوعَ على الشبع ، والخشن على اللين فغذاؤه ما يكسر ، وهمته فيما عند ربه مما يبقى ، بخلاف النفس فإن همتها وإن تعلقت بالأحسن حالاً لأن نظرها له .

= الحجاب ، ثم ترك الولاية وعكف على العبادة ، فاشتهر بالصلاح ، له شعر جيد ، سلك به مسالك المتصوفة . أصله من خراسان ونسبته إلى قرية « شبلة » من قرى ما وراء النهر ، ومولده بسرَّ من رأى ، ووفاته ببغداد ، الأعلام (٢/٣٤١) .

(١) السميد : لُباب الدقيق .

(٢) وفى ذلك يقول رب العزة سبحانه وتعالى : ﴿ وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأىّ أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾ [لقمان : ٣٤] .

قال إبراهيم بن أدهم[1]: للقمة واحدة تتركها من عشائك مجاهدة لنفسك خير لك من قيام ليلة .

هذا قوله فى التقليل وهو من دروس مشايخ الطريق .

وقال فى طيب الكسب : أطب مطعمك[2] ولا تبال بما فاتك من قيام الليل والصيام فإن أكلا طيبا لا ينتج إلا طيبا فإذا اغتذى الإنسان بالحلال قلل منه كما **قال** المصطفى : « **بحسب ابن آدم لقيمات يقمن بها صلبه** »[3] نشطت الجوارح للطاعة ويفرغ القلب للمناجاة ثم اللسان للذكر ، والعين للسهر ، وذهب الكسل وأى فائدة أعظم من هذا ؟!

(خـاتـمـــة)

يندب للإنسان ألا يعيب طعاما **قال** السهروردى[4]: ولا يمدحه . ما عاب رسول الله طعاما قط كان إذا اشتهاه أكله وإلا تركه[5].

---

(١) إبراهيم بن أدهم (.. - ١٦١ هـ = ... - ٧٧٨ م) . هو إبراهيم بن أدهم بن منصور ، التميمى البلخى أبو إسحاق : زاهد مشهور ، كان أبوه من أهل الغنى فى بلخ ، فتفقه ورحل إلى بغداد وجال فى العراق والشام والحجاز وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة ، وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن ويشترك مع الغزاة فى قتال الروم . وجاءه إلى المصيصة (من أرض كيليكيا) عبد لأبيه يحمل إليه عشرة آلاف درهم ويخبره أن أباه قد مات فى بلخ وخلف له مالاً عظيماً ، فأعتق العبد ووهبه الدراهم ولم يعبأ بمال أبيه ... والراجح أنه مات ودفن فى سوفنن (حصن من بلاد الروم) الأعلام (٣١/١) ، حلية الأولياء (٣٦٧/٧) .

(٢) وفى طيب المطعم يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إيّاه تعبدون ﴾ [البقرة : ١٧٢] .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) الشّهاب السهروردى (٥٤٩ - ٥٨٧ هـ = ١١٥٤ - ١١٩١ م) . هو يحيى بن حبش بن أميرك ، أبو الفتوح ، شهاب الدين ، السهروردى فيلسوف ، اختلف المؤرخون فى اسمه ولد فى سهرورد (من قرى زنجان فى العراق العجمى) ونشأ بمراغة ، وسافر إلى حلب فنسب إلى الخلال العقيدة ، وكان علمه أكثر من عقله (كما يقول ابن خلكان) فأفتى العلماء بإباحة دمه فسجنه الملك الظاهر غازى ، وخنقه فى سجنه بقلعة حلب . من كتبه « التلويحات » و« هياكل النور » الخ الأعلام (١٤٠/٨) .

(٥) أخرج مسلم بنحوه عن أبى هريرة بلفظ : « ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً قط . كان إذا اشتهى أكَلَه ، وإن كرهه تركه » فى كتاب الأشربة ، باب لا يعيب الطعام ، حديث رقم (١٨٧) (١٦٣٢/٣) وابن ماجه فى كتاب الأطعمة ؛ باب النهى أن يعاب الطعام . حديث رقم (٣٢٥٩) (١٠٨٥/٢) .

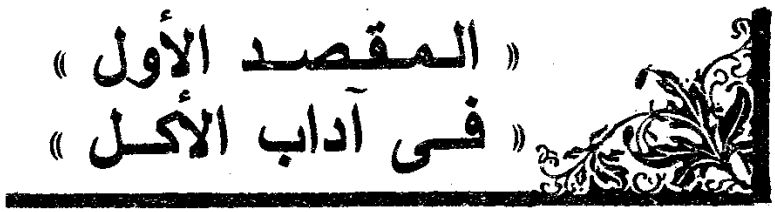

« المقصد الأول »
« فى آداب الأكل »

وفيه بابان : **الأول** : فى آدابه الشرعية وفيه فصول :

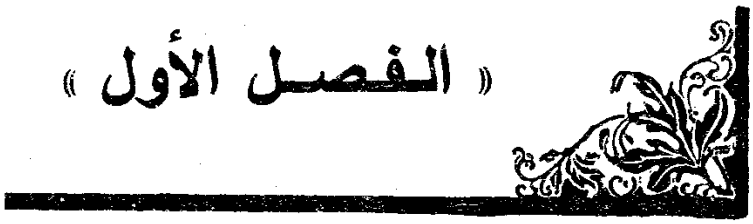

« الفصل الأول »

فيما لابد للآكل من رعايته – وإن انفرد – وهو ثلاثة أقسام : قسم قبل الأكل وقسم معه وقسم عقبه .

الأول : وهو ما يقدم على الأكل وهو سبعة أمور :

(الأول) أن يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض فهو أقرب إلى فعل المصطفى من رفعه على الخوان ونحوه .

كان المصطفى – ﷺ – إذا أتى بطعام وضعه على الأرض .

رواه ابن المبارك فى الزهد[1] عن الحسن والبزار بنحوه عن أبى هريرة بإسناد حسن ، وذلك لأنه أقرب إلى التواضع فإن لم يكن فعلى السفرة[2] فإنه يذكر الآخرة ويتذكر من السُّفرة سفر الآخرة وحاجته إلى التزود لها بزاد التقوى .

وروى الترمذى وغيره عن أنس « ما أكل رسول الله على خوانٍ ولا فى سُكُرُّجةٍ ولا خبز له مُرَقَّق قيل له : فعلام كانوا يأكلون ؟ قال : على هذه السُّفَرِ »[3].

والخِوان بالكسر مرتفع ليؤكل عليه الطعام وهو فارسى معرب

والأكل عليه بدعة لكنه جائز إن خلا عن قصد التكبر .

---

(١) الزهد لابن المبارك ، باب ما جاء فى الفقر ، بلفظ « ويوضع طعامه بالأرض » ، وله بقية (ص ٢٠٢) .

(٢) السفرة : المائدة وما عليها من الطعام . وأصلها طعام يصنع للمسافر وما يحمل فيه هذا الطعام .

(٣) الترمذى فى كتاب الأطعمة ، باب ما جاء علام كان يأكل رسول الله ﷺ وقال : هذا حديث حسن غريب ، (٢٨٢/٧) وابن ماجه فى كتاب الأطعمة ، باب الأكل على الخوان والسفرة حديث رقم (٣٢٩٢) (١٠٩٥/٢) .

والسّكرجة الإناء الصغير يجعل فيه القليل وهو كان مجبولاً على الكرم فكان إنما يأكل فى الأوانى الكبيرة .

والسُّفْرة جلد مستدير منبسط فيوضع عليه الطعام . وورود النهى عن الأكل على الخِوان لا يناقضه ما ورد فى أن الأكل على المائدة محبوب مطلوب كخبر « **إن الملائكة تستغفر لأحدكم مادامت مائدته موضوعة** »[1] لأن الخِوان هو المرتفع عن الأرض بقوائمه . والمائدة ما يمد ويبسط ليؤكل عليه ، والسُّفرة ما أسفر عما فى جوفه لأنه يجعل لها معاليق تنضم وتنفرج .

قال الحسن : « الأكل على الخِوان فعل الملوك ، وعلى المِنديل فعل العجم ، وعلى السُّفرة فعل العرب وهو سُنة »[2] انتهى .

هذا ما قرره الحكيم الترمذى فى دفع التعارض لكن مقتضى كلام الغزالى إلى أن المائدة هى الخوان حيث قال : اعلم أنا وإن قلنا الأكل على السفرة أولى ، فلسنا نقول الأكل على المائدة منهى عنه نَهْىَ كراهة أو تحريم ؛ إذ لم يثبت فيه نَهْىٌ . وما يقال من أنه أبدع بعد المصطفى فليس كل ما أبدع منهياً عنه ، بل المنهى بدعة تضاد سنة ثابتة وتدفع أمراً من الشرع مع بقاء علته ، بل الإبذاع قد يجب فى بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب ، وليس فى المائدة إلا رفع الطعام عن الأرض ليسهل الأكل ومثل ذلك لا كراهة فيه »[3].

(**الثانى**) **غسل** اليد قبل الأكل وبعده بخبر « الوضوء قبل الطعام وبعده ينفى الفقر وهو من سنن المرسلين »[4] رواه الطبرانى عن ابن عباس .

وفى حديث الترمذى « بركةُ الطَّعام الوُضُوءُ قَبْلَه والوضوء بعده »[5] والمراد

---

(١) انظر نوادر الأصول للترمذى فى الأصل الثانى والعشرون فى النهى عن الأكل على الخوان وفى السكرجة والمرقق (ص ٣٤) والطبرانى فى الأوسط بلفظ « تصلى على أحدكم » ، وفيه مندل بن على وهو ضعيف جداً وقد وثق ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى فى كتاب الأطعمة ، باب ما جاء فى المائدة (٢٤/٥) .

(٢) نوادر الأصول (ص ٣٤) .

(٣) انظر النص فى كتاب الإحياء للغزالى (ص/٦٥٦) .

(٤) أخرجه الطبرانى فى الأوسط وفيه نهشل بن سعيد وهو متروك انظر مجمع الزوائد للهيثمى فى كتاب الأطعمة ، باب الوضوء قبل الطعام وبعده (٢٣/٥ ، ٢٤) .

(٥) الترمذى فى كتاب الأطعمة ، باب ما جاء فى الوضوء قبل الطعام وبعده . وقال : لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث قيس بن الربيع وقيس بن الربيع يُضعف فى الحديث وأبو هاشم الرمّانى اسمه يحيى بن دينار (٣٦/٨) ، والمتقى الهندى فى كنز العمال حديث رقم (٤٠٧٦٣) (١٥ ٢٤٣) .

الوضوء اللغوى ولأن اليد لا تخلو عن لوث فى تعاطى الأعمال فغسلها مندوب للنزاهة ولأن الأكل بقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بأن يقدم عليه ما يجرى مجرى الطهارة من الصلاة وجعل الوضوء فى الخبر المذكور نفس البركة مبالغة وإلا فهى ناشئة عنه فينمو ويزيد بالأول وتعظم فائدته بالثانى لاستلزامه زوال الفقر المستلزم لبعد الشيطان .

قال السهروردى : « وإنما كان غسل اليد قبله ينفى الفقر لأنه استقبال للنعمة بالأدب وذلك من شكر النعمة وشكرها يوجب المزيد فصار غسلها مستجلبا للنعمة مذهبا للفقر .

وقد قال المصطفى : « **من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ إذا أحضر غذاؤه وإذا غسل يده بعد الطعام** »[1].

قال السهروردى مستحب أن يمسح العين ببلل اليد لقوله عليه السلام : « **إذا توضأتم فأشربوا أعينكم الماءَ ولا تنفضوا أيديكم فإنها مراوح الشيطان** »[2] والتعبير باليد هو ما ذكره الغزالى والسهروردى لكن عبر ابن العماد وغيره باليدين ووجه الأول أن الأكل إنما يكون بيد واحدة .

قال ابن العربى : وقد ورد عن المصطفى غسل اليد عقب الطعام[3] وورد عنه أيضاً إنه كان يمسح[4] وذلك بحسب حال الحياة من كثرة الزفر وقلته بل ورد عن عمر

---

(١) المتقى الهندى فى كنز العمال حديث رقم (٤٠٧٦٥) (٢٤٣/١٥) .

(٢) أخرجه الديلمى فى الفردوس عن أبى هريرة بلفظة (مراويح) وعزاه لابن أبى حاتم فى « علل الحديث » الذى قال : قال أبى :
هذا حديث منكر والبخترى ضعيف الحديث وأبوه مجهول انظر الفردوس حديث رقم (١٠٢٩) (٢٦٥/١) ، والمتقى الهندى فى كنز العمال حديث رقم (٢٦٩٣٤) (٤٥٣/٩) .

(٣) وفى غسل اليد أخرج أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط حديثا عن ابن عمر عن الرسول يقول : « من أكل من هذا اللحم شيئاً فليغسل يده من ريح وضره لا يؤذى من حذاءه » وعلق الهيثمى قائلاً : وفيه الوازع بن نافع وهو متروك ، وأخرج البزار والطبرانى أيضاً فى الأوسط ، بأسانيد ورجال أحدهما رجال الصحيح خلا الزبير بن بكار وهو ثقة ، حديث عن ابن عباس عن الرسول قال : « من بات وفى يده ريح غمر (الدسم) فأصابه شىء فلا يلومن إلا نفسه » انظر مجمع الزوائد للهيثمى ، فى كتاب الأطعمة ، باب غسل اليد من الطعام ، (٣٠/٥) .

(٤) وفى مسح اليد بعد الطعام روى البخارى عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال : « إذا أكل أحدُكم فلا يمسح =

ما كنا نعرف الأشنان على عهد رسول الله – ﷺ – وإنما كانت مناديلنا بطون أرجلنا .

ويقال : أول ما ظهر من البدع بعد المصطفى أربعة : الأشنان والمناخل والموائد والشبع[1].

قال الغزالى : وهذه الأربعة غير متساوية بل الأشنان من البدع المخففة لما فيه من النظافة فإن الغسل مستحب للنظافة والأشنان أتم فى التنظيف ، وكانوا لا يستعملونه لأنه ربما كان لا يعتاد ولا يتيسر عندهم وكانوا مشغولين بما هو أهم من المبالغة فى التنظيف وقد كانوا لا يغسلون اليد أيضاً لذلك[2].

قال وأما المنخل فالقصد به تطييب الطعام وذلك مباح ، ما لم ينته إلى التنعم المفرط[3]، ويندب ترك تنشيف اليد قبل الطعام لا بعده لأنه ربما كان بالمنديل وسخ فتعلق باليد كذا عللوه وقضيته أنه لو كان متيقن النظافة لا تكون كذلك .

ويسن تقديم الصبيان على الشيوخ فى الغسل قبل الأكل لا بعده فقد يفقد الماء لو قدمنا الشيوخ وأيدى الصبيان أقرب إلى الوسخ وأما بعده فبالعكس إكراما للشيوخ وهذا كله فى غير رب المنزل أما هو فيتقدم بالغسل قبل الأكل ويتأخر بعده لأنه يدعو الناس إلى كرمه فحكمه أن يتقدم بالغسل .

(**تنبيه** » **قال** الغزالى : وغسل اليد فى الطشت لا بأس به ، وله أن يتنخم فيه إن أكل وحده فإن كان معه غيره فلا ينبغى أن يفعل ذلك وإذا قدم الطشت إليه غيره إكراماً له فليقبله[4].

اجتمع أنس بن مالك وثابت البنانى – رضى الله عنهما – على طعام ، فقدم أنس الطشت إليه فامتنع ثابت فقال أنس إنما أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردها فإنما يكرم الله – عز وجل – من قبل كرامة أخيه و لم يردها !

= يده حتى يلعقها أو يُلعقها » ، وذلك فى كتاب الأطعمة ، باب لعق الأصابع ومصها قبل أن تمسح بالمنديل (٣/٣٠٢) .

(١) انظر النص فى الإحياء (ص/٦٥٦) .

(٢) الموضع السابق .

(٣) الموضع نفسه .

(٤) الإحياء (ص/٦٦٣) .

ولا بأس بالاجتماع على غسل الأيدى فى الطشت فى حالة واحدة فإنه أقرب إلى التواضع ، وأبعد عن طول الانتظار ، فإن لم يفعلوا فلا ينبغى أن يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء فى الطشت ، بحديث « **اجمعوا وضوءكم يجمع الله شملكم** »[1].

قيل المراد به هذا وفى حديث « **انزعوا الطسوس وخالفوا المجوس** »[2] وكره بعضهم أن يكون الخادم الذى يصب الماء على الأيدى أن يكون قائماً وأحب أن يكون جالساً لأنه أقرب إلى التواضع . وكره بعضهم جلوسه .

قال الغزالى : وهو أولى لأنه أيسر للصب والغسل وأقرب إلى تواضع الصاب[3].

قال : وأما كيفية غسل اليد بالأشنان فأن يجعله على كفه اليسرى ويغسل الأصابع الثلاث من اليد اليمنى ويضع أصابعه على الأشنان اليابس فيمسح به شفتيه ثم يتمم غسل الفم بإصبعيه ويدلك ظاهر أسنانه وباطنها والحنك واللسان ، ثم يغسل أصابعه من ذلك الماء ثم يدلك ببقية الأشنان اليابس أصابعه ظهرا وبطنا . ويستغنى بذلك عن إعادة الأشنان إلى الفم وإعادة غسله[4].

(**الثالث**) أن يحسن الجلسة على السفرة من أول قعوده للأكل إلى فراغه بأن يقعد مستوفزا ويجثو على ركبتيه[5] ويجلس على ظهر قدميه أو ينصب رجله اليمنى ويجلس على اليسرى فيكره الأكل متكئا إلا لضرورة .

قال الغزالى : وكذا الشرب وذلك لخبر « **آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس**

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالى وبهامشه قال العراقى : حديث « اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم » : رواه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث أبى هريرة بإسناد لا بأس به وجعل ابن طاهر مكان أبى هريرة إبراهيم وقال : إنه معضل وفيه نظر (ص/٦٦٣) .

(٢) أخرجه ابن الجوزى فى العلل المتناهية وقال : هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ وأكثر رواته ضعفاء ومجاهيل فى كتاب الأطعمة ، باب حديث فى غسل اليد (٦٦٨/٢) .

(٣) إحياء (ص/٦٦٤) .

(٤) إحياء (ص/٦٦١) .

(٥) قال العراق على هامش الإحياء : إن حديث ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى ؛ من حديث عبد الله بن البشير فى أثناء حديث أتوا تلك القصعة فالتقوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله ﷺ – الحديث : وله من حديث أنس رأيته يأكل وهو مقع من الجوع وروى أبو الحسن بن المقرى فى الشمائل من حديثه كان إذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال : إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفعل كما يفعل وإسناده ضعيف ، (ص/٦٥٦ ، ٦٥٧) .

العبد »[1] رواه أبو يعلى وغيره عن عائشة بإسناد حسن .

وفى حديث « **من أكل متكئا** »[2] رواه أبو داود وابن ماجه ولأنه نوع تكبر والله لا يحب المتكبرين .

وورد بسند حسن : « أهديت للمصطفى شاة فجلس على ركبتيه يأكل فقيل له : ما هذه الجلسة ؟ قال : **إن الله - تعالى - جعلنى عبداً كريما ولم يجعلنى جباراً عنيداً** »[3].

وأما ما جاء فى أحاديث من أنه أكل متكئاً[4] فهو بيان لأحوال من يريد الإكثار من الطعام وغيره بأنه المائل على أحد شقيه فإنه يضر بالآكل لأنه يمنع مجرى الطعام الطبيعى ويعوقه عن سرعة النفوذ إلى المعدة فلا يستحكم فتحها فلا يتم النضج .

وفى الشفاء وغيره عن المحققين أن المراد التمكن للآكل على أى وجه كان وورد بسند ضعيف « نهى رسول الله أن يعتمد الرجل على يده اليسرى عند الأكل »[5].

وزعم بعضهم أن الاستناد للأكل مندوب لأن المصطفى كان يأكل وهو مقع من الجوع أى مستند بأنه لم يفعله إلا للضعف الحاصل له بسبب الجوع .

ويكره الأكل مضطجعا ومنبطحا على وجهه لحديث ابن ماجه نهى أن يأكل الرجل وهو منبطح على بطنه[6].

---

(١) أخرجه ابن سعد فى طبقاته (٣٨١/١) ، والمتقى الهندى فى كنز العمال وعزاه للبيهقى فى الشعب عن يحيى ابن أبى كثير مرسلاً حديث رقم (٤٠٧٠٩) (٢٣٢/١٥) .

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب الأطعمة ، باب ما جاء فى الأكل متكئا بلفظ « لا آكل متكئاً » ، حديث رقم (٣٧٦٩) (٣٤٨/٣) وابن ماجه بنفس اللفظ فى كتاب الأطعمة ، باب الأكل متكئا حديث رقم (٣٢٦٢) (١٠٨٦/٢) ، ومتكئا : الاتكاء هو أن يتمكن من الجلوس متربعاً . أو يستوى قاعداً على وطاء ، أو يسند ظهره إلى شيء ، أو يضع إحدى يديه على الأرض .

(٣) أخرجه ابن ماجه فى كتاب الأطعمة ، باب الأكل متكئا ، حديث رقم (٣٢٦٣) (١٠٨٦/٢) .

(٤) روى الواقدى عن هشام بن عاصم الأسلمى عن عبد الله بن سعد عن أبيه قال : رأيت رسول الله ﷺ يأكل متكئاً ، قال ابن الجوزى : وهذا لا يصح والواقدى متروك الحديث وفى الصحيح أن النبى ﷺ قال : « لا آكل متكئا » العلل المتناهية لابن الجوزى (٦٥٣/٢) .

(٥) وفى ذلك ذكر المتقى الهندى فى كنز العمال أحاديث منها « لا يأكل بشماله ولا يشرب بشماله ، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله » وعزاه لابن حنبل ، ولمسلم عن ابن عمر وللنسائى عن أبى هريرة .

(٦) ابن ماجه فى كتاب الأطعمة ، باب النهى عن الأكل منبطحاً حديث رقم (٣٣٧٠) (١١١٨/٢) .

وفى رواية على وجهه والشرب كذلك والكراهة مهما ذكر أشد منها مع الاتكاء ومحل ذلك فى غير ما ينتقل من الحبوب ، أما هو فلا يكره لذلك لما روى أن عليا كرم الله وجهه أكل كعكا على برش[*] وهو مسطح على بطنه والعرب تفعله ولا يكره الأكل قائما لكن تركه أفضل كما فى الأنوار وغيرها والشرب قائما[1] بلا عذر خلاف الأولى كما ذكره النووى ..

الخامس : أن يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد فى التنعم وطلب الزيادة وانتظار الأدم بل من كرامة الخبز ألا ينتظر به الأدم فقد ورد الأمر بإكرام الخبز فلطالما يدل على الطاعة فهو خير كثير فلا ينبغى أن تستحقر ولا تنتظر بالأكل الصلاة وإن حضر وقتها بل أو أقيمت لحديث الشيخين : « **إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدءوا بالعشاء** »[2] أى ندباً إن اتسع الوقت لما فى تركه من فوت الخشوع أو كماله .

وأما حديث : « أنه كان يجتز من ذراع شاة بسكين ويأكل[3] فأعلمه بالصلاة فطرح السكين وصلى قائما » قطع الأكل للصلاة مع كونه أمر غيره بتقديم الأكل لأنه أتم حاجته منه أو لأنه أخذ فى حق نفسه بالعزيمة وأمر غيره بالرخصة .

(**السادس**) : أن يجتهد فى تكثير الأيدى على الطعام ولو من أهله وولده قال المصطفى - ﷺ - : « **اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه** »[4] بالاجتماع على الطعام وتكثر الأيدى عليه سبب لحصول البركة والانفراد بلا عذر خلاف الأولى أو مكروه .

---

* البرش : حصير صغير من سعف النّخل يجلس عليه .

(١) وعن الشرب قائما أخرج ابن ماجه حديثا بلفظ « نهى عن الشرب قائماً » وذلك فى كتاب الأشربة ، باب الشرب قائماً حديث رقم (٣٤٢٤) (١١٣٢/٢) .

(٢) البخارى فى كتاب الأذان ، باب إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة (١٢٣/١) ، ومسلم فى كتاب المساجد ، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذى يريد أكله فى الحال ، حديث رقم (٦٤) (٣٩٢/١) .

(٣) أخرج الترمذى هذا الحديث فى كتاب الأطعمة ، باب ما جاء عن النبى ﷺ من الرخصة فى قطع اللحم بالسكين وقال : هذا حديث حسن صحيح (٣١/٨) .

(٤) أخرجه أبو داود فى كتاب الأطعمة ، باب فى الاجتماع على الطعام ، حديث رقم (٣٧٦٤) (٣٤٦/٣) ، والغزالى فى الإحياء وعلق العراقى قائلاً : حديث اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه : من حديث وحشى بن حرب بإسناد حسن (ص/٦٥٨) .

ففى حديث لابن عساكر عن معاذ مرفوعا : « **ألا أنبئك بشر الناس : من أكل وحده ، ومنع رفده ، وسافر وحده** »[1].

(**السابع**) أن يقرب من أوائل الطعام لأن تناوله من مكان بعيد مشق وربما أذى غيره .

(القسم الثانى)

فى الآداب المطلوبة حال الأكل وهو أن يبدأ بالتسمية أوله **وهى** للجماعة سنة كفاية المطلوبة وللواحد سنة عين ولو نحو جنب وحائض .

وأصلها : باسم الله ، والأكمل : إكمالها ولو سمى مع كل لقمة فهو أحسن .

وقال الغزالى : يقول مع اللقمة الأولى : باسم الله ومع الثانية : باسم الله الرحمن ومع الثالثة : بسم الله الرحمن الرحيم[2].

قال الحافظ ابن حجر ولم أرَ له دليلا وزعم بعضهم أنه من تفرد الغزالى وليس كذلك بل ذكره منها السهروردى قال تعالى : ﴿ **ولا تأكلوا مما لَمْ يُذْكَر اسمُ اللهِ عليْهِ** ﴾[3] فالكامل لا يأكل طعاماً إلا مقروناً بالذكر ويرى أن تناول الطعام بدون ذلك داء ؛ لما يفتح من آفاق النفس ومساير هواه ويرى ذكر الله دواءه وبزيادة فكما أن للمعدة طبائع تتدبر بموافقة طبائع الطعام فللقلب مزاج وطبائع لأهل التفقد والرعاية واليقظة يعرف إنحراف مزاج القلب من اللقمة المتناولة تارة يحصل فيها حرارة الطيش بالنهوض إلى الفضول وتارة يحدث فى القلب برد الكسل بالتقاعد عن العبادة وتارة يحدث

---

(١) أخرجه ابن عساكر عن معاذ ، وله بقية ، انظر كنز العمال للمتقى الهندى حديث رقم (٤٤٠٤٥) (٩٢/١٦ ، ٩٣) .

(٢) إحياء (ص/٦٥٨) .

(٣) الأنعام : ١٢١ ، وفى تفسيرها يقول الرازى فى التفسير الكبير : نقل عن عطاء أنه قال : كل ما لم يذكر عليه اسم الله من طعام أو شراب ، فهو حرام ، تمسكاً بعموم الآية ، واختلف العلماء فيها فقال مالك : كل ذبح لم يذكر عليه اسم الله فهو حرام ، سواء ترك ذلك الذكر عمداً أو نسياناً ... وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى : إن ترك الذكر عمداً حرم ، وإن ترك نسيانا حل . وقال الشافعى رحمه الله تعالى : يحل متروك التسمية سواء ترك عمداً أو خطأ إذا كان الذابح أهلاً للذبح ، فخر الدين الرازى فى التفسير الكبير (ج ١٣/١٧٧) .

رطوبة الشهوة والغفلة وتارة يحدث يبس الهم والحزن بسبب الحظ العاجل فهذه كلها عوارض يفطن لها المتيقظ ويدرك فهم العلة بها تغير مزاج القالب عن الاعتدال ، وكما أن عدم الاعتدال ظلم نهم القالب فللقلب أولى وتطرق الانحراف إلى القلب أسرع منه إلى القالب ، ومن الانحراف ما يسقم منه القلب فيموت كموت القالب واسم الله دواء نافع مجرب يقى الأسواء ويذهب الداء ويجلب الشفاء ويجهر بالتسمية ليغتذى به فإن تسمية كل واحد أكمل وإن كان لو سمى واحد كفى فإن لم يسم أوله ففى أثنائه(*) ويزيد عليها أوله وآخره(١) ويزيد بعد التسمية اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار(٢) واستحب بعضهم أن يقول : باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء ، ويبدأ بالملح(٣) ويختم به ويأكل بيمينه ويكره بالشمال بلا عذر وقيل يحرم ويأكل بثلاث أصابع(٤) إن كفت وينبغى تقديم أكل الفاكهة ثم اللحم ثم الحلاوة وتقديم أكل لقمة أو لقمتين أو ثلاث من الخبز على اللحم ويسن الأكل من أسفل القصعة(٥) ومما يليه ويكره مما يلى غيره ومن وسط الطعام فى غير الفاكهة أما هى(**) فله أن يجول بيده فيها

(١) هذا حديث رواه ابن ماجه فى كتاب الأطعمة ، باب التسمية عند الطعام ، حديث رقم (٣٢٦٤) (٢/١٠٨٦ ، ١٠٨٧) ، وروى أبو يعلى بنحوه ورجاله ثقات ، انظر مجمع الزوائد ، كتاب الأطعمة ، باب ما يقول قبل الأكل وبعده من التسمية والحمد (٥/٢٢) .

(٢) رواه عبد الله بن أحمد بنحوه ، وابن أعبد ، قال ابن المدينى : ليس بمعروف ، وبقية رجاله ثقات ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى (٥/٢٢) .

(٣) أخرج البيهقى فى الشعب عن على موقوفاً « من ابتدأ غداءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعاً من البلاء » ، وابن منده فى كتاب أخبار أصبهان من حديث سعد بن معاذ « استفتحوا طعامكم بالملح فوالذى نفسى بيده إنه ليرد ثلاثاً وسبعين من البلاء ، أو قال : من الداء ، وعقب ابن عراق قائلا : هو من طريق إبراهيم بن حيان ابن حكيم فلا يصلح شاهداً وأثر على ضعيف فى سنده جوير متروك ، وعنه عيسى بن الأشعث مجهول والله تعالى أعلم . انظر تنزيه الشريعة المرفوعة لابن عراق (٢/٢٤٣) وذكر الأبشيهى فى المستطرف أن رسول الله ﷺ قال : « يا على ابدأ بالملح ، واختم به ، فإن فيه شفاء من سبعين داء » (ص ١٩١) .

(٤) أخرج الطبرانى عن ابن عباس عن الرسول « لا تأكل بإصبعين فإنها أكل الشيطان وكل بثلاث أصابع » وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن ، وبقية رجاله رجال الصحيح، انظر مجمع الزوائد للهيثمى فى كتاب الأطعمة ، باب الأكل بثلاث أصابع والأكل وهو يمشى (٥/٢٥) وأخرجه ابن الجوزى فى العلل المتناهية بسند آخر فى كتاب الأطعمة ، باب حديث فى الأكل بثلاث أصابع (٢/٦٥٣) .

(٥) أخرج ابن ماجه أن الرسول ﷺ قال : « من أكل فى قصعة ثم لحسها ، استغفرت له القصعة » ، وذلك فى كتاب الأطعمة ، باب تنقية الصحفة ، حديث رقم (٣٢٧٢) (٢/١٠٨٩) وأخرجه الترمذى وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث المعلى بن راشد وقد روى يزيد بن هارون وغير واحد من الأئمة عن المعلى بن راشد هذا الحديث .

* أى يسم أثناء الأكل .

** أى الفاكهة مع المجذوم .

لأن المصطفى – ﷺ – فعله وقال : « **ليس هو نوعا واحدا** »[1] ويأكل من دائرة الرغيف ولا يكسر الخبز إلا إذا قل ولا يقطعه ولا اللحم بالسكين للنهى بل ينهش اللحم فإنه أهنأ وأبرأ[2] ولا يوضع على الخبز ما يؤكل به ولا يمسحَ فيه يده ويندب التأنى فى الأكل إلا لعذر وتصغير اللقمة وإجادة مضغها وترك مد يده لأخرى قبل بلعها ، ولا يجمع فاكهة ونواها فى طبق[3] ويضع النوى أو العجم على ظهر كفه اليسرى لا يترك ردىء الطعام فى القصعة بل يجعل مع البقل لئلا يلتبس على غيره فيأكله ولا بأس بمواكلة الأعمى ويقول إذا واكل نحو أجذم : باسم الله ثقة بالله وتوكلاً عليه[4] و« إذا سقطت من الأكل لقمة يأخذها ويميط ما بها من أذى ويأكلها ولا يدعها للشيطان[5] هكذا أمر به المصطفى – ﷺ – فإن تنجست أطعمها لنحو هرة ولا يمسح يده بالمنديل[*] حتى يلعق أصابعه أو يلعقها غيره ممن لا يتقذرها فإنه لا يدرى فى أى طعامه البركة[6] لما فى الحديث ولا ينفخ فى الطعام[7] الحار للنهى عنه بل يتركه

---

(١) ذكره الغزالى فى الإحياء ، وعلق العراقى عليه قائلاً ؛ حديث كان يدور على الفاكهة وقال : « ليس هو نوعاً واحداً : من حديث عكراش بن دويب وفيه وجالت يد رسول الله ﷺ فى الطبق فقال : يا عكراش كل من حيث شئت فإنه غير لون واحد (ص/٦٥٨) .

(٢) أخرجه الترمذى فى كتاب الأطعمة بلفظ (أمرأ) ، باب ما جاء أنه قال : انهسوا اللحم نهسا ، وقال هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث عبد الكريم وقد تكلم بعض أهل العلم فى عبد الكريم المعلم منهم أيوب السختيانى من قبل حفظه (٣٠/٨ ، ٣١) .

(٣) ذكر المتقى الهندى فى كنز العمال عن النبى أنه « نهى أن تلقى النواة على الطبق الذى يؤكل منه الرطب أو التمر » وعزاه للشيرازى حديث رقم (٤١٧١٧) ، (٤٣٤/١٥) .

(٤) أخرجه الترمذى وقال : هذا حديث غريب وذلك فى كتاب الأطعمة باب ما جاء فى الأكل مع المجزوم (١١/٨) .

(٥) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد وعزاه لأبى يعلى وقال : رجاله ثقات ، وذلك فى كتاب الأطعمة ، باب إكرام الخبز وأكل ما يسقط (٣٤/٥) .

(٦) مسلم فى كتاب الأشربة ، باب إستحباب لعق الأصابع والقصعة ، حديث رقم (١٣٤) (١٦٠٦/٣) .

* (بالمنديل) معروف قال ابن فارس فى المجمل : لعله مأخوذ من الندل وهو النقل . قال أهل اللغة : يقال : تندلت بالمنديل . قال الجوهرى : ويقال أيضا : تمندلت . قال : وأنكر الكسائى تمندلت .

(٧) أخرج ابن ماجه عن ابن عباس قال : لم يكن رسول الله ﷺ ومسلم ينفخ فى طعام ولا شراب . ولا يتنفس فى الإناء وذلك فى كتاب الأطعمة ، باب النفخ فى الطعام . حديث رقم (٣٢٨٨) (١٠٩٤/٢) . وأخرج البزار أن الرسول نهى عن النفخ فى الطعام والشراب ، وقال الهيثمى : وذلك عن شيخه زكريا بن يحيى بن أيوب أبى على الضرير ولم أعرفه انظر مجمع الزوائد للهيثمى (٥ ٢٠) . كتاب الأطعمة ، باب النهى عن النفخ فى الطعام والشراب .

حتى يسهل أكله وينظر الآكل إلى اللقمة قبل وضعها فى فيه فإن كان فيها نحو شوك أو أذى أزاله فلا يحطم كل الطعام كالبهائم ولا يأكل وغيره ينظر إليه[1] إذا كان يشتهيه ولو كان كلبا أو قطا لما يقال إنه ينفصل من عينه سم يعلو الطعام لا دواء له إلا أن يأكل منه ويسن تصغير الخبز لخبر « **صغروا الخبز وأكثروا عدده يبارك لكم فيه** »[2] رواه الإسماعيلى وغيره .

ويكره للآكل تقريب فمه فى الطعام بحيث قد يقع فيه شىء من فمه ، أو يبصق أو يمخط حال الأكل بلا ضرورة أو ينفض يده فى القصعة ، وإذا أخرج شيئا من فمه صرف وجهه عن الطعام ثم أخرجه بشماله ولا يغمس لقمة دسمة فى خل ولا عسكة ولا لقمة قطعها بفمه فى مرقة أو نحوها[3] ويكره قرن نحو تمرتين من طعام غيره بلا إذن أو قرينة[4].

ومن آداب القوم ألا يكون لأكلهم وقت معلوم ويكره أن يغمس يده فى الطعام بحيث يتلطخ به فإن أكل مع غيره اشتدت ثم الكراهة .

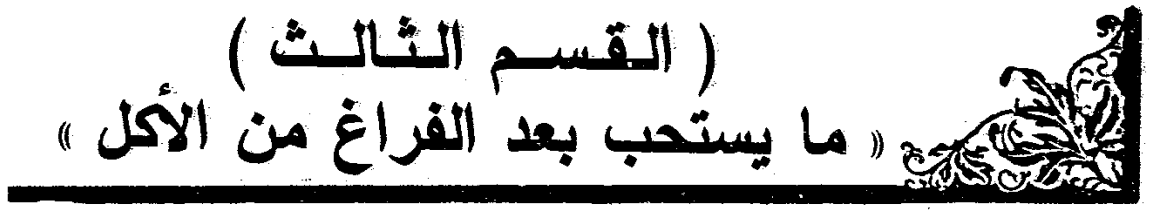

(القسم الثالث)
« ما يستحب بعد الفراغ من الأكل »

يسن بعد الطعام الحلوى وأن يحمد الله جهراً وأقله « الحمد لله وأكمله زيادة : حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفي ولا مكفور ولا مودع ولا مستغنى عته ربنا . الحمد لله الذى أطعم وسقا وسوغه وجعل له مخرجاً » هكذا أورد فى الحديث[5].

قال - ﷺ - : « **أذيبوا طعامكم بذكر الله ولا تناموا عليه فتقسو**

---

(١) وفى آداب الأكل كتب الغزالى فى الإحياء « أن لا ينظر (المرء) إلى أصحابه ، ولا يراقب أكلهم فيستحيون ، بل يغض بصره عنهم ويشتغل بنفسه (٢/٦٦٤) .

(٢) ذكره ابن عراق فى تنزيه الشريعة المرفوعة (٢/٢٤٥) .

(٣) إحياء (ص/٦٦٤) .

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب الأشربة ، باب نهى الأكل مع جماعة عن قران تمرتين ونحوهما فى لقمة ، إلا بإذن أصحابه ، حديث رقم (١٥٠ ، ١٥١) (٣/١٦١٧) ، (والإقران) يقال : قرن بين الشيئين يقرن ، بضم الراء وكسرها لغتان ، أى جمع . ولا يقال أقرن .

(٥) روى عبد الله بن أحمد نحوه وذكره بطوله ؛ وابن أعبد وقال : ابن المدينى ليس بمعروف . وبقية رجاله ثقات ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى (٥/٢٢) ، وذكره المتقى الهندى فى كنز العمال ، حديث رقم (٤٠٨٥٠) .

قلوبكم »[1].

ويندب أن يتخلل ويرمى ما أخرجه بالخلال من الطعام[2]، ويبتلع الخارج من بين أسنانه ويلتقط فتات الخبز والطعام فإنه يعيش فى سعة ويعافى فى ولده كما فى حديث[3].

وليتمضمض بعد الخلال ففيه أثر عن أهل البيت ويلعق القصعة فإن من لعقها استغفرت[4] له كما فى حديث .

وفى حديث آخر « **أن التقاط الفتات مهور الحور العين** »[5] وأن يشكر الله تعالى بقلبه على ما أطعمه فيرى الطعام منه نعمة ومهما أكل حلالا قال : الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم ارزقنا طيبا واستعملنا صالحا[6].

وإن أكل ما فيه بشهية قال : الحمد لله على كل حال اللهم[7] لا تجعله قوة لنا على معصيتك ؛ ثم يقرأ بعد فراغه الإخلاص ولإيلاف قريش[8] ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع وإن أكل الطعام ومعه غيره فليدع له وليقل : اللهم بارك له فيما رزقته ويسر له أن يفعل فيه خيراً ، واقنعه بما أعطيته ، واجعلنا وإياه من الشاكرين[9].

وإذا أفطر عند قوم قال : « **أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة** »[10] وليكثر الاستغفار والحزن على ما أكل من حرام أو شبهه ليطفىء

---

(١) ذكره السيوطى فى الجامع الصغير وقال الألبانى : إنه موضوع فى ضعيف الجامع الصغير وعزاه للطبرانى ، وابن السنى ، وأبى نعيم فى الطب ، والبيهقى فى الشعب ، حديث رقم (٨٤٢) (٢٤٧/١) .

(٢) أخرج الطبرانى عن ابن عمر « أن فضل الطعام الذى يبقى بين الأضراس يوهن الأضراس » ورجاله رجال الصحيح ، وذلك فى كتاب الأطعمة ، باب تخليل الأسنان ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى (٣٠/٥) .

(٣) علق العراقى على هذا الحديث قائلاً : رواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث جابر بلفظ « أمن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق » وله من حديث الحجاج بن علاط « أعطى سعة من الرزق ووقى فى ولده » وكلاهما منكر انظر هامش الإحياء (ص ٦٦٠) .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) لم أعثر عليه .

(٦) ذكر المتقى الهندى بنحوه فى كنز العمال تحت رقم (٥٠٢٨) (٦٧١/٢) والغزالى أيضاً فى الإحياء (ص/٣٢٩) .

(٧) انظر الحديث السابق .

(٨) أى سورتى الإخلاص وقريش .

(٩) ذكر المتقى الهندى بنحوه فى كنز العمال تحت رقم (٤١٧٠٤) (٤٣٠/١٥) .

(١٠) أخرجه أبو داود فى كتاب الأطعمة، باب ما جاء فى الدعاء لرب الطعام إذا أكل عنده حديث رقم (٣٨٥٤)=

بدموعه وحزنه حَرَّ النار التى تعرض لها بقول المصطفى - ﷺ - « **كل لحم نبت من سُحْتٍ فالنار أولى به** »[1] وليس من يأكل ويبكى كمن يأكل ويلهو وَلْيقل « إذا كان الأكل لبناً : « **اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه** » أو غيره قال : « **اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه** »[2] فذلك الدعاء مما خص به رسول الله - ﷺ - اللبن[3].

(الفصل الثانى)

فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة فى الأكل .

(**الأول**) ألا يبدأ بالأكل ومعه من يستحق التقديم لسن أو زيادة فضل إلا إن كان هو المتبوع فحينئذ ينبغى ألا يطول عليهم الانتظار إذا إجتمعوا للأكل .

(**الثانى**) ألا يسكتوا على الطعام فإن ذلك من شأن طعام العجم بل يتكلمون بالخير ويتحدثون بحكايات الصالحين فى الأطعمة ونحوها .

(**الثالث**) أن يرفق برفيقه فى القصعة ، فلا يأكل زيادة عليه إن كان الطعام مشتركا فإنه حرام إلا إن ظن رضاه بل ينبغى إيثاره ولا يقرن بين نحو تمرتين إلا إذا فعلوا ذلك أو أذنوا له فإن قلل نشاطه ورأى صاحب الطعام أو شريكه فيه قلة رغبة فى الأكل فيقول له ثلاث مرات : « **كل** » إن لم يعلم أنه اكتفى ، ولا يزيد على الثلاث ؛ لأنه إفراط ولا يقسم عليه فإنه مكروه .

قال الحسن بن على :« الطعام أهون من أن يُحْلَف عليه »[4].

= (٣٦٧/٣) . وأخرجه أحمد فى المسند (١١٨/٣ ، ٢٠١) ، والبيهقى فى السنن (٢٣٩/٤) ، وذكره المتقى الهندى فى كنز العمال حديث رقم (١٨٠٨٦) (٨٦/٧) .

(١) ذكره المتقى الهندى فى كنز العمال ، وعزاه لابن جرير عن ابن عمر حديث رقم (١٥١٠٦) (١١٩/٦) .

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب الأشربة ، باب ما يقول إذا شرب اللبن ، حديث رقم (٣٧٣٠) (٣٣٩/٣) وقال . هذا لفظ مسدد ، وأخرجه ابن الجوزى فى الموضوعات ، وذلك فى كتاب الأطعمة ، باب إيثار اللبن وقال : قال أبو حاتم : لا أصل له من حديث رسول الله ﷺ .

(٣) النص فى الإحياء (ص ٦٦١) .

(٤) انظر الإحياء (ص/٦٦٢) .

(**الرابع**) ألا يحوج رفيقه إلى أن يقول له : « **كُل** » .

قال بعض الحكماء : أحسن الآكلين من لا يحوج رفيقه إلى تفقده وحمل عن أخيه مؤنة القول .

ولا ينبغي أن يدع شيئاً مما يشتهيه لأجل نظر الغير إليه ؛ لأن ذلك تصنع بل يجرى على المعتاد ولا ينقص من عادته فى الوحدة[1] فالتصنع فى الأكل بحضور الناس مذموم منهى عنه والرياء يدخل على العبد فى كل شيء[2].

وصف لبعض العلماء بعض العباد فغضّ منه فقيل له : نعلم منه تأسيا قال : نعم رأيته يتصنع فى الأكل ومن يتصنع فيه لا يؤمن عليه أن يتصنع فى العمل .

وينبغي أن يعوّدَ نفسَه حسن الأدب فى الوحدة لئلا يحتاج إلى التصنع عند الاجتماع ؛ نعم لو قلل من أكله إيثاراً لإخوانه فهو حسن وإن زاد فى الأكل عن عاداته بنية المساعدة وتحريك نشاط القوم فهو حسن[3].

وكان ابن المبارك يقدم من فاخر الرطب إلى إخوانه ويقول : من أكل أكثر أعطيته بكل نواة ديناراً »[4] وذلك لكسر الحياء وزيادة النشاط فى الانبساط .

وقال جعفر الصادق : « أحب إخوانى إلَيَّ أكثرهم أكلا » .

وقال أيضا : « **تبين محبة الرجل لأخيه بجودة أكله عنده** » .

(**الخامس**) ألا ينظر إلى أصحابه حال الأكل ولا يراقب أكلهم بل يغض بصره عنهم بين يديه ويشتغل بنفسه ولا يمسك عن الأكل قبل إخوانه إذا كانوا يحتشمون الأكل بعده بل يمد يده إليه ويقبضها ويتناول قليلاً قليلاً إلى أن يستوفوا فإذا كان قليل الأكل توقف فى الابتداء وقلل حتى إذا توسعوا فى الطعام أكل معهم أخيراً . كما فعل دلك كثير من الصحابة وإن إمتنع لسبب اعتذر إليهم دفعا للخجل عنهم[5].

---

(١) أى إذا أكل منفرداً .
(٢) الإحياء (ص/٦٦٢) .
(٣) الإحياء (ص/٦٦٣) .
(٤) الموضع نفسه ولكن بلفظة درهماً .
(٥) الإحياء (ص/٦٦٤) .

(الفصل الثالث)
« فى آداب تقديم الطعام إلى الإخوان »

تقديم الطعام إلى الإخوان له فضل كثير[1] قال جعفر بن محمد : إذا قعدتم مع الإخوان على المائدة فأطيلوا الجلوس ، فإنها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم .

وقال الحسن كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها إلا نفقة الرجل على إخوانه فى الطعام فإن الله يستحيى أن يسأله عن ذلك[2].

وقال المصطفى – ﷺ – : « **لا تزال الملائكة تصلى على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع** »[3].

وروى عن بعض علماء خراسان : أنه كان يقدم إلى إخوانه طعاماً كثيراً لا يقدرون على أكل جميعه ويقول : بلغنا أن رسول الله – ﷺ – قال : « **إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام ، لم يحاسب من أكل فضل ذلك الطعام** » فأنا أحب أن أستكثر مما أقدمه إليكم لنأكل فضل ذلك[4].

وفى الخبر « **لا يحاسب العبد على ما يأكله مع إخوانه** »[5].

وكان بعضهم يُكثر الأكل مع الجماعة لذلك ويقلل إذا أكل وحده .

وفى الخبر : « **ثلاث لا يحاسب عليها العبد : أكلة السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الإخوان** »[6].

---

(١) أخرج ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال : « أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وكونوا إخواناً كما أمركم الله عز وجل » وذلك فى كتاب الأطعمة ، باب إطعام الطعام ، حديث رقم (٣٢٥٢) (٢/١٠٨٣) .

(٢) الإحياء (ص/٦٦٤) .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) الإحياء (ص/٦٦٥) .

(٥) ذكره الغزالى فى الإحياء (ص/٦٦٥) ، وعلق العراقى على حديث بمعناه قائلاً : أورده الأزدى فى الضعفاء ، وأيضاً فى ترجمة سليمان بن داود الجزرى الذى قال فيه : منكر الحديث .

(٦) أخرج الديلمى بنحوه فى الفردوس حديث رقم (٢٥٠١) (٢/٩٤) ، والمتقى الهندى فى كنز العمال حديث رقم (٢٣٦٣٧) (٨/٤٥٦) .

وقال على : « لأن أجمعَ إخوانى على صاعٍ من طعام أحبّ إلىَّ من أن أعتق رقبة » .

وكان ابن عمر يقول : « **منَ كَرَم الرّجُلِ طيبُ زادِه فى سفره وبذلُه لأصحابه** »[1].

وكان الصحب يقولون : « **الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق** »[2].

وقيل : « إجتماع الإخوان على الكفاية مع الأنس والألفة ليس هو من الدنيا » .

وفى الخبر : « يقول الله – عز وجل – للعبد يوم القيامة : **(يابن آدم جعتُ فلم تطعمنى ! فيقول كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ فيقول : جاع أخوك المسلم فلم تطعمه ، ولو أطعمتَه كنتَ أطعمْتنى)**[3].

وقال عليه الصلاة والسلام : « **إذا جاءكم الزائر فأكرموه** »[4] وقال : « **إن فى الجنة غرفاً يُرى باطنها من ظاهرها ، وظاهرها من باطنها لمن ألان الكلام ، وأطعم الطعام ، وصلى والناس نيام** »[5].

وقال : « **خيركم من أطعم الطعام** »[6] وقال : « **من أطعم أخاه حتى يُشْبِعَه وسقاه حتى يُروِيَه بَعَّدَهُ الله من النار بسبعة خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام** »[7].

---

(١) انظر الإحياء (ص/٦٦٥) .

(٢) ولله در القائل :

الله يعلـم أنـه مـا سرنى
شىء كطارقة الضيوف النُّـزَّل
مازلت بالترحيب حتى خلتنى
ضيفاً له ، والضيف رَبُّ المنزل

(٣) أخرجه أحمد فى المسند (٤٠٤/٢) .

(٤) ذكره المتقى الهندى فى كنز العمال وعزاه للخرائطى فى مكارم الأخلاق ، حديث رقم (٢٥٤٨٦) (١٥٣/٩) .

(٥) أخرجه ابن حبان فى كتاب إفشاء السلام وإطعام الطعام ، باب ذكر وصف الغرف التى أعدها الله لمن أطعم الطعام ، حديث رقم (٥٠٩) (٣٦٣/١) ، وأحمد فى المسند (٣٤٣/٥) ، وذكره المتقى الهندى فى كنز العمال وعزاه للبيهقى فى الشعب وللترمذى ، حديث رقم (٤٣٤٤٩) (٨٦٧/١٥) .

(٦) ذكره السيوطى فى الجامع الصغير وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير ، حديث رقم (٣٣١٣) (١٣٠/٣) ، والمتقى الهندى فى كنز العمال حديث رقم (٢٥٨٤٦) (٢٤٤/٩) .

(٧) أخرجه الحاكم فى المستدرك وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى (١٢٩/٤) ، =

آداب الطعام فى الدخول والخروج

وأما آدابُه : فبعضُها فى الدخول ، وبعضها فى الخروج .

فأما الدخول فليس من السنة أن يقصد قوماً متربصاً لوقت طعامهم فيدخل وقت الأكل ؛ فإن ذلك من المفاجأة ، وقد نُهِىَ عنه ، قال الله – تعالى – : ﴿ **لا تَدْخُلوا بُيُوتَ النَّبِىِّ إلا أَن يُؤْذَنَ لَكُم إِلَى طَعَامٍ غير ناظرين إِنَاهُ** ﴾[1] يعنى منتظرين حينَه ونُضْجَه .

وفى الخبر : « **من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما** »[2] ولكن حق الداخل إذا لم يتربص واتفق أن صادفهم على الطعام ، ألا يأكل ما لم يؤذن له ، فإذا قيل له : كُلْ ، نظر ، فإن علم أنهم يقولون عن محبة لمساعدته فليساعد .

وإن كانوا يقولونه حياء منه فلا ينبغى له أن يأكل بل يتعلل .

أما إذا كان جائعا فقصد بعضَ إخوانه ليطعمه و لم يتربص وقت أكله فلا بأس به .

قصد رسول الله – ﷺ – وأبو بكر وعمر منزلَ أبى الهيثم بن التيهان وأبى أيوب الأنصارى لأجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا ، والدخول على مثل هذه الحالة إعانةُ ذلك المسلم على حيازة ثواب الإطعام وهى عادة السلف[3].

كان عون بن عبد الله المسعودى[4] له ثلثمائة وستون صديقاً يدور عليهم فى السنة ، ولآخر ثلاثون يدور عليهم فى الشهر . ولآخر سبعة يدور عليهم فى الجمعة

= والمتقى الهندى فى كنز العمال ، حديث رقم (٢٥٨٥٠) (٢٤٤/٩) .

(١) الأحزاب : ٥٣ .

(٢) أخرج أبو داود نحوه بلفظ « من دخل على غير دعوة دخل سارقاً وخرج مغيراً » ، حديث رقم (٣٧٤١) (٣٤١/٣) ، وذكره الغزالى فى الإحياء (ص ٦٦٦) .

(٣) إحياء (ص/٦٦٧) .

(٤) عون بن عبد الله (... – نحو ١١٥ هـ = ... – نحو ٧٣٣ م) . هو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى . خطيب ، راوية ، شاعر ، كان من آدب أهل المدينة . وسكن الكوفة فاشتهر فيها بالعبادة والقراءة ، وكان يقول بالإرجاء ، ثم رجع ، وخرج مع ابن الأشعث ثم هرب ، وصحب عمر بن عبد العزيز فى خلافته انظر الأعلام (٩٨/٥) ، وحلية الأولياء (٢٤٠/٤) ، وتهذيب التهذيب (١٥٣/٨) ، وسير أعلام النبلاء (١٠٣/٥) .

فكان إخوانهم يعولونهم وبدلاً عن كسبهم .

وكان قيام أولئك بهم على قصد التبرك عبادة لهم . فإن دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقاً بصداقته ، عالما بسروره إذا أكل من طعامه فله أن يأكل بغير إذنه ؛ إذ المراد من الإذن الرضى لاسيما فى الأطعمة ، وأمرها على السعة فرب رجلٍ يصرح بالإذن ويحلف وهو غير راضٍ ، فأكل طعامه مكروه ، ورب غائب لم يأذن ، وأكل طعامه محبوب وقد قال تعالى : ﴿ **أو صديقكم** ﴾[1] ودخل النبى – عليه السلام – دار بَرِيرة وأكل طعامها وهى غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال : « **بلغت الصدقةُ محلّها** »[2] وذلك لعلمه بسرورها بذلك ، فذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان اكتفاء بعلمه بالإذن فإن لم يعلم فلابد من الاستئذان أولا ، ثم الدخول وكان محمد ابن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير إذن فيدخل الحسن فيرى ذلك فيُسر ويقول : هكذا كنا .

وروى عن الحسن أنه كان قائما يأكل من طعام بقال يأخذ من هذه الجونة[3] تينة ومن هذه فستقة فقال هشام : ما بدا لك يا أبا سعيد فى الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه فقال : يا لُكَع أُتْلُ علىَّ آية الأكل فتلاها إلى قوله : ﴿ **أو صديقكم** ﴾ فقال : فمن الصديق يا أبا سعيد ؟ فقال : من اسْتَرْوَحَتْ إليه النفسُ واطمأنّ إليه القلب .

وجاء قوم إلى منزل سفيان الثورى[4] فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة ،

---

(١) النور : ٦١ .

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى (١/٣٩٠) ، وعلق العراقى عليه فى الإحياء قائلاً : حديث دخل رسول الله ﷺ دار بريرة وأكل طعامها وهى غائبة وكان من الصدقة فقال : بلغت الصدقة مكانها : متفق عليه من حديث عائشة أهدى لبريرة لحم فقال النبى ﷺ : هو لها صدقة ولنا هدية ، وأما قوله : بلغت محلها فقاله فى الشاة التى أعطيتها نسيبة من الصدقة وهو متفق عليه أيضا من حديث أم عطية انظر هامش إحياء علوم الدين (ص/٦٦٧) .

(٣) الجونة : وهى سُليلة (تصغير سلة) مستديرة مُغشّاة بالجلد يحفظ العطار فيها الطِّيبَ .

(٤) سفيان الثورى (٩٧ – ١٦١ هـ = ٧١٦ – ٧٧٨ م) . هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى ، من بنى ثور بن عبد مناة ، من مضر ، أبو عبد الله : أمير المؤمنين فى الحديث . كان سيد أهل زمانه فى علوم الدين والتقوى . ولد ونشأ فى الكوفة ، وراوده المنصور العباسى على أن يلى الحكم ، فأبى ، وخرج من الكوفة (سنة ١٤٤ هـ) فسكن مكة والمدينة ، ثم طلبه المهدى فتوارى . وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً ، له من الكتب « الجامع الكبير » و« الجامع الصغير » كلاهما فى الحديث .. إلخ انظر الأعلام (٣/١٠٤) ، وتهذيب التهذيب (٤/٩٩) . ومعجم المؤلفين (٤/٢٣٤) .

وجعلوا يأكلون فدخل الثورى فجعل يقول : ذكّرتمونى أخلاق السلف هكذا كانوا .

وزار قوم بعض التابعين ، ولم يكن عنده ما يقدّمه إليهم فذهب لمنزل بعض إخوانه فلم يصادفه فدخل فوجد قِدْراً قد طبخها وخبزاً خبزه فحمل ذلك وقدمه لأصحابه وقال : كلوا ، فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل له : أخذه فلان فقال : قد أحسن ، فلما لقيه قال : يا أخى ، إن عادوا فعد . فهذه آداب الدخول .

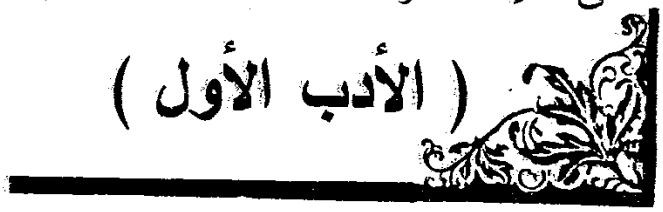

(الأدب الأول)

آداب التقديم :

وأما آداب التقديم : فترك التكلف وتقديم ما حضر . فإن لم يحضره شيء ، ولم يملك شيئا ، لا يستقرض لأجل ذلك فيشق على نفسه وإن حضره ما يحتاج إليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم فالذى ينبغى ألا يقدمه .

دخل بعضهم على « زاهد » وهو يأكل فقال : لولا أنى أخذته بِدَينْ لأطعمتكم .

وقال بعض السلف : التكلف ألا تطعم أخاك ما لا تأكله أنت بل تقصد زيادة عليه فى الجودة والقيمة .

وكان الفُضَيل[1] إنما يقاطع الناس بالتكلف بدعوة أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه .

وقال بعضهم : ما أبالى بمن أتانى من إخوانى فإنى لا أتكلف له إنما أقرّب ما عندى ، ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته .

وقال بعضهم : كنت أدخل على أخ لى فيتكلف فقلت له : إنك لا تأكل وحدك هذا ولا أنا فما بالنا إذا اجتمعنا أكلناه فإما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع المجيء فقطع التكلف ، ودام اجتماعنا بسببه .

---

(١) الفُضَيل بن عياض (١٠٥ - ١٨٧) هـ = ٧٢٣ - ٨٠٣ م) . هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى اليربوعى ، أبو على : شيخ الحرم المكى ، من أكابر العباد الصلحاء . كان ثقة فى الحديث ، أخذ عنه خلق ، منهم الإمام الشافعى ، ولد فى سمرقند ، ونشأ بأبيورد ، ودخل الكوفة وهو كبير ، وأصله منها . ثم سكن مكة وتوفى بها من كلامه : « من عرف الناس استراح » . الأعلام (٥/١٥٣) .

ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده فيُجحف بعياله ويؤذى قلوبهم ! روى أن رجلا دعا علياً فقال : أجبتك على ثلاث شرائط : لا تُدخل من السوق شيئا ، ولا تدخر ما فى البيت ، ولا تُجحف بالعيال .

وكان بعضهم يقدم من كل ما فى بيته شيئاً فلا يترك نوعا إلا ويحضر منه شيئا

وقال بعضهم : دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم إلينا خبزا وخَلًّا وقال : لولا أن نُهينا عن التكلف لتكلفت لكم »[1].

وقال بعضهم : إذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر وإذا استزدت فلا تُبْقِ ولا تذر وقال : أُمرنا رسول الله ألا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حَضَرنا »[2].

وفى حديث يونس النبى – عليه السلام – أنه زاره إخوانه فقدم إليهم كسراً وجَزّ لهم بقلاً كان يزرعه ثم قال : كلوا لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم .

عن أنس بن مالك[3] وغيره من الصحابة أنهم كانوا يقدمون ما حضر من الأكل من الكِسَر اليابسة وحشَف التمر ويقولون : لا ندرى أيهما أعظم وِزْرًا : الذى يحتقر ما يقدم إليه ، أو الذى يحتقر ما عنده أن يقدمه .

(الأدب الثانى)

وهو للزائر ألا يقترح ولا يحتكم بشىء بعينه ، فربما يشق على المَزُورِ إحضاره ، فإن خيَّره أخوه بين طعامين فليختر أيسرهما عليه كذلك السُّنَّةُ :

---

(١) أخرجه الحاكم بنحوه وقال الذهبى . سنده لين وذلك فى كتاب الأطعمة (١٢٣/٤) وجابر بن عبد الله (١٦ ق هـ – ٧٨ هـ = ٦٠٧ – ٦٩٧ م) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجى الأنصارى السلمى : صحابى ، من المكثرين فى الرواية عن النبى ﷺ ، وروى عنه جماعة من الصحابة . له ولأبيه صحبة . غزا تسع عشرة غزوة . وكانت له فى أواخر أيامه حلقة فى المسجد النبوى يؤخذ عنه العلم ، روى له البخارى ومسلم وغيرهما ١٥٤٠ حديثاً . الأعلام (١٠٤/٢) .

(٢) أخرجه أحمد فى المسند من حديث سلمان الفارسى (٤٤١/٥) .

(٣) أنس بن مالك (١٠ ق هـ – ٩٣ هـ = ٦١٢ – ٧١٢ م) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجارى الخزرجى الأنصارى أبو ثمامة ، أو أبو حمزة : صاحب رسول الله ﷺ وخادمه روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً . مولده بالمدينة وأسلم صغيراً وخدم النبى ﷺ إلى أن قبض ، ثم رحل إلى دمشق ومنها إلى البصرة ، فمات فيها . وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة ، الأعلام (٢٤/٢ ، ٢٥) .

فى الخبر أنه ما خُيِّرَ رسولُ اللهِ بين شيئين إلا اختار أيسرهما[1].

وروى الأعمش عن أبى وائل أنه قال : مضيت مع صاحب لى نزور سلمان ، فقدم إلينا خبز شعير ومِلحا جريشا فقال : صاحبى لو كان فى هَذا الملح سعتر[2] كان أطيب ، فخرج سلمان ورهن مطهرته وأخذ لهما سعترا فلما أكل قال صاحبى : « الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا » فقال سلمان : لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتى مرهونة .

هذا إذا توهم تعذر ذلك على أخيه أو كراهته له فإن علم أنه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح . فإن الشافعى فعل ذلك مع الزعفرانى[3] إذ كان نازلاً عليه ببغداد وكان الزعفرانى يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلمها إلى الجارية فأخذ الشافعى الرقعة فى بعض الأيام وألحق فيها لونا آخر بخطه فلما رأى الزعفرانى ذلك اللون أنكره وقال : ما أمرت بهذا فعرضت عليه خط الشافعى ملحقا بالرقعة فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك وأعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعى عليه .

قال أبو بكر الكتانى دخلت على السرىّ فجاء بفتيت وأخذ يجعل نصفه فى القدح فقلت له : أيش هو ذا يعمل ؟ أنا أشربه كله فى مرة واحدة فضحك وقال : هذا أفضل لك من حجة .

وقال بعضهم الأكل على ثلاثة أقسام : مع الفقراء بالإيثار ، ومع الإخوان بالانبساط ، ومع أبناء الدنيا بالأدب .

(الأدب الثالث)

أن يشهى المزور أخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح ، فذلك حسن وفيه أجر وفضل جزيل قال المصطفى - ﷺ - : « **من**

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب الأدب ، باب فى التجاوز فى الأمر حديث رقم (٤٧٨٥) (٤/٢٥٠) وذكره المتقى الهندى فى كنز العمال من حديث عائشة ، وله بقية ، حديث رقم (١٨٧١٣) (٧/٢٢١) .

(٢) السعتر : نوع من النبات طيب الرائحة يضاف إلى الفطائر والعجائن والملح .

(٣) ابن الصبَّاح الزعفرانى (... - ٢٥٩ هـ = ... - ٨٧٣ م) هو الحسن بن محمد بن الصباح البزار الزعفرانى البغدادى : فقيه ، من رجال الحديث ، ثقة . كان راوياً للإمام الشافعى يقال : لم يكن فى وقته أفصح منه ولا أبصر باللغة منه ، نسبته إلى الزعفرانية (قرب بغداد) الأعلام (٢/٢١٢) .

صادف من أخيه شهوة غفر له ، ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله – جل وعلا – »[1].

وقال فيما رواه جابر : « من لذذ أخاه بما يشتهى كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه من ثلاث جنات : جنة الفردوس ، وجنة عدن ، وجنة الخلد »[2].

(الأدب الرابع)

ألا يقول : هل أقدم لك طعاما ؟ بل ينبغى أن يقدم إن كان .

قال الثورى : إذا زارك أخوك فلا تقل أتأكل ؟ أو أقدم إليك ؟ ولكن قدم فإن أكل وإلا فارفع وإن كان لا يريد أن يطعمهم طعاما فلا ينبغى أن يظهرهم عليه أو يصف لهم .

قال الثورى : إلّا تطعم عيالك مما تأكله فلا تحدثهم به ولا يرونه معك .

قال بعض الصوفية : « إذا دخل عليكم الفقراء فقدموا إليهم طعاما وإذا دخل الفقهاء فاسألوهم عن مسألة ، وإذا دخل القراء فدلوهم على المحراب » .

(الفصل الرابع)
« فى آداب الضيافة »

ومظان الآداب فيها ستة : الدعوة أولاً ، ثم الإجابة ، ثم الحضور ، ثم تقديم الطعام ، ثم الأكل ، ثم الانصراف .

(١) أخرجه ابن الجوزى مختصراً فى الموضوعات ، بلفظ « من وافق » . وقال : هذا حديث موضوع ، قال أحمد بن حنبل : حرقنا حديث عمر أبى حفص وقال يحيى : ليس بشىء ، وقال النسائى : متروك الحديث ، وذلك فى كتاب فعل المعروف ، باب فى موافقة شهوة المسلم (١٧٢/٢) ، ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ، وعزاه للطبرانى والبزار وفيه زياد بن غير النميرى وثقه ابن حبان وقال : يخطىء وضعفه غيره . وفيه من لم أعرفه انظر مجمع الزوائد للهيثمى فى كتاب الأطعمة ، باب فيمن وافق من أخيه شهوة (١٨/٥) .

(٢) أخرجه ابن الجوزى مختصراً فى الموضوعات ، وقال : قال أحمد بن حنبل : هذا باطل ، هذا كذاب . يعنى محمد بن نعيم وقال أبو حاتم الرازى : هو مجهول ، فى كتاب فعل المعروف ، باب فى موافقة شهوة المسلم (١٧٢/٢) .

ولْنُقْدِم على شرحها إن شاء الله .

فضيلة الضيافة : قال – ﷺ – : « **لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فإنه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله** »[1].

وقال – عليه السلام – : « **لا خير فيمن لا يُضيف** »[2] ومرّ رسول الله برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضفه ، ومر بامرأة لها شُوَيهات فذبحت له فقال – عليه السلام – : « **انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خلقا حسناً فعل** »[3].

وقال أبو رافع مولى رسول الله[4]: « إنه نزل به ضيف فقال قل لفلان اليهودى : نزل بى ضيف فأسلفنى شيئاً من الدقيق إلى رجب ، فقال اليهودى : والله ما أسلفه إلا برهن فأخبرته فقال : والله إنى لأمين فى السماء أمين فى الأرض ولو أسلفنى لأديته فاذهب بدرعى وارهنها عنده »[5].

وكان إبراهيم الخليل – عليه السلام – إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى أبا الضيفان ، ولصدق نيته دامت ضيافته فى مشهده[*] إلى يومنا هذا فلا ينقضى يوم إلا ويأكل عنده جماعة ما بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة وقال قَوّام الموضع[6]: إنه لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف .

وسئل رسول الله – ﷺ – فى الكفارات ما الإيمان ؟ فقال : « **إطعام الطعام**

---

(١) ذكره المتقى الهندى فى كنز العمال بلفظ « لا يتكلفن أحد لضيفه مالا يقدر » وعزاه للبيهقى فى الشعب من طريق سلمان ، حديث رقم (٢٥٨٧٦) (٢٤٨/٩) .

(٢) أخرجه أحمد فى المسند عن عقبة بن عامر (١٥٥/٤) .

(٣) أخرجه ابن أبى الدنيا فى مكارم الأخلاق ، حديث رقم (٣١) وقال محققه : إسناده مرسل .

(٤) رافع مولى النبى ﷺ ، يكنى أبا البهى ، له ذكر فى حديث أخرجه ابن ماجه والبلاذرى وابن أبى عاصم فى الأدب والحسن بن سفيان فى مسنده كلهم عن هشام بن عمار وعن يحيى بن حمزة عن زيد بن واقد عن مغيث بن سمى عن عبد الله بن عمرو قال : قلت : يا رسول الله من خير الناس ؟ قال « ذو القلب المخموم واللسان الصادق فذكر الحديث ، وفيه فقلنا ما نعرف هذا فينا إلا رافعاً مولى النبى ﷺ » انظر ترجمته فى الإصابة فى تمييز الصحابة للعسقلانى (٥٠٠/١) والقلب المخموم : الذى ليس به حقد أو غل أو حسد .

(٥) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه كما فى كنز العمال ، حديث رقم (١٥٧٥٥) .

(٦) القوّام : الحسن القيام بالأمور ، فقوام الموضع هو الرجل الذى يقوم على خدمة الموضع الذى كان إبراهيم يضيف فيه الضيفان . * المشهد : الضريح ، وهو يقصد أن كرم إبراهيم عليه السلام لم ينقطع حتى بعد موته .

وبذل السلام »[1] وقال فى الكفارات والدرجات : « **إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام** »[2].

وسئل عن الحج المبرور فقال : « **إطعام الطعام وطيب الكلام** »[3].

وقال أنس : كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة » .

والأخبار الواردة فى فضل الضيافة والإطعام لا تحصى فلنذكر آدابها .

آداب الضيافة :

أما الدعوى فينبغى الداعى أن يقصد بدعوته الأتقياء دون الفساق قال – عليه السلام – فى دعائه لمن دعا له : « **أكل طعامك الأبرار** »[4] وقال : « **لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى** »[5] ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص .

قال المصطفى – ﷺ – : « **شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليه الأغنياء دون الفقراء** »[6].

وينبغى ألا يهمل أقاربه فى ضيافته فإن إهمالهم إيحاش وقطع رحم .

---

(١) أخرجه ابن ماجه فى كتاب الأطعمة ، باب إطعام الطعام حديث رقم (٣٢٥٣) (١٠٨٣/٢) ، والترمذى بنحوه فى كتاب الأطعمة باب ما جاء فى فضل إطعام الطعام ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب (٤٤/٨) .

(٢) أخرجه ابن ماجه فى كتاب الأطعمة ، باب إطعام الطعام حديث (٣٢٥١) (١٠٨٣/٢) .

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسط بلفظ « أطعموا الطعام وأطيبوا الكلام » ، وفيه عمرو بن ثابت البكرى وهو متروك ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى وذلك فى كتاب الأطعمة ، باب إطعام الطعام (١٧/٥) ، وذكره المتقى الهندى فى كنز العمال (١٧/٥) .

(٤) أخرجه أبو داود فى كتاب الأطعمة ، وله بقية ، وذلك فى باب ما جاء فى الدعاء لرب الطعام (إذا أكل عنده) ، حديث رقم (٣٨٥٤) (٣٦٧/٣) ، وابن ماجه فى كتاب الصيام ، باب فى ثواب من فطر صائماً ، حديث رقم (١٧٤٧) (٥٥٦/١) .

(٥) أخرجه الترمذى بلفظ « لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى » ، وقال : هذا حديث حسن إنما نعرفه من هذا الوجه وذلك فى كتاب الزهد ، باب ما جاء فى صحبة المؤمن (٢٤٢/٩) وأحمد فى المسند (٣٨/٣) .

(٦) أخرجه البخارى فى كتاب النكاح ، باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله (٢٥٥/٣) ، وابن ماجه فى كتاب النكاح ، باب إجابة الداعى حديث رقم (١٩١٣) (٦١٦/١) .

وكذا يراعى الترتيب فى أصدقائه ومعارفه فإن فى تخصيص البعض إيحاشا للباقين .

وينبغى ألا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الإخوان والتسنن بسنة النبى — ﷺ — فى إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين وألا يدعو إلا من يحب إجابته .

قال سفيان الثورى : من دعا إلى طعام وهو يكره الإجابة فعليه خطيئة ، فإن أجاب المدعو فعليه خطيئتان ؛ لأنه حمله على الأكل مع الكراهة ولو علم ما كان يأكله .

وإطعام التقى إعانة له على الطاعة وإطعام الفاسق تقوية له على الفسق قال خياط لابن المبارك[1]: أنا أخيط ثياب السلاطين فهل يخاف أن أكون من أعوان الظلمة ؟ قال : لا إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والإبر أما أنت فمن الظلمة أنفسهم .

أما الإجابة : فهى سنة مؤكدة وقد قيل بوجوبها فى بعض المواضع قال — عليه السلام — : **لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلَّى ذراع لقبلت** »[2].

وللإجابة خمسة آداب : « **الأدبُ الأول** » ألا يميز الغنى بالإجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهى عنه ؛ ولذلك امتنع بعضهم عن أصل الإجابة[3] وقال انتظار المرقة ذل .

وقال بعضهم : إذا وضعت يدى فى قصعة غيرى فقد ذلت له رقبتى ومن المتكبرين من يجيب الأغنياء دون الفقراء وهو خلاف السنة كان — عليه السلام — يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين . ومرّ الحسن بن على — رضى الله عنهما — بقوم من المساكين الذين على قارعة الطريق

---

(١) ابن المبارك (١١٨ - ١٨١ هـ = ٧٣٦ - ٧٩٧ م) . هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى بالولاء ، التميمى ، المروزى أبو عبد الرحمن : الحافظ ، شيخ الإسلام ، المجاهد التاجر ، صاحب التصانيف والرحلات . أفنى عمره فى الأسفار ، حاجاً ومجاهداً وتاجراً وجمع الحديث ، والفقه ، والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء كان من سكان خراسان ، ومات بهيت (على الفرات) منصرفاً من غزو الروم . له كتاب فى « الجهاد » وهو أول من صنف فيه ، الأعلام (٤/١١٥) .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب النكاح ، باب من أجاب إلى الكراع (٣/٢٥٦) وأحمد فى المسند (٢/٤٢٤) ، والديلمى فى الفردوس ، حديث رقم (٥٠٤٥) (٣/٣٤٦) ، والمتقى الهندى فى كنز العمال حديث رقم (٢٥٩٢٠) (٩/٢٥٥) ، وقوله « كراع » بضم الكاف وتخفيف الراء وآخره عين مهملة : هو مستدق الساق من الرجل ومن حد الرسغ من اليد . وهو من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس والبعير وقيل الكراع ما دون الكعب من الدواب . وقال ابن فارس : كراع كل شىء طرفه .

(٣) وفى موانع الإجابة قال رسول الله ﷺ : « المتباريان لا يجابان ولا يؤكل طعامهما » ، ذكره المتقى الهندى فى كنز العمال وعزاه للبيهقى فى الشعب ، حديث رقم (٢٥٩٣١) (٩/٢٥٨) والمتباريان المتعارضان بفعلهما للمباهاة والرياء .

وقد نشروا كسرا على الأرض فى الرمل وصاروا يأكلون منها وكان الحسن راكباً على بغلته فسلم عليهم فقالوا له : هلم الغداء يابن بنت رسول الله فقال : نعم إن الله لا يحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل ، ثم سلم عليهم ، وركب وقال : قد أجبتكم فأجيبونى قالوا : نعم فوعدهم وقتاً معلوما فحضروا فقدم إليهم طعاما وجلس يأكل معهم .

ورسول الله كان يحضر لعلمه بأن الداعى له يتقلد مِنّةً . ويرى ذلك شرفاً وذُخْراً لنفسه فى الدنيا والآخرة ، وهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به أنه يستثقل الإطعام وإنما يفعله مباهاة أو تكلفاً فليس من السنة إجابته بل الأولى التعلل(*) ولذا قال : بعض الصوفية لا يجب إلا دعوة من يرى أنك أكلت رزقك وأنه سلمه إليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه فى قبول تلك الوديعة منه .

وقال سرى السقطى(١): آه على لقمة ليس علىَّ فيها لله تبعة ولا لمخلوق فيها منة فإذا علم المدعو أنه لا مِنّة فلا ينبغى أن يرد .

قال أبو تراب النخشبى(٢): عرض علىَّ طعام فامتنعت فبليت بالجوع أربعة عشر يوما فعلمت أنه عقوبة .

---

* أى إيجاد مبرر وعلة لعدم تلبية الدعوة .

(١) السَّرِىّ السقطى (... - ٢٥٣ هـ = ... - ٨٦٧ م) هو سرىّ بن المغلس السقطى ، أبو الحسن : من كبار المتصوفة بغدادي المولد والوفاة . وهو أول من تكلم فى بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية ، وكان إمام البغداديين وشيخهم فى وقته ، وهو خال الجنيد ، وأستاذه ، قال الجنيد : ما رأيت أعبد من السرىّ ، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤى مضطجعاً إلا فى علة الموت ، من كلامه : « من عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز ، الأعلام (٨٢/٣) .

(٢) أبو تراب النخشبى (... - ٢٤٥ هـ = ... - ٨٥٩ م) هو عسكر بن الحصين (أو ابن محمد بن الحسين) النخشبى . أبو تراب : شيخ عصره فى الزهد والتصوف ، اشتهر بكنيته حتى لا يكاد يعرف إلا بها ، وهو من أهل « نخشب » من بلاد ما وراء النهر ، قال المناوى : عربت فقيل لها نسف . كتب كثيراً من الحديث وأخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل وآخرون ... ومات بالبادية ، قيل : نهشته السباع الأعلام (٢٣٣/٤) .

وقيل لمعروف الكرخى[1]: كل من دعاك تمشى إليه ؟ فقال : أنا ضيف أنزل حيث أنزلونى .

« **الثانى** » أنه لا ينبغى أن يمتنع عن الإجابة لبعد المسافة ، كما لا يمتنع لفقر الداعى وعدم جاهه . بل متى كانت مسافة يمكن احتمالها فى العادة لا ينبغى أن يمتنع فيها ونقل عن التوراة أو بعض الكتب أنه قيل : سِر ميلاً عُد مريضاً . سر ميلين شيع جنازة ، سر ثلاثة أميال أجب دعوة ، سر أربعة أميال زُر أخاً فى الله .

وإنما قدم إجابة الدعوة على الزيارة لأن فيها قضاء حق الحي فهو أولى من الميت . وقال – عليه السلام – : « **لو دعيت إلى كُراع بالغميم لأجبت** »[2] وهو موضع على أميال من المدينة ، أفطر فيه المصطفى فى رمضان لما بلغه وقصر[3] فى سفره .

« **الثالث** » ألا يمتنع لكونه صائما بل يحضر فإن كان يسر أخاه إفطاره فليفطر بنية إدخال السرور على قلب أخيه ، وله ما يحتسب فى الصوم وأفضل ، وذلك فى صوم التطوع وإن لم يتحقق سرور قلبه به ، فليصدقه بالظاهر ، وليفطر وإن تحقق أنه متكلف ، فليتعلل قال النبى لمن امتنع بعذر الصوم : « **تكلَّف لك أخوك وتقُولُ إنى صائِمٌ** »[4] وقد قال ابن عباس : من فضل الحسنات إكرام الجلساء فالإفطار عبادة بهذه النية وحسن خلق فثوابه فوق ثواب الصوم فإذا لم يفطر فضيافته الطيب ، والمجمرة[*] ، والحديث الطيب ؛ فقد قيل : الكحل والدّهن أحد القراءين[**].

---

(١) معروف الكرخى (... – ٢٠٠ هـ = ... – ٨١٥ م) . هو معروف بن فيروز الكرخى ، أبو محفوظ : أحد أعلام الزهاد والمتصوفين كان من موالى الإمام علي الرضى بن موسى الكاظم . ولد فى كرخ بغداد ونشأ وتوفى ببغداد . اشتهر بالصلاح وقصده الناس للتبرك به حتى كان الإمام أحمد بن حنبل فى جملة من يختلف إليه ، ولابن الجوزى كتاب فى « أخباره وآدابه » الأعلام (٢٦٩/٧) .

(٢) تقدم بنحوه .

(٣) علق العراقى عليه فى هامش الإحياء قائلاً : حديث قصره ﷺ فى سفره عند كراع الغميم ، لم أقف له على أصل ، وللطبرانى فى الصغير ، من حديث ابن عمر ، كان يقصر الصلاة بالعقيق ، يريد إذا بلغه ، وهذا يرد الأول لأن بين العقيق وبين المدينة ثلاثة أميال أو أكثر وكراع الغميم بين مكة وعسفان . انظر هامش إحياء علوم الدين (ص/٦٧٤) .

(٤) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى وذلك فى كتاب الصيام ، باب التخيير فى القضاء إن كان صومه تطوعاً (٢٧٩/٤) والمتقى الهندى فى كنز العمال ، حديث رقم (٢٥٨٩٩) (٢٥٢/٩) .

* المجمر : ما يوضع فيه الجمر مع البخور – والعود يُتبخر به وجمعها مجامر .

** قرى الضيف قِرىً ، وقراءً : أضافه وأكرمه .

« **الرابع** » أن يمتنع عن الإجابة إن كان الطعام فيه شبهة أو الموضع أو البساط المفروش من غير حلال ، أو كان يقام فى الموضع منكر من فرش ديباج أو إناء فضة[1] أو تصوير حيوان[2] على سقف أو حائط أو سماع شيء من الملاهى أو التشاغل بنوع من اللهو والهزل واللعب كل ذلك مما يمنع الإجابة واستحبابها ويوجب حرمتها أو كراهتها وكذا إذا كان الداعى ظالما أو مبتدعا أو فاسقاً[3] أو شريراً أو متكلفا طالبا للمباهاة والفخر .

« **الخامس** » ألا يقصد بالإجابة قضاء شهوة البطن ، فيكون عاملاً فى أبواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالإجابة عاملاً للآخرة ؛ وذلك بأن ينوى الاقتداء بسنة النبى – عليه السلام – فى قوله : « **لو دعيت إلى كراع لأجبت** »[4]. وينوى الحذر من معصية الله لقوله – عليه السلام – : « **من لم يجب الداعى فقد عصى الله ورسوله** »[5]. وينوى إكرام أخيه المؤمن اتباعا لقول المصطفى – ﷺ – « **من أكرم أخاه المؤمن فإنما يكرم الله**[6]، **وينوى إدخال السرور على قلبه امتثالا لقول المصطفى** – ﷺ – « **مَنْ سر مؤمناً فقد سر الله عز وجل** »[7] وينوى مع ذلك زيارته ليكونا من المتحابين فى الله إذ شرط رسول الله فيه التزاور ، والتباذل لله ، وقد حصل البذل من أحد الجانبين ، فتحصل الزيارة من جانبه أيضاً ، وينوى صيانة نفسه

---

(١) أخرج أحمد والطبرانى بعضه أن معاوية قال لنفر : أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ نهى عن الشرب فى آنية الفضة قالوا : اللهم نعم قال : وأنا أشهد » ورجال أحمد رجال الصحيح خلا أبا شيخ الهنائى وهو ثقة ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى فى كتاب الأشربة ، باب الشرب فى آنية الذهب والفضة (٧٦/٥) .

(٢) أخرج ابن ماجه عن علىٍّ أنه قال : صنعت طعاماً . فدعوت رسول الله ﷺ ، فجاء فرأى فى البيت تصاوير فرجع » . وذلك فى كتاب الأطعمة ، باب إذا رأى الضيف منكراً رجع ، حديث رقم (٣٣٥٩) (١١١٤/٢) .

(٣) أخرج الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب عن عمران أن رسول الله ﷺ «نهى عن إجابة الفاسقين» انظر كنز العمال للمتقى الهندى حديث رقم (٢٥٩٣٣) (٢٥٨/٩) .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) أخرجه أبو داود فى كتاب الأطعمة ، باب ما جاء فى إجابة الدعوة وقال : أبان بن طارق مجهول ، حديث رقم (٣٧٤١) (٣٤١/٣) ، وذكره المتقى الهندى فى كنز العمال ، حديث رقم (٢٥٩٢٥) (٢٥٦/٩) .

(٦) ذكره المتقى الهندى فى كنز العمال بلفظ « من أكرم امرأ مسلماً فإنما يكرم الله تعالى ، وعزاه للطبرانى فى الأوسط ، حديث رقم (٤٣٠٨٨) (٧٨٢/١٥) .

(٧) ذكر المتقى الهندى بنحوه فى كنز العمال وعزاه لأبى الحسين بن شمعون فى أماليه ، حديث رقم (١٦٤١٣) (٤٣٢/٦) .

إيذاءَ خلق ، أو استحقار أخ مسلم ، أو ما يجرى مجراه ، فهذه ست نيات تلحق إجابته بالقربات آحادها فكيف مجموعها ؟ ، وكان بعض السلف يقول : « أنا أحب أن يكون لى فى كل عمل نية ، حتى فى الطعام والشراب » .

وفى مثل هذا قال المصطفى - ﷺ - « **إنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه** »[1] والنية إنما تؤثر فى المباحات والطاعات ، أما المحرم فلا ، فإنه إن نوى أن يسر إخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر ، أو حرام آخر ، لم ينفع النية . ولم يجز أن يقال : « الأعمال بالنيات » بل لو قصد بالغزو الذى هو طاعة ، المباهاة وطلب المال ، انصرف عن جهة الطاعة وكذا المباح المَرَدّد بين وجوه الخيرات وغيرها يلتحق بوجوه الخيرات بالنيات فتؤثر النية فى هذين القسمين ، لا فى القسم الثالث .

(**وأما الحضور**) فأدبه أن يدخل الدار ولا يتصدر فيأخذ أحسن الأماكن بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم ، ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ، ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة بل إن أشار صاحب الدار بموضع لم يخالفه وإن أشار إليه بعض الحاضرين بالارتفاع إكراماً فليتواضع قال - عليه السلام - « **إن من التواضع لله الرضى بالدون من المجلس** »[2] ولا ينبغى أن يجلس فى مقابلة باب حجرة النساء وسترهن ولا يكثر النظر إلى الموضع الذى يخرج منه الطعام فإنه دليل على الشره ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه إذا جلس وإذا أدخل ضيفا للمبيت. فلْيُعَرِّفْه صاحبُ الدار عند الدخول القبلةَ وبيتَ الخلاء وموضع الوضوء كذا فعل مالك بالشافعى .

آداب إحضار الطعام :

(وأما إحضار الطعام) فله آداب خمسة .

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحى ، باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ (٦/١) ، ومسلم فى كتاب الإمارة ، واللفظ له ، باب قوله ﷺ « إنما الأعمال بالنية » ، حديث رقم (١٥٥) (١٥١٥/٣) .
(٢) ذكره السيوطى فى الجامع الصغير ، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير . وعزاه إلى البيهقى فى الشعب والطبرانى فى الكبير ، حديث رقم (١٩٩٠) (١٩٣/٢) .

« **الأول** » تعجيل الطعام فذلك من إكرام الضيف .

قال – عليه السلام – : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه** »[1] ومهما حضر الأكثرون وغاب واحد أو اثنان عن الوقت المدعوِ فحق الحاضرين فى التعجيل أولى من حق أولئك فى التأخير إلا أن يكون المتأخر فقيراً أو ينكسر قلبه بذلك فلا بأس بالتأخير ما لم يفحش ؛ فقد قيل : قلوب الأبرار لا تحتمل الانتظار وأحد المعنيين فى قوله تعالى : ﴿ **هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المُكْرَمِينَ** ﴾ أنهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم دل عليه قوله : ﴿ **فما لَبِثَ أن جاء بعِجْلٍ حنيذ** ﴾ وقوله : ﴿ **فَرَاغَ إلى أهله فجاء بعجلٍ سَمِينٍ** ﴾[2] والروغان : الذهاب بسرعة . وقيل : فى خفية وقيل : جاء بفَخِذٍ من لحم : وإنما سمى عجلا لأنه عَجّلَه ، و لم يلبث .

وقال حاتم الأصم[3]: العجلة من الشيطان[4] إلا فى خمس ؛ فإنها من سنة رسول الله : إطعام الضيف ، وتجهيز الميت ، وتزويج البكر ، وقضاء الدَّيْن والتوبة من الذنب .

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الأدب ، وله بقية ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (٥٤/٤) ، ومسلم فى كتاب الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير ، حديث رقم (٧٤) (٦٨/١) .

(٢) وفى تفسير هذه الآية قال ابن كثير : وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة ولم يمتن عليهم أولاً فقال نأتيكم بطعام ؛ بل جاء به بسرعة وخفاء وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل فتى سمين مشوى فقربه إليهم لم يضعه وقال : اقتربوا ؛ بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أمراً يشق على سامعه بصيغة الحزم ؛ بل قال ﴿ ألا تأكلون ﴾ على سبيل العرض والتلطف كما يقول القائل اليوم : إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل ، انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٥٢/٤) ، والآيات على التوالى الأولى من سورة الذاريات رقم (٢٤) ، والثانية من هود رقم (٦٩) ، والثالثة من الذاريات رقم (٢٦) .

(٣) حاتم الأصم (... – ٢٣٧ هـ = ... – ٨٥١ م) . هو حاتم بن عنوان ، أبو عبد الرحمن ، المعروف بالأصم : زاهد اشتهر بالورع والتقشف . له كلام مدون فى الزهد والحكم من أهل بلخ ، زار بغداد واجتمع بأحمد بن حنبل ، وشهد بعض معارك الفتوح ، ومما حدث به عن نفسه قال : لقينا الترك ورمانى أحدهم بوهق فأقلبنى عن فرسى ، ونزل عن دابته فقعد على صدرى ، وأخذ بلحيتى هذه الوافرة ، وأخرج من خفه سكيناً ليذبحنى بها ، فرماه بعض المسلمين بسهم فما أخطأ حلقه ، فسقط عنى ، فقمت إليه فأخذت السكين من يده فذبحته .. وكان يقول : حاتم لقمان هذه الأمة ، انظر الأعلام (١٥٢/٢) .

(٤) أخرج الترمذى حديثاً بنفس المعنى للرسول بلفظ « الأناة من الله والعجلة من الشيطان » وقال : هذا حديث غريب ، وذلك فى كتاب البر ، باب ما جاء فى التأنى والعجلة (١٧٢/٨) .

« **الثانى** » **ترتيب الأطعمة** : لسرعة استحالتها[1] وفى قوله تعالى ﴿ **وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون** ﴾[2] تقديم الفاكهة أولاً[*] [فذلك أوفق فى الطب] وذلك إن كانت مما يشتهون – تنبيه على تقديمها .

ثم يقدم بعدها اللحم الثريد فقد قال – عليه السلام – : « **فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام** »[3] فإن جمع إليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا عليكم المنَّ والسلوى** ﴾[4] المن : العسل ، والسّلْوى : اللحم سُمّى ؛ لأنه يسلى به عن جميع الإدام ولا يقوم غيره مقامه .

وقال – عليه السلام – : « **سيد الإدام اللحم** »[5] ثم قال تعالى بعد أن ذكر المن والسلوى : ﴿ **كُلُوا مِن طيباتِ ما رزقناكم** ﴾[6] فاللحم والحلاوة من الطيبات .

وقال أبو سليمان الدارانى : أكل الطيبات يورث الرضا عن الله ، وتتم هذه

---

(١) سرعة استحالتها : أى سرعة تحولها وهضمها وتحولها من حال إلى حال .

(٢) الواقعة : ٢٠ – ٢١ .

* ذكر العجلونى فى كشف الخفاء نحو هذا المعنى « تفكهوا قبل الطعام » وقال هذا مشهور على الألسنة ، ولم أقف على أنه حديث أو أثر أو من كلام الناس ، لكن ذكره الشيخ على الأجهورى المالكى ناظماً له على تفصيل فيه ، فقال :

قدم على الطعام توتا خوخاً ... ومشمشاً والتين والبطيخا
وبغده إجاص كمثرى عنب ... كذاك رمان ومثله الرطب
ومعه الخيار والجميز ... قثا وتفاح كذاك اللوز

لر كشف الخفاء حديث رقم (١٠٠٦) (٣٧٢/١) .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الأطعمة ، باب الثريد ، وله بقية (٢٩٧/٣) ، وابن ماجه فى كتاب الأطعمة ، باب فضل الثريد على الطعام ، حديث رقم (٣٢٨٠) (١٠٩١/٢ ، ١٠٩٢) .

(٤) البقرة : ٥٧ .

(٥) أخرجه الطبرانى فى الأوسط بلفظ « سيد الإدام فى الدنيا والآخرة اللحم » وله بقية ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى ، كتاب الأطعمة ، باب سيد الإدام والشراب (٣٦/٥) ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير وقال الألبانى : ضعيف جداً وذلك فى كتابه ضعيف الجامع الصغير ، حديث رقم (٣٣٢٦) (٢٣٢/٣) ، وذكره العجلونى فى كشف الخفاء حديث رقم (١٥١٢) (٥٥٩/١) ، والسخاوى فى المقاصد الحسنة وقال : ابن ماجه وابن أبى الدنيا فى إصلاح المال من طريق سليمان بن عطاء عن مسلمة الجزرى عن عمه أبى مشجعة ، عن أبى الدرداء مرفوعاً به ... وسنده ضعيف ، فسليمان قال فيه ابن حبان : إنه يروى عن مسلمة أشياء موضوعة ما أدرى التخليط منه أو من مسلمة ؟ حديث رقم (٥٧٧) .

(٦) البقرة : ٥٧ .

الطيبات بشرب الماء البارد ، وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل .

وقال بعض الأدباء إذا دعوت إخوانك ، وأطعمتهم حصرمية وبورانية[1] وسقيتهم ماء باردًا فقد أكملت الضيافة .

وأنفق بعضهم دراهم فى ضيافة فقال بعض الحكماء : لم نكن نحتاج إلى هذا إذا كان خبزك جيداً ، وماؤك بارداً ، وخلك حامضاً فهو كفاية .

وقال بعضهم : الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان ، والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين ويقال : إن الملائكة تحضر المائدة إذا كان عليها بقل ، فذلك أيضا مستحب ولما فيه من التزين بالخضرة .

وفى الخبر : « **أن المائدة التى أنزلت على بنى إسرائيل كان عليها كل البقول إلا الكراث وكان عليها سمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة ، على رغيف زيتون وحب رمان** »[2] فهذا إذا جمع حسن للموافقة .

« **الثالث** » **أن** يقدم من الألوان ألطفها حتى يستوفى منه من يريد ، فلا يكثر الأكل بعده ، وعادة المترفين تقديم الغليظ ، ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السُّنَّة فإنه حيلة فى استكثار الأكل ، وكان من سنة المتقدمين أن يقدموا جملة الألوان دفعة واحدة ، ويصففون القصاع على المائدة ، ليأكل كل واحد مما يشتهى وإن لم يكن عنده إلا لون واحد ، ذكره ، ليستوفوا منه .

ويحكى عن بعض أرباب المروءات ، أنه كان يكتب ما عنده من الألوان ويعرضه على الضيفان .

وقال بعضهم : قدّم إلَّى بعض المشايخ بالشام لوناً أولا . فقلت : عندنا بالعراق إنما يقدم هذا آخراً ، فخجل .

وقال آخر كنا جماعة فى ضيافة أحدهم فقدم إلينا ألوانا من الرءوس المشوية طبيخاً وقديداً[3] فلم نأكل ، وانتظرنا بعدها لوناً فجاء بالطشت ، فنظر بعضنا إلى بعض فقال

---

(١) البورانية : طعام ينسب إلى بوران بنت الحسن بن سهل زوج المأمون .

(٢) أخرج ابن كثير نحوه (١٢١/٢) .

(٣) القديد : من اللحم ما قطع طولا ومُلّح وجُفّف فى الهواء والشمس .

حدنا : إن الله قادر أن يخلق رءوساً بلا أبدان قال : فبتنا تلك الليلة جياعاً ، فلذا يستحب أن يحضر جميع ما عنده أو يخبر بما عنده .

« **الرابع** » ألا يبادر إلى رفع الألوان قبل رفع أيديهم منها فلعل فيهم من يكون بقية ذلك اللون عنده أشهى مما سيحضره .

حكى عن الستورى ، وكان صوفيا مزاحاً ، أنه حضر عند رجل من أبناء الدنيا مائدة فقدم إليهم جملا ، وكان صاحب المائدة بخيلاً ، فلما رأى القوم قد مزقوا الجمل كل ممزق ضاق صدره وقال يا غلام : ارفع إلى الصبيان ، فرفع الجمل إلى داخل الدار فقام الستورى يعدو خلف الجمل فقيل له : إلى أين ؟ فقال : آكل مع الصبيان فاستحيا الرجل وأمر برد الجمل ، ومن هذا لا ينبغى لصاحب المائدة أن يرفع يده قبل القوم فيكون آخرهم أكلا .

كان بعض الكرام يخبر القوم بجميع ألوان الطعام ويتركهم يستوفون فإذا قاربوا الفراغ ، جثا على ركبتيه ، ومد يده إلى الطعام وأكل ، وقال : باسم الله ، ساعدونى فاستحسنوا ذلك منه .

« **الخامس** » **أن** يقدم من الطعام قدر الكفاية فإن التقليل عن الكفاية نقص فى المروءة ، والزيادة عليه تَصَنُّعٌ ورياء ، لاسيّما إذا كانت نفسه لا تسمح بأكل الكل إلا أن يقدم الكثير ، وهو طيب النفس لو أكلوا الجميع ونوى التبرك بفضل طعامهم ، إذ فى الحديث : « **أنه لا يحاسب عليه** » .

أحضر إبراهيم بن أدهم طعاماً كثيراً على مائدته فقال سفيان : يا أبا إسحاق : أما تخاف أن يكون هذا سرفاً ؟ فقال : ليس فى الطعام سرف فإن لم تكن هذه النية ، فالتكثير تكلف .

قال ابن مسعود[1] – رضى الله عنه – نُهينا : « أن نجيب دعوة من يباهى

---

(١) **ابن مسعود** (... – ٣٢ هـ = ... – ٦٥٣ م) . هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى ، أبو عبد الرحمن : صحابى من أكابرهم ، فضلاً وعقلاً ، وقرباً من رسول الله ﷺ وهو من أهل مكة ، ومن السابقين إلى الإسلام ، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة ، وكان خادم رسول الله الأمين ، وصاحب سره ... نظر إليه عمر يوماً وقال : وعاء ملىء علماً ، وولى بعد وفاة النبى ﷺ بيت مال الكوفة ، ثم قدم المدينة فى خلافة عثمان ، فتوفى فيها عن نحو ستين عاماً انظر الأعلام (١٣٧/٤) ، حلية الأولياء (١٢٤/١) .

بطعامه » ، وكره جمع من الصحابة أكل طعام المباهاة[1] وكان لا يرفع من بين يدى المصطفى – ﷺ – فضل طعام قط ؛ لأنهم كانوا لا يقدمون إلا قدر الحاجة ، ولا يأكلون على تمام الشبع . وينبغى أن يعزل أولاً نصيب أهل البيت حتى لا تكون أعينهم طامحة إلى رجوع شىء منه ؛ فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم وتنطلق فى الضيفان ألسنتهم ، وما بقى من الأطعمة ليس للضيفان أخذه وهو الذى تسميه الصوفية : « الزَّلة » ، إلا إذا أذن صاحب الطعام أو علم رضاه بقرينة ، ومع علم رضاه يبقى مراعاة العدل والنصفة مع الإخوان فلا يأخذ إلا ما يخصه أو ما يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حياء .

آداب الانصراف

وأما (الانصراف) فله آداب ثلاثة :

« **الأول** » أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار فإنه سنة ومن إكرام الضيف **قال** – عليه السلام – : « **إن من سنة الضيف أن يُشَيَّع إلى باب الدار** »[2].

وقال أبو قتادة[3]: « قَدِمَ وفد النجاشى على رسول الله – ﷺ – فقام يخدمهم بنفسه فقيل له : نحن نكفيك فقال : **إنهم كانوا لأصحابى مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم** »[4].

---

(١) ذكر المتقى الهندى فى كنز العمال أن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان دُعيا إلى طعام فأجابا فلما خرجا قال عمر لعثمان : لقد شهدت طعاماً لوددت أنى لم أشهده قال : وما ذاك ؟ قال : خشيت أن يكون مباهاةً ، حديث رقم (٢٥٩٨١) (٢٧١/٩) .

(٢) أخرجه ابن ماجه فى كتاب الأطعمة ، باب الضيافة ، وفى إسناده علىّ بن عروة ، أحد الضعفاء المتروكين . قال ابن حبان : يضع الحديث (١١١٤/٢) حديث رقم (٣٣٥٨) ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير ، حديث رقم (١٩٩٤) (١٩٤/٢) .

(٣) أبو قتادة (١٨ ق هـ – ٥٤ هـ = ٦١٤ – ٦٧٤ م) . هو الحارث (أو النعمان ، أو عمرو) بن ربعى الأنصارى الخزرجى السُلمى ، أبو قتادة : صحابى من الأبطال الولاة اشتهر بكنيته . وكان يقال له «فارس رسول الله » وفى حديث أخرجه مسلم : « خير فرساننا أبو قتادة » شهد الوقائع مع النبى ﷺ إبتداء من وقعة أحد ، ولما ولى عبد الملك بن مروان إمرة أحد ، أرسل إليه ليريه مواقف النبى ﷺ فانطلق معه وأراه . ولما صارت الخلافة إلى على ولاه مكة ، وشهد صفين معه . ومات بالمدينة . الأعلام (١٥٤/٢) .

(٤) ابن كثير فى البداية والنهاية (٧٨/٢) .

وتمام الإكرام طلاقةُ الوجه وطيبُ الحديث عندَ الدّخول والخروج وعلى المائدة .

قيل للأوزاعى[1] ما كرامة الضيف ؟ قال : طلاقة الوجه .

وقال يزيد بن أبى زياد : ما دخلت على عبد الرحمن بن أبى ليلى إلا حدثنا حديثاً حسنا وأطعمنا طعاماً حسنا .

« **الثانى** » أن ينصرف الضيف طيب النفس وإن جرى فى حقه تقصير فذلك من حسن الخلق والتواضع قال المصطفى - ﷺ - : « **إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم** »[2] ودُعِى بعض السلف برسول ، فلم يصادفه الرسول ، فلما سمع حضر ، وكانوا قد تفرقوا فخرج إليه صاحب المنزل ، وقال : قد خرج القوم ، قال : **هل بقى بقية** ؟ قال : لا ، قال : **فكسرة إن بقيت** ! قال : لم يبق . قال : **فالقدور أمسحها** . قال : قد غسلناها ، فانصرف بحمد الله تعالى . فقيل له فى ذلك ، فقال : **قد أحسن الرجل ، دعانا بنية ، ورَدّنا بنية ، فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق** .

وحُكِىَ أن أستاذ أبى القاسم الجنيد[3] دعاه صبى إلى دعوة أبيه أربع مرات وردّه لأب فى المرات الأربع ، وهو يرجع فى كل مرة تطييبا لقلب الصبى فى الحضور ، ولقلب لأب فى الانصراف ، فهذه نفوس قد ذلت بالتواضع لله فاطمأنت بالتوحيد ، وصار صاحبها يشاهد فى كل رد وقبول عِبْرَةً فيما بينه وبين ربه ، فلا ينكسر بما يجرى من لعباد من إذلال ، كما لا يستبشر بما يجرى منهم من إكرام بل يرون الكل من الواحد

---

(١) الأوزاعى (٨٨ - ١٥٧ هـ = ٧٠٧ - ٧٧٤ م) . هو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمِد الأوزاعى ، من قبيلة الأوزاع ، أبو عمرو : إمام الديار الشامية فى الفقه والزهد ، وأحد الكتاب المترسلين ولد فى بعلبك ، ونشأ فى البقاع ، وسكن بيروت وتوفى بها ، وعرض عليه القضاء فامتنع ... له كتاب « السنن » فى الفقه و« المسائل » . الأعلام (٣/٣٢٠) .

(٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن على بن أبى طالب (٨/٢٨٩) ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير ، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير ، حديث رقم (١٤٥٣) (٢/٤٦) .

(٣) الجنيد البغدادى (... - ٢٩٧ هـ = ... - ٩١٠ م) . هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادى الخزاز ، أبو القاسم : صوفى من العلماء بالدين ، مولده ومنشؤه ووفاته بغداد . أصل أبيه من نهاوند ، وكان يعرف بالقواريرى نسبة لعمل القوارير . وعرف الجنيد بالخزاز لأنه كان يعمل بالخز ، قال أحد معاصريه : ما رأت عيناى مثله ، الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه والشعراء لفصاحته والمتكلمون لمعانيه . من كلامه : من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يعتد به . الأعلام (٢/١٤١) .

القهار ولذلك قال بعضهم : إنى لا أجيب الدعوة إلا لأنى أتذكر بها طعام الجنة أى هو طعام طيب يحمل عنا كَدّه ومؤنته وحسابه .

« **الثالث** » ألا يخرج إلا برضا صاحب المنزل وإذنه ، ويراعى قلبه فى قدر الإقامة ، وإذا نزل ضيفاً لا يزيد على ثلاثة أيام فربما يتبرم به ويحتاج إلى إخراجه .

قال المصطفى – ﷺ – : « **الضيافة ثلاثة فما زاد فصدقة** »[1] نعم لو ألح رب المنزل عليه عن خلوص قلب فله المقام إذ ذاك ويستحب أن يكون عنده فراش للضيف النازل قال المصطفى – ﷺ – : « **فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان** »[2].

« الفصل الخامس »
فى آداب ومناهى طبية وشرعية

« **الأول** » **حكى** عن إبراهيم النخعى أنه قال : « الأكل فى السوق دناءة »[3] وأسنده إلى المصطفى – ﷺ – وهو غريب ونقل على ضده عن ابن عمر أنه قال : « كنا نأكل على عهد النبى ونحن نمشى ونشرب ونحن قيام »[4].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الأدب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، (٥٤/٤) . والحديث له بقية ، ومسلم فى كتاب اللقطة ، باب الضيافة ونحوها ، حديث رقم (١٤) (١٣٥٢/٣ ، ١٣٥٣) .

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب اللباس ، باب كراهة مازاد على الحاجة من الفراش واللباس حديث رقم (٤١) (١٦٥١/٣) وقال الإمام النووى معناه : أن ما زاد على الحاجة فاتخاذه إنما هو للمباهاة والاختيال والالتهاء بزينة الدنيا ، وما كان بهذه الصفة مذموم وكل مذموم يضاف إلى الشيطان لأنه يرتضيه ويوسوس به ويحسنه ويساعد عليه وقيل : إنه على ظاهره وأنه إذا كان لغير حاجة كان للشيطان عليه مبيت ومقيل ... وأما تعديد الفراش للزوج والزوجة فلا بأس به ، لأنه قد يحتاج كل واحد منهما إلى فراش عند المرض ونحوه وغير ذلك . انظر شرح النووى على صحيح مسلم (٧٩٣/٤) ، وأخرجه النسائى فى كتاب النكاح ، باب الفرش (١٣٥/٦) .

(٣) أخرجه الطبرانى وفيه عمر بن موسى بن وجيه وهو ضعيف انظر مجمع الزوائد للهيثمى وذلك فى كتاب الأطعمة باب الأكل فى السوق (٢٤/٥) ، وابن عدى فى الكامل (٨٠/٢) . والعجلونى فى كشف الخفاء وعزاه لعبد بن حميد والخطيب عن أبى هريرة ، حديث رقم (٥٢٠) (١٩٩/١) .

(٤) أخرجه أحمد فى المسند بلفظ « قد كنا على عهد رسول الله ﷺ نشرب قياما ونأكل ونحن نسعى » (١٢/٢) . وابن ماجه فى كتاب الأطعمة ، باب الأكل قائماً ، حديث رقم (٣٣٠١) (١٠٩٨/٢) ، وذكره العجلونى فى كشف الخفاء مع الحديث السابق ، حديث رقم (٥٢٠) .

وروى عن بعض مشايخ الصوفية أنه كان يأكل فى السوق فقيل له فى ذلك . فقال : ويحك أجوع فى السوق فآكل فى البيت . فقيل : تدخل المسجد . فقال : أستحى منه . أن أدخل بيته للأكل فيه .

ووجه الجمع أن الأكل فى السوق تواضع ، وتركه تكلف من بعض الناس فهو حسن .

وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه .

ويختلف ذلك بعادات البلاد وأحوال الأشخاص فمن لا يليق ذلك بسائر أعماله حمل ذلك على قلة المروءة وفرط الشره ، ويقدح ذلك فى الشهادة ، ومن يليق ذلك بجميع أحواله وأعماله فى ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا .

« **الثانى** » **قال** على : من ابتدأ غداءه بالملح أذهب الله تعالى عنه سبعين نوعا من البلاء ومن أكل فى يوم سبع ثمرات عجوة قتلت كل دابة فى بطنه[1].

وفى حديث الشيخين : « **من تصبح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم سم ولا سحر** »[2] ويسمى التمر والماء عند العرب الأسودين : والأبيضان : التمر واللبن . والعرب تغلب على الشىء ما لغيره لمناسبة أو إختلاط ؛ فالسنة أن يأكل من التمر وترا سبعا[3] أو إحدى وعشرين أو كيف اتفق « **ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زبيبة حمراء لم يرفى جسده شيئاً يكرهه . اللحم يُنْبِتُ اللحم ، والثريد طعام العرب** » . « **ولحم البقر داء . ولبنُها دواء وشفاء ، وسمنها دواء ، والشحم يُخرج مثله من الداء . والسمك يذيب الجسد والسواك يذهب البلغم ومن أراد البقاء**

---

(١) ذكره الكنانى فى تنزيه الشريعة ، وعزاه للبيهقى فى الشعب عن على موقوفاً ، وعند ابن منده فى كتاب أخبار أصبهان من حديث سعد بن معاذ ، وقال : هو من طريق إبراهيم بن حيان بن حكيم فلا يصلح شاهداً وأثر على ضعيف ، فى سنده جوير متروك وعنه عيسى بن الأشعث مجهول » تنزيه الشريعة حديث رقم (٤٤) (٢٤٣/٢) . وذكره المتقى الهندى فى كنز العمال وعزاه لابن السنى وأبى نعيم معاً فى الطب واللفظ لهما وذلك من حديث طويل ، حديث رقم (٢٨٤٧٢) (٨٦/١٠ ، ٨٧) .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الأطعمة ، باب العجوة ، (٣٠١/٣) ومسلم فى كتاب الأشربة ، باب فضل تمر المدينة ، حديث رقم (١٥٥) (١٦١٨/٣) .

(٣) ذكر المتقى الهندى حديثاً بنحوه فى كنز العمال ، حديث رقم (٢٨٤٧٣) (٨٧/١٠) .

فليباكر الغذاء ، ولْيُقِل غشيان النساء ، وليخفف من الدَّيْن »[1].

« الثالث » قال الحجاج لبعض الأطباء : صف لى صفة آخذ بها ولا أعدوها قال : لا تنكح من النساء إلا فتاة[2] ولا تأكل من اللحم إلا فتيا[3] ولا تأكل المطبوخ حتى يتم نضجه ، ولا تشربن دواء إلا من علة ، ولا تأكل من الفاكهة إلا ما نضج ، ولا تأكل طعاما إلا إذا أجدت مضغه ، وكل ما أحببت من الطعام ولا تشرب عليه ، وإذا شربت فلا تأكل عليه شيئا ولا تحبس الغائط والبول ، وإذا أكلت بالنهار فنم ، وإذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة خطوة »[4].

وفى معناه قول العرب : « تغَدّ وتَمَدّ ، وتعش وتمشَّ » يعنى تمدد ، كما قال تعالى : ﴿ ثم ذهب إلى أهله يتمطى ﴾[5] أى يتمطط ويقال : إن حبس البول يفسد من الجسد كما يفسد النهر ما حوله إذا سد مجراه .

« الرابع » فى الخبر : « قطع العروق مَسْقَمة وترك العشاء مهرمة »[6] والعرب تقول : ترك الغذاء يذهب بشحم الكاذة يعنى الأَلية[7].

قال بعض الحكماء لابنه : يا بنى لا تخرج من منزلك حتى تأخذ حلمك[8] أى

---

(١) ذكره المتقى الهندى فى كنز العمال ، وعزا بعضه لابن السنى وأبى نعيم معا فى الطب ، حديث رقم (٢٨٤٧٢) (٨٦/١٠ ، ٨٧) ، وأخرج الديلمى « اللحم ينبت اللحم » فى الفردوس ، حديث رقم (٥٤٥٨) (٤٧٠/٣) وذكره ابن عراف الكنانى فى تنزيه الشريعة وعزاه البيهقى فى الشعب من طريق مسعدة بن اليسع عن على قوله تنزيه الشريعة ، حديث رقم (١١٣) (٢٦٣/٢) .

(٢) أخرج البخارى فى كتاب فضائل الصحابة . باب إذا همت طائفتان عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال : « فهلا اخترت بكراً تلاعبها وتلاعبك » وأخرج ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال : « عليكم بالأبكار ، فإنهن أعذاب أفواهاً ، وأنتق أرحاماً وأرضى باليسير » (٥٩٨/١) .

(٣) يقصد اللحم صغير السن .

(٤) ذكره الأبشيهي فى المستطرف فى كل فن مستظرف ، فى كتاب الطب (ص/٤٩٧) .

(٥) القيامة : ٣٣ .

(٦) أخرجه الديلمى فى الفردوس بلفظ « قطع العرق مسقمة والحجامة خير منة » . حديث رقم (٤٦٤١) (٢٢٠/٣) ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير وقال الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير : موضوع ، والمتقى الهندى فى كنز العمال ، حديث رقم (٢٨١٢٤) (١٢/١٠) .

(٧) الأَلْية : العجيزة ، أو ما ركبها من شحم ولحم . وأليةُ الساق والخنصر والإبهام : اللحمة المرتفعة تحت كل منها ، وألية القدم : اللحم المرتفع يقع عليه المشى وجمعها : ألايا .

(٨) حلم الصبى : يقال : حلّمه الرضاع والأكل : سمنه .

تتغذى ؛ إذ به يبقى الحلم ويزول الطيش وهو أيضاً أقل لشهوته لما يبقى فى السوق . .

قال حكيم لسمين : أرى عليك قطيفة من نسيج أضراسك فمِمّ هى ؟ قال : آكل لباب البُرّ[1] وصغار المعز وأدهن بجام بنفسج وألبس الكتان .

« **الخامس** » **الحمية** تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض هكذا قيل .

وقال بعضهم من احتمى فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العوافى وهذا حسن فى حال الصحة .

ورأى المصطفى – ﷺ – صهيبا يأكل تمرة وإحدى عينيه رمداءُ فقال : « **أتأكل التمر وأنت رمد ؟**»[2] فقال : يا نبى الله إنما أمضغ بالشق الآخر « يعنى الجانب السليم ، فضحك المصطفى – ﷺ – ».

« **السادس** » **يستحب** أن يحمل طعاما إلى أهل الميت ولما جاء نعى جعفر بن أبى طالب قال المصطفى – ﷺ – : « **إن آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنيع طعامهم فاحملوا إليهم ما يأكلون** »[3] فذلك سنة وإذا قدم ذلك إلى الجميع حل الأكل منه ، إلا ما يهيأ للنوائح والمغينات فلا ينبغى أن يؤكل منه .

« **السابع** » **لا ينبغى أن يؤكل طعام ظالم فاسق فإن أكره فليقلل الأكل فالتنزه عن أكل طعام الظلمة والفسقة مندوب .**

ففى حديث عمران بن حصين : « نهى رسول الله – ﷺ – عن إجابة طعام الفاسقين[4].

وقال الجنيد : مؤاكلة الإخوان رضاع ؛ فانظروا من تؤاكلون .

رد بعض المزكّين شهادة من حضر طعام سلطان فقال : كنت مكرهاً فقال :

---

(١) البُرُّ : حَبُّ القمح وابن بُرّة : الخبز .

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى ، وذلك فى كتاب معرفة الصحابة ، باب ذكر مناقب صهيب بن سنان مولى رسول الله ﷺ (٣/٣٩٩) .

(٣) أخرجه ابن ماجه فى كتاب الجنائز ، باب ما جاء فى الطعام يبعث إلى أهل الميت ، حديث رقم (١٦١٠ ، ١٦١١) (١/٥١٤) ، وأبو داود فى كتاب الجنائز ، باب صنعة الطعام لأهل الميت ، حديث رقم (٣١٣٢) (٣/١٩٥) .

(٤) سبق تخريجه .

رأيتك تقصد الأطيب ، وتكبر اللقمة ، وما كنت مكرهاً عليه ، وأجبر السلطان هذا المزكى على الأكل ، فقال : إما أن آكل وأخلى التزكية ، أو أزكى ولا آكل فلم يجدوا بُداً من تزكيته فتركوه .

وحكى أن ذا النون المصرى[1] جلس فلم يأكل أياما فى السجن فكانت له أخت فى الله فبعثت إليه من مغزلها طعاما على يد سجان فامتنع ولم يأكل فعاتبته فقال : كان حلالا لكن جاءنى على يد ظالم وأشار به إلى السجان وهذا غاية الورع .

« **الثامن** » **حكى** عن فتح الموصلى[2] أنه دخل على بشر الحافى[3] زائراً فأخرج بشر درهما ودفعه إلى أحمد الجلاء (خادمه) وقال اشترِ به طعاما جيداً ، وأدماً طيبا ، قال : فاشتريت خبزًا نظيفا، وقلت : لم يقل المصطفى – ﷺ – بشىء : « **اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه** »[4] سوى اللبن فاشتريت لبناً وتمراً طيبا فقدمته إليه فأكل وأخذ الباقى فقال : بشر : تدرون لم قلت : اشتر طعاما طيبا ؟ ؛ لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر . تدرون لِمَ لَمْ يقل لى كُلْ ؟ لأنه ليس للضيف أن يقول لصاحب الدار كل . تدرون لم حمل ما بقى ؟ لأنه إذا صح التوكل لم يضر الحمل .

---

(١) ذو النون المصرى (... – ٢٤٥ هـ = ... – ٨٥٩ م) . هو ثوبان بن إبراهيم الإخميمّى المصرى ، أبو الفياض ، أو أبو الفيض : أحد الزهاد العباد المشهورين ، من أهل مصر . نوبّي الأصل من الموالي . كانت له فصاحة وحكمة وشعر . وهو أول من تكلم بمصر فى « ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية » فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم . وإتهمه المتوكل العباس بالزندقة ، فاستحضره إليه وسمع كلامه ، ثم أطلقه ، فعاد إلى مصر وتوفى بجيزتها . الأعلام (١٠٢/٢)

(٢) فتح الموصلى ، الزاهد الولى ، العابد أبو نصر ، فتح بن سعيد الموصلى . وقد مرَّ فتح الكبير من أقران إبراهيم بن أدهم وكلاهما من كبار المشايخ ، قيل : إن هذا صُدِع رأسه ، فسُرَّ ، وقال : ابتلانى ببلاء الأنبياء ، فشكر هذا أن أصلى أربع مئة ركعة وكان يقول : رب أفقرتنى ، وأفقرت عيالى ، بأى وسيلة هذا ؟ وإنما تفعلُ هذا بأوليائك .. ؛ روى عنه : أبو حفص ابن أخت بشر الحافى ، وكناه أبا بكر ، وورد بغداد زائراً لأبى نصر بشر بن الحارث (وهو بشر الحافى) ، سير أعلام النبلاء (٤٨٣/١٠) . تاريخ بغداد (٣٨١/١٢) .

(٣) بشر الحافى (١٥٠ – ٢٢٧ هـ = ٧٦٧ – ٨٤١ م) . هو بشر بن الحارث بن على بن عبد الرحمن المروزى ، أبو نصر ، المعروف بالحافى : من كبار الصالحين . له فى الزهد والورع أخبار وهو من ثقات الحديث ، من أهل « مرو » سكن بغداد وتوفى بها ، قال المأمون : لم يبق فى هذه الكورة أحد يستحي منه غير هذا الشيخ بشر بن الحارث » ، الأعلام (٥٤/٢) .

(٤) ذكره السيوطى فى اللآلىء المصنوعة ، وقال ابن حبان لا أصل له ، انظر اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ، (٢١٧/٢) .

وحكى أبو على الروذبارى عن رجل اتخذ ضيافةً فأوقد فيها ألف سراج فقال له رجلٍ : أسرفت . فقال : ادخل فكل ما أوقدته لغير الله فأطفئه ، فدخل فلم يقدر على إطفاء شيء منها فانقطع . واشترى أحمالاً من سكر وبنى به جداراً عليه شرف ومحاريب على أعمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها ونهبوها .

« **التاسع** » **قال** الشافعى : الأكل على أربعة أنحاء ؛ الأكل بإصبع من المقت . وبإصبعين من الكبر ، وبثلاث من السنة . وبأربع وخمس من الشره .

وأربعة يقوين البدن : أكل اللحم ، وشم الطيب وكثرة الغسل ، من غير جماع . ولبس الكتان .

وأربعة توهن البدن : كثرة الجماع ؛ وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق[1]. وكثرة أكل الحموضة .

وأربعة تقوى البصر : الجلوس تجاه القبلة ، والكحل[2] عند النوم ، والنظر إلى الخضرة وتنظيف الملبس . **وأربعة توهن البصر**[3] النظر إلى القذر ، والنظر إلى المصلوب ، والنظر إلى فرج المرأة ، والقعود مستدبر القبلة .

وأربعة تزيد فى الجماع : أكل العصافير وأكل الأُطرُغُل[*]، وأكل الفستق ، وأكل الجرجير .

والنوم على أربعة أنحاء : النوم على القفا وهو نوم الأنبياء عليهم السلام يتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ونوم على اليمين وهو نوم العلماء ، ونوم على الشمال وهو

---

(١) أخرج الطبرانى فى الأوسط أن رسول الله ﷺ قال : من شرب الماء على الريق انتقصت قوته ، وفيه محمد ابن مخلد الرعينى وهو ضعيف ، مجمع الزوائد للهيثمى (٨٦/٥ ، ٨٧) .

(٢) ذكر السيوطى فى زهر الخمائل عن ابن عباس قال : « كان النبى ﷺ يكتحل قبل أن ينام بالإثمد . وذلك فى باب ما جاء فى كحل رسول الله ﷺ والإثمد : عنصر معدنى بلورى الشكل قصديرى اللون ، صلب هش ، يوجد فى حالة نقية ، وغالبا متحداً مع غيره من العناصر ، يُكتحل به ..

(٣) ذكره المتقى الهندى بنحوه بلفظ « ثلاث يزدن فى قوة البصر » وذلك فى كنز العمال ، وعزاه لأبى الحسن العراق فى فوائده عن بريدة حديث رقم (٢٨٣١٤) .

* الأُطرُ غُلّات بضم الهمزة والراء والغين وتشديد اللام : الدّباسىّ والقمارى ، والصلاصل ذات الأطواق ولا يزال أكل الحمام الطعام المفضل لدى المتزوجين .

نوم الملوك لينهضم طعامهم ، ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين[1].

وأربعة تزيد فى العقل : ترك الفضول من الكلام ، والسواك ، ومجالسة الصالحين ، والعلماء .

وأربعة هن من العبادة : أن لا يخطو خطوة إلا على وضوء ، وكثرة السجود ، ولزوم المساجد ، وكثرة قراءة القرآن .

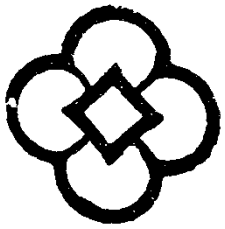

(١) أخرج ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال لأبى ذر وهو مضطجع على بطنه : « يا جنيدب : إنما هذه ضجعة أهل النار » وذلك فى كتاب الأدب ، باب النهى عن الاضطجاع على الوجه ، حديث رقم (٣٧٢٤) (١٢٢٧/٢) .

« الباب الثانى »
« فى آداب الأكل الطبية المتلقاه عن علماء الطب »

اعلم أن الغذاء قوام البدن وأقله للأصحاء فى اليوم والليلة مرة وأكثره مرتانِ وأعدَلُه ثلاث فى يومين . لكن الثنتان أولى بالتحقيق[1]. لمن اعتاد الكد والتعب .

وأحسنه ألذه إذا صلح جوهره ، وينبغى أن لا يملأ جوفه بحيث تتمرد معدته وتثقل ويضيق نفسه بل يقوم عنه ونفسه تشتهيه .

وكثرة الأكل تورث أمراضاً صعبة جسمانية وروحانية وإذا امتلأت المعدة انسدت أبواب الحكمة ومالت الطبيعة للأمور الشنيعة المخالفة للشريعة وطبائع النفس الناطقة داعية إلى ما يرضى الخالق من العمل الصالح وتجنب الشهوات وطبائع الجسم داعية إلى الإكثار منها فمتى غلبت طبائع الجسم كثرت ظلمتها وعظمت كثافتها وفاضت على طبائع النفس حتى استغرقتها فمنعها ذلك عن الاتصال بعنصر العقل لتقتبس منه ما تُفَرق به بين الحق والباطل ، ومتى أمسكت الطبائع الجسمانية عن الشهوات وغلبت طبائع النفس بنيلها إرادتها تعاظمت قوتها وكثر نورها وفاضت على طبائع الجسم حتى استغرقتها ولم تزل متصلة بعنصرها .

وضعف الطبيعة إنما يكون بتقليل الغذاء فإذا قلل بغير إفراط مع العمل الصالح قويت النفس على الطبيعة واتصلت بالعالم الكبير وهذا طب رُوحانى ثم إنّ كثرة الأكل

---

(١) يقول الدكتور محمد كمال عبد العزيز فى تعليقه على هامش الطب النبوى للذهبى إن تناولنا ثلاث وجبات من الطعام فى اليوم هو أفضل نظام غذائى للجسم ومن الأفضل أن يكون مواعيد تناول الطعام فى ساعات محددة والفترة بين وجبتين ينبغى ألا تقل عن أربع أو خمس ساعات فهذه هى تقريبا المدة الضرورية لهضم الطعام فى المعدة . أما تناول الطعام بطريقة غير منتظمة كما يحدث مثلاً فى حالات الإنشغال بالأعمال أو عدم انتظام مواعيد العمل ، فإن ذلك يؤدى إلى اضطراب فى الأمعاء وعملية الهضم ويكون نتيجته ما يسمى « بالقولون العصبى » حيث يحدث دائما انتفاخ وإمساك وأحيانا إسهال وتقلصات فى الأمعاء ، وهذا ما يصيب عادة رجال الأعمال الذين لا ينتظمون فى تناول وجباتهم ، كما ينبغى أيضاً عدم الأكل بين الوجبات ، وخير ما ننصح به عند الإحساس باضطراب معوى نتيجة وجبة ثقيلة أن يمتنع الإنسان عن تناول الوجبة التالية ، فإراحة المعدة بعد الإثقال عليها يهيء لها فرصة طيبة لإستعادة نشاطها وإعادة تنظيم وظائفها .

كما تكون سبباً للأمراض فقلته للغاية سبب لسقوط القوة وحمى الدق[1] وسرعة الهرم فلا يأكل طعاماً إلا عن شهوة صادقة ولا يدافع بالأكل إذا هاجت الشهوة إن كانت كاذبة وعلامته إذا وقع سقطت وليكن الطعام فى الشتاء حاراً بالفعل ، وفى الصيف بارداً ، وليحذر شديد الحرارة كالذى نزل عن النار وقته ، وشديد البرودة إلا إن كان فى حر شديد يلتهب منه البدن ، ويصغر اللقم ويجيد المضغ والسحق جداً ، بحيث لا يبقى للغذاء فى فمه صورة ثم يبتلعه وغالب الأمراض إنما تحصل من عدم إجادة المضغ ، ولا يجوز بلع ما لا يقطعه السن ولا يتابع اللقم .

قال جالينوس[2]: من أكل غذاءه فى أقل من ثلثى ساعة فقد أعجل نفسه وأتعب قواه ، ويجعل الغذاء على مرتفع تجاه فمه ولا بأس بالمشى القليل خلال الأكل وشرب قليل من الماء إن كان الغذاء جافاً وإلا امتنع لاسيما مع لحم أو سمك وفاكهة وبعده أردى ويجب أن يكون الغذاء جيداً مشاكلا للتغذى[3] وليس ذلك غير اللحوم فتكون هى الأجود ويليه ما سيصير إليه بأحكام الطبيعة وهو البيض . قال جالينوس : ويليهما اللبن لأنه من اللحم .

واعلم أن الغذاء ينقسم إلى محمود ومذموم ومتوسط . وكُلٌّ : إما كثيف أو لطيف أو معتدل وكلٌّ إما كثير الغذاء أو قليله أو وسط بينهما فهذه سبعة وعشرون قسما ينحصر فيها الغذاء عقلا فالغذاء متى سهل انفعالُه مع القوى كان لطيفاً وبالعكس ومتى كان سليم الغائِلة كان محموداً ، أو كان المتحول منه إلى المشابهة أكثر فهو الكثير

---

(١) حُمى الدِّقِّ : حُمَّى معاودة يومياً تصحب غالباً السل الحاد .

(٢) فالغذاء الفائض عن حاجة الجسم يتم إختزانه على هيئة دهون وشحوم تحت سطح الجلد ، وفى جدران الأوعية الدموية ومعظم الأمراض تنتج من هذا الاختزان ومن هذه الأمراض (١) مرض تصلب الشرايين (٢) ارتفاع ضغط الدم (٣) التهاب المفاصل .

(٢) كانت مدة حياة جالينوس سبعاً وثمانين سنة ، منها صبى ومتعلم سبع عشرة سنة ، وعالم معلم سبعين سنة ، وقال المبشر بن فاتك : إن جالينوس كان أسمر اللون ، حسن التخاطيط ... مداخلاً للملوك والرؤساء من غير أن يتقيد فى خدمة أحد من الملوك ، بل إنهم كانوا يكرمونه ، وإذا إحتاجوا إليه فى مداواة شىء من الأمراض الصعبة دفعوا له العطايا الكثيرة من الذهب وغيره فى برئها » . انظر عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة (ص/١٢٩) .

(٣) ينبغى أن يتكون الطعام من المكونات الرئيسية وهى البروتينات والنشويات والدهنيات والفيتامينات والأملاح وهذا هو الغذاء المتكامل والمتوازن ، فلا ينبغى أن يكون الطعام كله دسماً أو كله نشويات ، وينبغى كذلك أن يكون هناك تعادل وتوازن بين طبيعة مكونات الطعام فإذا كان بعضها حامضياً فيجب أن يكون الجزء الآخر قلوياً يعادل هذه الحموضة .

الغذاء ، أو كان عديم التعفن والفساد فهو الجيد الكيموس[1] وعكسها العكس وما بينهما الاعتدال فالغذاء اللطيف ما يلائم كل مزاج كضأن حولى[2] ودجاج فتىّ وخبز نقى خال عن نخالة[3] وسمك طرى بحرى ليس بالشط ، والكثيف ما يضر غالب الأبدان كلحم تيس ، وبقر ، وسمك مملح ، وكبير جداً وخبز خشكار[4] ومن بر[5] عتيق ويجب تقديم ما لطف وترتيب المختلفات كذلك فإن اضطر إلى تناول أشياء رتبها مثاله إسفاناخ[6] ودجاج ولحم حولى وجبن عتيق يبدأ بالأول ثم هكذا على الترتيب ، والكثيف[7] يناسب ذوى الكد والتعب كالفلاحين ولا ينبغى أن يتغذى عقب حمام فإنه يطفو فى فم المعدة ويملأ الرأس بخاراً ولا يدخله على شبع ولا يشرب عقبه ويقدم الأسهل هضما ويحذر الشوى المغموم[8] والطعام أو الإدام المقيم فى نحاس أو تحته[9] أو فى سرداب ، ولا يؤكل فى ظلام ولا شمس ولا عقب تعب للوقت البارد والوقت الذى يعقبه راحة ونوم ويتجنب من يعتريه صداع الغذاء المبخر كجزر وثوم وبصل ، ومن معدته ضعيفة ما يرخى البدن كسمن وسمسم وسيرج والصفراوى : نحو عسل نحل وثوم وبصل ، ولا يفطر إذا اشتد حر معدته على بطيخ وتوت ورمان ومشمش لسرعة إستحالتها إلى ملائمها ويؤثر ما يقمع الصفراء .

وضعيف الهضم يتجنب التخليط فى الأغذية وفى تمام الصحة ما عسر هضمه .

وينبغى الرياضة[10] قبل الأكل ويتحرك بعده حركة خفيفة لينحدر الطعام عن فم

---

(١) الكيْمُوس : الخلاصة الغذائية . وهى مادة لَبَنيَّة بيضاء صالحة للامتصاص تستمدها الأمعاء من المواد الغذائية فى أثناء مرورها بها ، والكيموسية : الحاجة إلى الطعام والغذاء .

(٢) الحَوْلِىُّ : كل ما أتى عليه حول من كل ذى حافر وغيره يقال : مُهْرٌ حَوْلِىٌّ ، ونبت حولِىٌّ .

(٣) النُّخَالَةُ : ما بقى من الشىء بعد نخله .

(٤) الخُشْكارُ : الخُبز الأسمر غير النقى .

(٥) البُرُّ : حب القمح وابن بُرَّة : الخبز .

(٦) إسفاناخ : الإسباناخ (السبانخ) .

(٧) الكثيف : الثخين الغليظ .

(٨) الشوى : الأطراف والمغموم : رطب مغموم : جعل فى الحَرّة وسترثم غطى حتى أرطب .

(٩) وذلك لأن النحاس إذا ما ترك فى الهواء تفاعل معه وكونا مادة سامة تضر بالإنسان إذا ما اختلطت بالأكل .

(١٠) الرياضة المعتدلة من الأسباب الضرورية الهامة للمحافظة على صحة الجسم حيث تقوم الرياضة بإحراق المواد =

معدته ثم يسكن مدة لينهضم الطعام ولا يجمع ألوانا مختلفة كما يفعل الآن فإنه ضار جداً فيقتصر على لون واحد إلا إن عدل بعض الألوان طبع غيره ويتغذى كل واحد بما يشابه مزاجه المعتدل فإن كان منحرفاً استعمل ما يضاده ، وإن كان مزاجه حاراً فبارد وهكذا .

ولا يدخل طعاماً على آخر فإنه سبب للتخمة ، ولا يطيل مدة الأكل لأنه كالإدخال لاختلاف المهضوم فيه ويتجنب الفاكهة الرطبة كتين وعنب ويقدمها على الطعام إلا فيما فيه قبض ، وحمض كسفرجل وتفاح ورمان فبعده لشده المعدة بالعصر ، وإلا من حصل له تعب فيقدم الفاكهة عليه وإذا أفرط شبعه أمسك عن الأكل يومه وتقيأ فإن لم يكن فليطل الرياضة والنوم[1] ولا يأكل طعاماً ثانى يومه إلا أن يخرج بوله منصبغا ويخف بدنه فإن لم يحصل استعمل فى الثالث مسهلا كأطريفل صغير عجن فيه آيارج أو حب صبر ومصطكا وجوارش سفرجل[2] فإنها تخرج التفل فقط بغير إسهال مفرط .

« **فصل** » **قال** بعض الأطباء : كل صحة أردنا حفظها على حالها أوردنا عليها

=الدهنية والشحوم الزائدة فى الجسم التى يؤدى تراكمها إلى أمراض كثيرة كضغط الدم ، وتصلب الشرايين والسكر والتهاب المفاصل ، وممارسة الرياضة تزيد من كفاءة الجهاز الدورى والقلب حيث يساعد على مرونة الأوعية الدموية ، وإنتظام ضربات القلب ووصول الدم على جميع أجهزة الجسم وأنسجته ، وممارسة الرياضة تساعد أيضا على زيادة كفاءة الجهاز التنفسى حيث تزيد من مرونة الرئتين ومن قدرتهما على الانبساط واستيعاب كمية أكبر من الأكسجين ، والرياضة أيضا تساعد الكليتين على التخلص من فضلات الجسم من المواد الآزوتية والأحماض البولية وهى مواد ضارة بالجسم .

(١) النوم هدنة للروح من صراع الحياة العنيف ، فيلقى سلاحه – طائعاً أو كارها – ويستسلم لفترة من السلام الآمن . وحاجة الإنسان إلى النوم كحاجته إلى الطعام والشراب . والنوم فترة راحة للأعصاب المجهدة ، والمخ المثقل بتكاليف الحياة ومشقاتها ، وفيه يعيد العقل ترتيبه للالتزامات المقبلة ، وإعادة تقييم وتكوين للتفاعلات الكيماوية التى تحدث فى الجسم والعقل والنوم فترة راحة للعضلات المنهكة ، وتجديد لغذائها ، واستعدادها لفترة أخرى من الشقاء والتعب ، وإذا لم يحظ الكائن بقسط مناسب من النوم فإن ذلك مؤدٍّ إلى إختلال فى القوى العقلية وأرق وإجهاد ، وتوتر فى المخ والأعصاب ، وعدد ساعات النوم يتوقف على سن الشخص ، فالطفل يحتاج إلى فترة أطول من الشخص البالغ ، وهذا يحتاج إلى فترة أطول من الشيخ . وكلما كان النوم أعمق استفاد منه الجسم أكثر ، أى أن النوم لفترة قصيرة – نوماً عميقاً – أفضل من النوم مدة طويلة – نوماً خفيفاً سطحياً – حيث تكثر الضوضاء .

(٢) السفرجل : شجر مثمر من الفصيلة الوردية .

المُشبه فى الكيفية وإن أردنا نقلها إلى أفضل منها أوردنا عليها الضد ولا يأكل بلا شهوة ولا تدافع الشهوة الهائجة ، والغذاء اللذيذ أجود لولا الإكثار منه ، وملازمة الحامضى تسرع الهرم ، وتجفف البدن وتضر العصب ، والحلو يقوى الشهوة ويحمى البدن ، والمالح يجففه ويهزله فتدفع مضرة الحلو بالحامض ، وعكسه وليترك الأكل وفى العين منه بقية ، وملازمة الحِمْية تنهك الجسد وتهزله بل هى فى الصحة كالتخليط فى المرض ورعاية العادات واجبة ومن اعتاد أن يستمرىء الأغذية الردية[1] فلا يغتر بذلك فإنه يولد على طول الزمان أمراضاً فليترك بتدريج .

والصفراوى : غذاؤه مبرد مرطب .

والدموى : مبرد قامع .

والبلغمى : مسخن ملطف .

والسوداى : ملطف مرطب .

وقد نهى المجربون عن الجمع بين أغذية يعسر علينا إثبات كثير من ذلك بالقياس فمن ذلك : أنه لا يجمع بين سمك ولبن فيولدان أمراضا مزمنة منها الجذام[2] لا تعالج . ولا بين لبن وحامض ، ولا سويق ولا رز بلبن ولا عنب وروس ، ولا رمان وهريسة ولا خل وأرز .

---

(١) قيل لجالينوس : مالك لا تمرض ؟ فقال : « لأنى لم أجمع بين طعامين رديئين ولم أدخل طعاماً على طعام ، ولم أحبس فى المعدة طعاماً تأذيت به .

(٢) قال رسول الله ﷺ : « فر من المجذوم فرارك من الأسد . انظر كنز العمال ، حديث رقم (٢٨٣٤٠) ، ومرض الجذام يصيب أطراف الأعصاب مما يسبب ضموراً فى العضلات ، ويفقد المريض الإحساس بالألم أو الحرارة أو البرودة ، بمعنى أنه لو تعرض لمصدر حرارى شديد أو بارد لا يحس به ومرض الجذام يصيب الخصيتين أيضا ، وهذا يعنى أن مريض الجذام ليس له قدرة جنسية ، ومن الممكن أن يصيب القرنية فيؤثر على الإبصار والجذام نوعان :

(أ) النوع العقدى : ويصيب خاصة الوجه والأذنين ويكسب المريض شكلاً خاصاً يشبه وجه الأسد ، كما يصيب الغشاء المخاطى للأنف مسبباً نزيفاً ويفقد المريض شعر الحاجبين .

(ب) النوع البقعى الجدرى : وهو يصيب الجلد على هيئة بقع باهتة وفى هذا النوع تكون الأماكن المصابة فيه خالية تقريباً من الميكروبات المسببة للمرض ، وقد يكون هذا هو السبب فى أن الرسول ﷺ أكل مع مجذوم فى قصعة واحدة قائلاً : « ثقة بالله وتوكلاً عليه » .

« المقصد الثانى »
« فى آداب الشرب الشرعية والطبية »

وفيه بابان :

« **الأول** » فى الآداب الشرعية هو فى التسمية[1] كالأكل فيسمى أول كل مرة ويحمد آخرها[2] فيقول فى الأولى الحمد لله ويزيد فى الثانية رب العالمين وفى الثالثة الرحمن الرحيم ، ويكره متكئا أو مضطجعا[3] لا قائما لحاجة[4] وإلا فخلاف الأولى فيندب أن على ما عليه جمع لكن قال فى شرح مسلم : إنه مكروه مطلقاً .

وأما شرب المصطفى قائما ؛ فلبيان الجواز فهو لم يفعل مكروها بل واجباً فى حقه

ويندب نظر الكوز قبله ، ويندب لمن شرب قائماً أن يتقاياه للأمر به فى حديث[5] ولأنه قائماً يولد أخلاطا يكون القيء دواء لها .

وللشرب قائما آفات منها : أنه لا يحصل به الرى التام ولا يستقر فى المعدة حتى يقسمه الكبد على الأعضاء ، وينزل بسرعة إلى المعدة فيخاف منه أن يبرد حرارتها ويسرع النفوذ إلى أسافل البدن وذلك ضار جداً .

وأن لا يتجشأ فى الإناء بل ينحيه عن فمه وأن يتنفس ثلاث مرات لخبر

---

(١) أخرج البخارى أن رسول الله ﷺ قال لعمر بن أبى سلمة فى صغره : يا غلام سَمِّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك فمازالت تلك طِعْمَتِي بعد » وذلك فى كتاب الأطعمة ، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين (٢٩١/٣) .

(٢) أخرج الطبرانى فى الأوسط أن رسول الله ﷺ قال : إن الرجل ليوضع طعامه فما يرفع حتى يغفر له فقيل يا رسول الله : وبم ذاك ؟ قال : يقول : بسم الله إذا وضع والحمد لله إذا رفع » وفيه عبد الوارث مولى أنس وهو ضعيف ، مجمع الزوائد للهيثمى (٢٢/٥) .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) لقد نهى رسول الله ﷺ عن الشرب قائماً وذلك فيما أخرجه الترمذى عن أنس أن رسول الله ﷺ نهى أن يشرب الرجل قائماً فقيل الأكل : قال : ذاك أشر إلا أنه قد أجاز ذلك لحاجة وذلك أيضاً لما رواه الترمذى عن ابن عباس أن النبى ﷺ شرب من زمزم وهو قائم ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وذلك فى كتاب الأشربة ، باب ما جاء فى الرخصة فى الشرب قائماً (٧٥/٨) .

(٥) أخرجه مسلم بلفظ « لا يشربنَّ أحد منكم قائماً . فمن نَسِيَ فليستقيء » وذلك فى كتاب الأشربة ، باب كراهية الشرب قائماً ، حديث رقم (١١٦) (١٦٠١/٣) .

الترمذى[1] وغيره « أن المصطفى كان يتنفس فى الإناء ثلاثاً إذا شرب » أى بأن يشرب ثم يزيله عن فيه ، ويتنفس خارجه ثم يشرب ثم هكذا إلا أنه كان لا يتنفس فى جوف الإناء لأنه يغير الماء إما لتغير الفم بمأكول أو ترك سواك ، أو لأن النفس يصعد ببخار المعدة[2].

وأما زعم بعضهم إجراء الحديث على ظاهره وأنه فعله بيانا للجواز ولكونه لا يستقذر منه شيء فغير صحيح بدليل قوله فى حديث آخر « **بَعِّدْ القدح عن فِيكَ ثُمَّ تنفس** »[3] ولا ريب أنّ هذا من مكارم الأخلاق والنظافة وما كان يأمر بشيء من مكارم الأخلاق ثم لا يفعله .

وعلل فى الحديث الشرب بثلاثة أنفاس بأنه أهنأ وأروى[4] التروية أحسنه وأنفعه بمعنى أقمع للظمأ وأقوى على الهضم وأقل أثراً فى برد المعدة وضعف الأعصاب لترده على المعدة على دفعات فيسكن كل دفعة ما عجزت عنه التى قبلها فإنه أسلم لحرارة المعدة من أن يهجم عليها البارد دفعة واحدة فربما أطفأ الحار الغريزى لشدة برده فتفسد المعدة والكبد ويؤدى إلى أمراض صيفية لاسيما لأهل الأقطار الحارة فى الأزمنة الحارة ولا بأس بالشرب مرتين فى نفسين[5] وإن كان الأولى كونه ثلاثاً بدليل حديث

---

(١) أخرج الترمذى عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ كان يتنفس فى الإناء ثلاثاً ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وذلك فى كتاب الأشربة ، باب ما جاء فى التنفس فى الإناء (٧٧/٨) .

(٢) والتفسير الطبى الحديث لنهيه ﷺ عن النفخ فى الطعام أو الشراب وذلك لأن الفم والأنف يحتويان على كميات لا حصر لها من الميكروبات والجراثيم ، والتى قد تصيب الطعام أو الشراب إذا نفخ فيه - وبذلك تنتقل العدوى إلى الإنسان ، ويصاب بأمراض كثيرة ، وتعتبر هذه واحدة من أفضل الإرشادات النبوية فى الطب الوقائى .

(٣) أخرجه الترمذى بلفظ : « فأبن القدح إذن عن فيك » وذلك فى كتاب الأشربة ، باب ما جاء فى كراهية النفخ فى الشراب (٨٠/٨) ، والدارمى فى كتاب الأشربة ، باب من شرب بنفس واحد (١١٩/٢) .

(٤) أخرج الترمذى عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ كان يتنفس فى الإناء ثلاثاً ويقول : «هو أمرأ وأروى» وقال : هذا حديث حسن غريب ، وذلك فى كتاب الأشربة ، باب ما جاء فى التنفس فى الإناء (٧٥/٨ ، ٧٦) ، وأبو داود فى كتاب الأشربة ، باب فى الساق متى يشرب ، حديث رقم (٣٧٢٧) (٣٣٨/٣) ، والبيهقى فى السنن الكبرى ، فى كتاب الطهارة ، باب ما جاء فى الاستياك عرضاً (٤٠/١) .

(٥) أخرج الترمذى عن ابن عباس أن النبى ﷺ كان إذا شرب تنفس مرتين ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن كريب ، وذلك فى كتاب الأشربة ، باب ما ذكر من الشرب بنفسين (٧٩/٨) .

الترمذى « اشربوا مثنى وثلاث »[1] فتحصل أصل السنة بالتنفس مرتين .

وأما كمالها فإنما يحصل بالثلاث .

ويكره أن يشرب فى أثناء الأكل بلا حاجة إلا إذا أغص بلقمة أو صدق عطشه : وأن يشرب من ثلمة القدح[2] أى محل الكسر فإنه مكروه لأن الوسخ والقذر والزهومة[3] تجتمع فى الثلمة ولا تصل إليه اليد ولهذا أورد فى حديث النهى عنه وقال : « إنه مقعد الشيطان[*] » ويكره من فم القِربة[4] لأنه قد يكون ما يؤذى فيدخل جوفه فيضره ولا ينافيه ما فى حديث الترمذى وغيره « أنه قام إلى قربة معلقة فشرب منها » لأنه إنما فعله بيانا لأن نهيه للتنزيه لا للتحريم .

ويكره عَبّه كالبهيمة بلا عذر لأنه يورث وجع الكبد بل السنة أن يمص الماء مصا[5] ولا يعبه لحديث أبى نعيم وغيره[6] « **إذا شرب أحدكم فليمص الماء مصاً ولا**

---

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب الأشربة ، وله بقية ، وقال : هذا حديث غريب (٧٨/٨) .

(٢) أخرج أبو داود عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن الشرب من ثُلْمَةِ القدح وأن ينفخ فى الشراب ، وذلك فى كتاب الأشربة ، باب فى الشرب من ثلمة القدح ، حديث رقم (٣٧٢٢) (٣٣٧/٣) وأحمد فى المسند (٨٠/٣) .

(٣) الزَّهَمُ : نتن الجيف ، والزهومة : ريح لحم سمين مُنْتِنٍ .

* روى أبو نعيم عن عمرو بن أبى سفيان أن رسول الله ﷺ قال : لا تشربوا من الثلمة التى تكون فى القدح ، فإن الشيطان يشرب منها » ، انظر كنز العمال ، حديث رقم (٤١٠٨٤) (٢٩٦/١٥) .

(٤) أخرجه الترمذى فى كتاب الأشربة عن عبد الله بن أنيس عن أبيه قال : رأيت النبى ﷺ قام إلى قربة معلقة فخنثها ثم شرب من فيها » وقال : هذا حديث ليس إسناده بصحيح ، وذلك فى باب ما جاء فى الرخصة فى ذلك (أى فى إختناث الأسقية) (٨٤/٨) ، والدارمى فى كتاب الأشربة ، باب فى الشرب قائما (١٢٠/٢) .

(٥) من هدى رسول الله ﷺ فى شرب الماء أنه كان يمص الماء مصاً ولا يعب الماء عباً ، وعب الماء : هو شربه مع الهواء ، ودخول الهواء فى المعدة بسبب آلاماً وانتفاخاً فى البطن ويعيق حركة المعدة مما يجعل هضم الطعام صعباً ،أما مص الماء بجَعْل الشفة ملاصقة لسطح الماء فإن ذلك يمنع دخول الهواء إلى المعدة وكان ﷺ يشرب على ثلاث فترات ، ويتنفس خلالها خارج الإناء وليس داخله ، وذلك حتى يتمكن من مص الماء دون أن ينفخ أو يتنفس داخل الإناء أو وقت الشرب والتنفس داخل الإناء أو أثناء الشرب فى غاية الخطورة . لأنه قد يدخل الماء فى الجهاز التنفسى مسبباً الاختناق .

(٦) وأخرجه أيضاً البيهقى فى السنن الكبرى بلفظ « إذا شربتم فاشربوا مصاً وإذا استكتم فاستاكوا عرضاً » ، وذلك فى كتاب الطهارة ، باب ما جاء فى الاستياك عرضاً (٤٠/١) . والديلمى فى الفردوس ، حديث رقم (١٠٧٠) (٢٧٥/١) ، والمتقى الهندى فى كنز العمال ، حديث رقم (٤١٠٧٤) (٢٩٥/١٥) ، والعب ؛ شرب بلا تنفس والكباد داء يكون فى الصدور .

يعبه عباً فإن الكُباد من العب » والكُباد كغراب وجع الكبد وقد علم بالتجربة أن هجوم الماء على الكبد دفعة واحدة ضار جداً بخلاف وروده بالتدريج ألا ترى إن صببت الماء البارد على القدر وهى تغلى يضر بالتدريج وإن كان يضر الكبد لأن الكبد(*) مجمع العروق فيتولد منه السدد فيصير خاما فيكثر البلغم ويستد فتحصل الأمراض .

والتنفس والنفخ فى الإناء للنهى عنه فى حديث أبى داود وغيره ووجهه أنه قد يسقط من ريقه جميع ما يقذره ومن إدارة المشروب ماء أو لبنا مثلا عن يمين المبتدىء(١) وإن كان من على يساره أفضل .

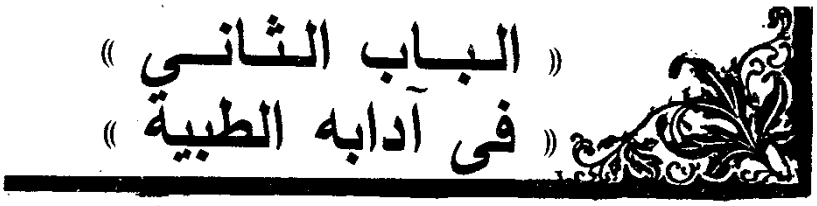

« الباب الثانى »
« فى آدابه الطبية »

اعلم أن أفضل المشروب على الإطلاق الماء لأنه ركن أصلى للمركبات وبها قوامه(٢) وفيه من التلطيف والتبليغ إلى الغايات ما ليس فى غيره وعليه حفظ رطوبة تمنع الحرارة عنها وبذرقة(**) الأغذية وهذا هو الصحيح .

وقيل : إنه يغذى البدن وهو باطل لأنه لا ينعقد وهو يعين على هضم الطعام ويقمع الحرارة وينفذ الغذاء فى المجارى إلى أقطار البدن وأفضله على الإطلاق ماء المطر فى الصيف للطف البخار ولأن الحرارة الأرضية ضعيفة لا تصعد الغليظ قاله ابن سينا(٣).

---

* الكبد : عضو فى الجانب الأيمن من البطن تحت الحجاب الحاجز ، له وظائف عدة أظهرها إفراز الصفراء .

(١) أخرج أبو داود عن ابن شهاب أن النبى ﷺ أُتى بلبن قد شيب بماء ، وعن يمينه أعرابى ، وعن يساره أبو بكر ، فشرب ثم أعطى الأعرابى وقال : « الأيمن فالأيمن » . وذلك فى كتاب الأشربة ، باب فى الساق متى يشرب ، حديث رقم (٣٧٢٦) (٣٣٨/٣) ، وأخرجه الترمذى من طريق آخر عن أنس بنفس اللفظ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وذلك فى كتاب الأشربة ، باب ما جاء أن الأيمنين أحق بالشراب (٨٦/٨) .

(٢) يقول ربنا سبحانه وتعالى فى قرآنه العظيم ﴿ وجعلنا من الماء كل شىء حي ﴾ [الأنبياء : ٣٠] ، ويقول فخر الدين الرازى فى « التفسير الكبير » فى تفسيره لهذه الآية : كأنما خلقنا الأشياء من الماء لاحتياجها إليه وحبها له وقلة صبرها عنه ، وقال أيضا : فالمعنى صيرنا كل شىء حى بسبب من الماء لابد له منه (ج ١٦٣/١١) ، ويقول ابن كثير فى تفسيره لها : إن الماء أصل كل الأحياء (١٨٦/٣) .

** البذرقة : الحفارة والحفظ .

(٣) الرئيس ابن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ = ٩٨٠ - ١٠٣٧ م) . هو الحسين بن عبد الله بن سينا ، أبو على ، شرف الملك : الفيلسوف الرئيسى ، صاحب التصانيف فى الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات أصله من =

وقال المسيّحى[1] ومتأخرون : إن مطر الشتاء أصح ماء لخلو الجوّ فيه من الأدخنة بخلاف الصيف وشرطه أن يؤخذ قبل مكثه .

ويليه ماء النهر المكشوف الجارى من البعد والعلو إلى المشرق فى الشمال فى طين حر فحجر صلد ، البارد فى الصيف الحار فى الشتاء النقى الأحجار المهرى لما يطبخ فيه بسرعة الخفيف الوزن وقد جمع هذه الشروط « **نيل مصر** » فهو أجود مطلقا . نعم هو أيام زيادته ضار يورث الحصى والماء الكدر يولد السوداء فى الكبد والحصى فى الكلى .

ويلى ماء النيل الجامع للأوصاف المذكورة ما جمع أكثرها ، ويضاده المخالف فى الكل ؛ ويليه ماء العين وهو الخفيف الحركة المتزايد بالأخذ منه ، ثم ماء الآبار وهى الحفائر التى تدفع الماء نزّاً هذّا[2]، وإن كثر استعمالها ، وإلا فهى رديئة وما عدا ذلك فاسد . وأردأ الماء ما استتر عن الشمس أو جرى فى الرصاص أو خالطه تربة كبريتية أو زاجية[3] أو مكث فى مقره أو تروح بضار[4] ولو فى ممره .

والمخزون من الماء والطويل المكث على الأرض ضار جداً يولد الاستسقا والورم والقر والدوالى وأوجاع الصدر والطحال والسدد .

والمالح يولد الحِكّة ويُطلق البطن ويَعْقِل إذا أدمن يجفف ويأكل الجرب .

والماء الفاتر يغثى والماء الحار إذا شرب على الريق غسل المعدة من فضول الغذاء

= بلخ ، ومولده فى إحدى قرى بخارى ، وطاف البلاد ، وناظر العلماء واتسعت شهرته ، وتقلد الوزارة فى همذان ، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته ، فتوارى . ثم صار إلى أصفهان ، وصنف بها أكثر كتبه وعاد فى أواخر أيامه إلى همذان ، فمرض فى الطريق ، ومات بها ومن كتبه « القانون » و« المعاد » و« الشفاء » ، انظر الأعلام (٢/٢٤١ ، ٢٤٢) .

(١) المسيحي (... - ٤٠١ هـ = ... - ١٠١٠ م) . هو عيسى بن يحيى المسيحي الجرجانى أبو سهل : حكيم ، غلب عليه الطب علماً وعملاً . فصيح العبارة ، جيد التصنيف ، حسن الخط ، متقن للعربية ، ولد فى جرجان ، ونشأ وتعلم ببغداد ، وسكن خراسان فتقدم عند سلطانها ، ومات عن أربعين عاماً ، وعنه أخذ ابن سينا صناعة الطب ، وتفوق ابن سينا بعد ذلك فصنف له كتباً وجعلها باسمه ، ومن كتبه « الطب الكلى » و« كتاب المئة فى الصناعة الطبية » ، إلخ ، الأعلام (٥/١١٠) .

(٢) النّز : ما يتحلب من الأرض من الماء ، والهذ : السريع .

(٣) الزاج الأبيض هو كبريتات الخارصين والزاج الأزرق هو كبريتات النحاس ، والزاج الأخضر هو كبريتات الحديد .

(٤) تغير رائحته بسبب مادة ضارة ألقيت فيه .

المتقدم وربما أطلق البطن وأضعف المعدة .

والماء الشَّبِّى يولد القبض ، والكبريتى والنوشادرى الإسهال والحج[1] والنحاسى يخرج الماء الأصفر ويجفف ويهزل سائر الحريقات ، والرصاص يولد الأمراض العسرة ، والحديدى ، والذهبى والفضى يقوى القلب ويمنع الخفقان وضعف الكبد وإسهال الدم وغيره والسخن يسهل أولا ثم يقبض ويرخى المعدة ، وكلما اشتد برد الماء كان حافظاً للصحة[2] سادّاً للمعدة ، مقوياً للهضم للاكتفاء بأقله لكن فيه ضرر بالعصب ، والثلج إن كان قليل الوقوع أو فى أرض صحيحة خلية عن الأهوية والبخارات الفاسدة كان نافعاً منعشاً للغريزية ، وإلا انتفع بتبريده للماء من خارج الإناء فقط ولا يشرب ماءً بثلج مَنْ به ضعف عصب أو معدة أو كبد ومن له سوء هضم وضعف نفسى .

أما من كثر لحمه ودمه وكان أحمر اللون قوى الشهوة فلا يضره .

والماء البارد يبرد البدن ويرخى المعدة وقلة الماء جداً مع العطش سبب لهلاك البدن وظلمة البصر سيما فى الحر لذى الحار المزاج .

ولا ينبغى أن يشرب الماء البارد على الريق إلا لمن به التهاب شديد فيشرب منه قليلا ، ولا على المائدة[3]، ولا بعد الأكل إلى أن يجف أعالى البطن وينحدر الطعام عن فم المعدة فإن اشتد العطش تناول قليلا ليسكن بعض عطشه فإذا انحدر الطعام استوفى شربه .

ولا ينبغى أن يشرب شديد البرد دفعة ، ولا عقب جماع ، وحمام ، وتعب وإلا فإنه يورث الاستسقا[4] فإن اشتد عطشه شرب قليلاً مصًّا ثم يصبر ساعة ويفعل

---

(١) إصابة حجاج العينين والحجاج من كل شىء حرفه وناحيته .

(٢) قالت عائشة رضى الله عنها : « كان أحبُّ الشراب إلى رسول الله ﷺ ، الحلو البارد » ، انظر الطب النبوى لابن قيم الجوزية (ص/١٧٧) .

(٣) وفى ذلك قال الشاعر :

لا تكن عند أكل سخنٍ وبَرْدٍ
ودخول الحمَّام - تشرب ماء
فإذا ما اجتنبت ذلك حقاً
لم تخف ما حييت فى الجوف داء

(٤) الاستسقا : تجمع سائل مَصلِىٌّ فى التجويف البريتونى لا يكاد يبرأ منه .

كذلك وهكذا . ومن كان عطشه كاذبا يصبر وأمارته أن يبدو منه قبل عادته ، ولا يشرب على الخلا والجوع ، ولا على طعام حِرّيف[1] ولا قائما ، ولا بعد فاكهة فإنه يورث الجرب والثآليل ، ولا بعد حلو ودسم ، ومن قوى عطشه شرب ماء البطيخ الصيفى بسكر ، أو عسل أو يصنع له « تمر هندى » أو « أمير باريس » أو « مستحلب » .

والأولى أن يشرب فى إناء مفتوح ليرى ما فيه وكوته من عقيق أولى فإن كان به سوداء أو طحال فالطرفاء[**] أنفع له ، ولا يشرب فى نحاس فإنه يورث مرضا صعبا لكن يقل ضرره فى القطر البارد .

« المقصد الثالث »
« فى آداب اللباس »

فمن أدبه التسمية والتحميد والدعاء المأثور « كان - ﷺ - إذا استجد ثوباً سماه باسمه ثم يقول : **اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك من خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره ومن شر ما صنع له** » رواه أبو داود وغيره[2].

وكان « إذا استجد ثوبا لبسه يوم الجمعة » رواه الخطيب .

وكان : « إذا لبس ثوبا بدأ بميامنه »[3] رواه الترمذى .

ويسن لكل أحد بل يتأكد على من يقتدى به تحسين الزى والهيئة والمبالغة فى

---

(١) الحرافة : حدة فى الطعم تحرق اللسان والفم والحريف : الذى فيه حرافة .

** جنس من النبات منه أشجار وجنبات من الفصيلة الطرفاوية ومنه الأثل .

(٢) أبو داود فى كتاب اللباس ، حديث رقم (٤٠٢٠) (٤١/٤) والترمذى فى كتاب اللباس ، باب ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً (٢٦٧/٧) ، وأحمد فى مسنده (٣٠/٣) .

(٣) الترمذى فى كتاب اللباس ، بلفظ « إذا لبس قميصاً بدأ بميامنه » . وقال : وروى غير واحد هذا الحديث عن شعبة بهذا الإسناد عن أبى هريرة موقوفاً ولا نعلم أحداً رفعه غير عبد الصمد بن عبد الوارث عن شعبة ، وذلك فى باب ما جاء فى القمص (٢٦٦/٧) ، وأحمد فى مسنده بنحوه (٢ ٤٠٩) .

التجمل والنظافة « **فإن الله تعالى جميل ، يحب الجمال** »[1] كما فى الحديث ويكره البؤس والتباؤس لكن المتوسط فى ذلك إن نوى بقصد التواضع لله تعالى أفضل من الأرفع .

قال - ﷺ - : « **البسوا الخشن من الثياب حتى لا يجد العِز والفخر فيك مساغا** »[2] رواه ابن منده وغيره .

وقال شيخ الطريقين السهروردى أجمعوا على حل لبس سائر أنواع الثياب إلا ما حرم الشرع على الرجال لبسه ويرون - يعنى الصوفية - الاقتصار على الأدون من الثياب والخلقان والمرقعات أفضل لقوله - ﷺ - « **ما قل وكفى خير مما كثر وألهى** »[3] ولأن لبس الأرفع من الدنيا التى حلالها حساب وحرامها عقاب ولقوله - ﷺ - : « **إن الله تعالى يحب كل مؤمن مبتذل لا يبالى ما لبس** »[4].

ولقوله عليه السلام « **من ترك ثوب جمال وهو يقدر على لبسه كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة** »[5] ويختارون لبس المرقعات لقوله - ﷺ - لعائشة : « **إن أردت اللحوق بى فيكفيك من الدنيا كزاد الراكب وإياك ومجالسة الأغنياء**

---

(١) مسلم فى كتاب الإيمان ، من حديث وله بقية ، وذلك فى باب تحريم الكبر وبيانه ، حديث رقم (١٤٧) (٩٣/١) ، والطبرانى وفيه جعفر بن الزبير وهو متروك ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى (١٣٤/٥) ، والحاكم فى المستدرك (١٨١/٤) ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير ، حديث رقم (١٧٣٧) (١٠٤/٢) .

(٢) ذكره السيوطى فى الجامع الصغير ، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير ، وعزاه لابن منده عن أنيس ابن الضحاك ، حديث رقم (١٢٤٤) (٣٤٨/١ ، ٣٤٩) .

(٣) أخرجه الديلمى فى الفردوس عن أنس ، حديث رقم (٦٢٥٢) (٨٢/٤) وابن عدى فى الكامل فى ضعفاء الرجال من نفس الطريق (٢٧٨/١) ، وذكره السيوطى من طريق آخر عن أبى سعيد فى الجامع الصغير ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير ، حديث رقم (٥٥٢٩) (١٥١/٥) ، والمتقى الهندى من نفس الطريق فى كنز العمال حديث رقم (٧١١١) (٣٩٤/٣) .

(٤) الديلمى فى الفردوس ، حديث رقم (٥٦٨) (١٥٥/١) ، وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب وعزاه للبيهقى ، (١٠٨/٣) وقال العراقى على هامش الإحياء : حديث «إن الله يحب المتبذل الذى لا يبالى ما لبس» لم أجد له أصلاً (٢٢٦/٤) ، وذكره السوطى فى الجامع الصغير ، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير ، وعزاه للبيهقى فى الشعب ، حديث رقم (١٧٠٧) (١١٥/٢) .

(٥) ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب ، وعزاه لأبى داود وقال : لم يسم ابن الصحابى ، وعزاه أيضاً للبيهقى ، (١٠٧/٣) .

ولا تستخلعى ثوباً حتى ترقعيه »[1] رواه الحاكم والطبرانى والترمذى وغيرهم ؛ ولأنها أقل مؤنة وأقل تخرق وأبقى على صاحبها ، وأقرب إلى التواضع وأنفى لكبر وأصبر على الكد وأدفع للحر والبرد ولا مطمع لأهل الفساد والشر فيها .

وفى حديث ابن عباس « رأيت المصطفى - ﷺ - يرقع ثوبه ويخصف نعله[2] ورأيت أبا بكر يتخلل[*] بالعباءة ، ورأيت عمر يرقع جُبّته برقاع ، وخطب يوماً بقميص فيه أربع عشرة رقعة وهو خليفة » .

وفى حديث أنس قال : كان أحب الثياب إلى رسول الله الخضر وثياب أهل الجنة خضر[3].

وأما حديث : « **خير ثيابكم الثياب البياض** »[4] فمعناه أحسن ثيابكم وألْيَقُها لسائر الناس البياض ، إلى هنا كلام السهروردى .

وقالوا من مروءة الرجل ألا يلبس ثوب شهرة[5] وكُلْ ما اشتهته نفسك والبس ما يلبسه أبناء جنسك وقد أحسن بعض الشعراء حيث قال يخاطب من رأى عليه ثوب شهرة :

---

(١) الترمذى فى كتاب اللباس ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صالح بن حسان ، قال : وسمعت محمداً يقول صالح بن حسان منكر الحديث ، وصالح بن أبى حسان الذى روى عنه ابن أبى ذئب ثقة (٢٧٦/٧).

(٢) وسئلت عائشة ما كان النبى ، ﷺ يصنع فى بيته ؟ قالت : ما يصنع أحدكم ، يرقع ثوبه ويخصف نعله » ، انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٦٦/١) وخصف النعل : خِرزها بالمِخصَف .

* يغطى خلل ثوبه بالعباءة .

(٣) أخرج ابن سعد فى الطبقات الكبرى عن ابن يعلى عن أبيه قال : رأيت النبى ﷺ يطوف بالبيت مُضطبعاً ببُرد أخضر ، (٤٥٣/١) واضطبع بالثوب : تأبط به .

(٤) ابن ماجه فى كتاب الجنائز ، بلفظ « خير ثيابكم البياض فكفنوا فيها موتاكم ، وألبسوها » ، وذلك فى باب ما جاء فيما يستحب من الكفن ، حديث رقم (١٤٧٢) (٤٧٣/١) ، وأبو داود فى كتاب اللباس ، باب فى البياض ، حديث رقم (٤٠٦١) (٥١/٤) ، وأحمد فى المسند (٢٤٧/١) ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير ، حديث (١٢٤٧) (٣٩٢/١) .

(٥) أخرج أبو داود فى كتاب اللباس حديثاً مرفوعاً بهذا المعنى ، قال رسول الله ﷺ : « من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوباً مثله » وذلك فى باب فى لبس الشهرة ، حديث رقم (٤٠٢٩) (٤٤/٤) ، وابن ماجه فى كتاب اللباس ، باب من لبس شهرة من الثياب ، حديث رقم (٣٦٠٦) (١١٩٢/٢) ، وأحمد فى المسند (١٣٩/٢) .

إن العيون رمتك إذ فاجأتها وعليك من شهرة الثياب لباس
أما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت واجعل لباسك ما اشتهاه الناس

وقالوا : التعرى البارح خير من اللباس الفاضح .

وقال عبد الملك بن صالح : ليس من لباس السادات ذوى المروءات الثياب ذوات الألوان من لباس الغلمان والنسوان .

وقال الشاعر يذم رجلا تباهى بلبس الثياب :

يا من يلبس أثوابا يتيه بها فى كل يوم على بعض المساكين
ما غيَّر الخزّ أخلاقَ الحمير ولا نقشُ البرادع أخلاقَ البراذين[1]

وقالوا ينبغى للرجل أن يدفع عن نفسه بجهده بؤسها .

ويلبس لكل حالة لبوسها .

فليس تغير الشكل من دليل العقل ولا من شواهد الفضل ولا من علامات النبل وقد كان بعض الشعراء يقول :

قل للذى يخرج عن شكله ليرتقى أسباب أوعار
كيف ترجو أن تنال العلا ولن تنال الدهر من عار ؟!
من فارق المعهود من زيّه فذاك لا كاسٍ ولا عارى

وقال ابن مسعود : كونوا جدد القلوب خلقان الثياب مغبونين فى الأرض معروفين فى السماء .

ورأى رجل على آخر ثوباً خشناً فلامه وعنَّفه **فأنشد** :

على ثياب دون قيمتها فَلْس وفيهن نفس دون قيمتها الإنس
فثوبك صُبْحٌ تحت أذياله دجى وثوبَى ليل تحت أذياله شمس

وكان ممن افتخر من الأكارم ومدح أسماله[2] ورأى إكتساء حلل المكارم أسمى

---

(١) البرذون : يطلق على غير العربى من الخيل والبغال ، من الفصيلة الخيلية ، عظيم الخلقة ، غليظ الأعضاء ، قوى الأرجل ، عظيم الحوافر وجمعها براذين .

(٢) سَمَلَ الثوبُ ونحوه – سُمُولاً ، وسَمَالةً : أخلق وبَلِى ، والسَّمَلُ : ثوبُ سمَلُ : خلق بالٍ ، ويقال : ثوبُ أسمال .

له ، واقتدى بكلثوم بن عمرو العتابى[1] فى هذا المذهب وتختم بفصه المذهب وذلك أنه دخل على يحيى البرمكى[2] فى سمل وكان لا يبالى ما لبس فلامه وعابه وقال له : يا أبا على لايرضع المرءهمسات جماله وماله حتى يرضعه أكبراه : همته ونفسه ، وأصغراه قلبه ولسانه قال شاعر فى هذا المعنى :

لا تنظرن إلى الثياب فإننى خلق الثياب من المروءة كاسى

وقال **ابن** عفان وأجاد فى النحو الذى أراد :

تعجبت در من شيبى فقلت لها لا تعجبى قد يكون العجز فى السدف[*]

وزادها عجبا أن رحت فى سمل وما درت در أن الدر فى الصدف

وقال آخر فى المعنى :

يا هذه كم يكون اللوم والعَفْو لا تنكرى رجلا أثوابه قِدَدُ
إن يُمْسِ منفرداً فالسيف منفرد والليث منفرد والبدر منفرد

قال مكحول[3]: من نظف ثوبه قل همه ، ومن طاب ريحه زاد عقله ومن جمع

---

(١) العتّابى (... - ٢٢٠ هـ = ... - ٨٣٥ م) . هو كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبى ، أبو عمرو ، من بنى عتاب بن سعد : كاتب ، حسن الترسل ، وشاعر مجيد يسلك طريقة النابغة يتصل نسبه بعمرو بن كلثوم الشاعر ، وهو من أهل الشام . كان ينزل قِنَّسْرين ، وسكن بغداد ، فمدح هارون الرشيد وآخرين ، ورمى بالزندقة ، فطلبه الرشيد فهرب إلى اليمن فسعى الفضل بن يحيى البرمكى بأخذ الأمان له من الرشيد فأمنه . وعاد ، فاختص بالبرامكة . ثم صحب طاهر بن الحسين وصنف كتباً ، منها « فنون الحكم » و« الآداب » ، انظر الأعلام (٢٣١/٥) ، وتاريخ بغداد (٤٨٨/١٢) .

(٢) يحيى البرمكى (١٢٠ - ١٩٠ هـ = ٧٣٨ - ٨٠٥ م) . هو يحيى بن خالد بن برمك ، أبو الفضل : الوزير السري الجواد ، سيد بنى برمك وأفضلهم . وهو مؤدب الرشيد العباسى ومعلمه ومربيه . رضع الرشيد من زوجة يحيى مع ابنها الفضل ، فكان يدعوه : يا أبى ! وأمره المهدى (سنة ١٦٣) وقد بلغ الرشيد الرابعة عشرة من عمره ، أن يلازمه ، ويكون كاتباً له ، وأكرمه بمئة ألف درهم ، وقال هى معونة لك على السفر مع هارون ولما ولى هارون الخلافة دفع خاتمه إلى يحيى ، وقلده أمره ، فبدأ يعلو شأنه واستمر إلى أن نكب الرشيد البرامكة فقبض عليه وسجنه فى « الرقة » إلى أن مات ، فقال الرشيد : مات أعقل الناس وأكملهم ، انظر الأعلام (١٤٤/٨) . ★ السّدف : الظلمة والسواد .

(٣) مكحول النسفى (... - ٣١٨ هـ = ... - ٩٣٠ م) . هو مكحول بن الفضل النسفى ، أبو مطيع : فقيه من كتبه « الشعاع » فى الفقه و« اللؤلؤيات » فى المواعظ ، اختصرها على بن عيسى النسائى ومن المختصر نسخة بخطه فى دار الكتب المصرية ، الأعلام (٢٨٤/٧) .

بينهما ظهرت مروءته . ويقال الظرف والكرم فى المبالغة فى التنظيف . وذكروا أنه متى قصد باللباس أو غيره نحو تكبر أو تشبه رجل بامرأة أو عكسه فى لباس اختص به المشبه به حرم بل فسق بل عده بعضهم من الكبائر للعنه فى الحديث[1] ويحرم على غنى لبس خشن ليعطَى .

وقال فى موضع آخر من آداب القوم : إنهم يلبسون ما يجدون صوفا أو كتاناً أو قطنا من غير تكلف ولا إختيار ومهما لبسه الفقير الصادق حسن عليه وكان له فيه ملاحة ومهابة وطلاوة وكانوا يتبرمون من كثرة اللباس وادخار ذلك بل يتواسون بما زاد على ما لابد منه حالا من دفع الحر والبرد .

قال المصطفى – ﷺ –: « **ثلاثة يدخلون الجَنة بغير حساب : رجل غسل ثوبه فلم يجد خَلَفاً ، ورجل لم ينصب على مستوقده قدران ، ورجل دعا بشراب فلم يقل له أيهما تريد ؟** »[2].

وروى عن عائشة « أنها قالت : ما أعد رسول الله – ﷺ – من شيء زوجين » انتهى .

وقال العارف ابن عربى[3]: أُخذ علينا العهود ألا يكون لأحدنا إلا ثوب واحد وأن يكون مُعاراً لا مملوكا لئلا يكون لنا ملك مع الله تعالى .

ومن آدابهم النظافة والظرافة والتنزه عن الأدناس .

قال المصطفى – ﷺ – : « **النظافة من الإيمان** »[4].

---

(١) أخرج البخارى فى كتاب اللباس عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » (٣٨/٤) .

(٢) ذكره المتقى الهندى فى كنز العمال ، وعزاه لأبى الشيخ فى الثواب عن أبى سعيد ، حديث رقم (٦٠٧٨) (١٨٥/٣) .

(٣) ابن عربى (٥٦٠ – ٦٣٨ هـ = ١١٦٥ – ١٢٤٠ م) . هو محمد بن على بن محمد بن عربى ، أبو بكر الحاتمى الطائى الأندلسى المعروف بمحيى الدين بن عربى فيلسوف ، من أئمة المتكلمين فى كل علم . ولد فى مرسية وانتقل إلى إشبيلية . وقام برحلة ، فزار الشام وبلاد الروم ، واستقر فى دمشق ومات بها ، له من المصنفات « الفتوحات المكية » و« محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار » ، إلخ ، أنظر الأعلام (٢٨١/٦) ، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة (٤٠/١١) لا شيء فى تملك الطيبات فالله يؤتى الملك من يشاء ولا يعد ذلك مشاركة فى ملك الله .

(٤) أخرجه الطبرانى فى الأوسط بلفظ « النظافة تدعو إلى الإيمان » ، وله بقية ، وفيه إبراهيم بن حيان ، قال ابن عدى : أحاديثه موضوعة ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى ، كتاب الطهارة ، باب التخليل ، (٢٣٦/١) .

ورأى المصطفى – ﷺ – على رجل ثوباً وسخاً فقال « **أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه** »[1] هب أن الفقر من الله فما بال الوسخ فى الوسخ وقال : **إن الله يبغض الوسخ** »[2].

ويكرهون لبس الشهرة من الثياب ويستبركون بثياب الأولياء والصالحين والعلماء العاملين .

واختار بعضهم الاقتصار على حرفين كهيئة المحرم وكره الجمهور ذلك لما فيه من الشهرة وإظهار التميز على الأقران وكره الصوفية لبس الفرجية[3] إلا للمشايخ فإنه بمنزلة الطيلسان[4] والسجادة لهم » انتهى كلامه .

ويحرم القعود على جلد سبع كَاسِر ونمر به شعر[5] وإن جلس على الأرض خلافا لجمع لأنه من شأن المتكبرين ويحل لبس حُورِ السنجاب على الصواب خلافا لكثيرين . وفرو الوَشَق[*] شعره نجس وإن دبغ لأنه غير مأكول ، وكان المصطفى – ﷺ – يلبس الحبرة وهى ثوب مخطط بل ورد أنهاأحب الثياب إليه[6] والأفضل فى القميص كونه من قطن وألحق به سائر أنواع اللباس كالعمامة ويليه الصوف وتقصير[7]

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب اللباس ، باب فى غسل الثوب وفى الخلقان ، حديث رقم (٤٠٦٢) (٥١/٤) ، وأحمد فى المسند (٣٥٧/٣) .

(٢) أخرجه البيهقى فى الشعب بلفظ : « إن الله يبغض الوسخ والشعث » ، انظر كنز العمال (٦٤١/٦) رقم (١٧١٨١) .

(٣) الفَرَجِيَّةُ : ثوب واسع طويل الأكمام يتزيا به علماء الدين .

(٤) تطلّس بالطَّالسان أو الطيلس أو الطيلسان : لَبِسَه وهو ضرب من الأوشحة يُلْبس على الكتف ، أو يحيط بالبدن ، خال عن التفصيل والخياطة ، أو ما يعرف فى العامية المصرية بالشَّال .

(٥) أخرج أبو داود عن معاوية أن رسول الله ﷺ قال : « لا تركبوا الخزَّ ولا النمار » ، وقال : وكان معاوية لا يتهم فى الحديث عن رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٤١٢٩) (٦٧/٤) /

(٦) أخرج البخارى عن أنس أنه قال : كان أحب الثياب إلى النبى ﷺ أن يلبسها الحِبَرَةُ ، وذلك فى كتاب اللباس ، باب البرود والحبرة والشملة (٢٨/٤) .

* الوَشَق : دابة تتخذ منها الفراء الجيدة ، وهو نوع من السباع فصيلة السّنوريات ورتبة اللواحم .

(٧) أخرج ابن سعد فى طبقاته عن أنس بن مالك قال : كان قميص رسول الله ﷺ ، قطناً ، قصير الطول قصير الكمين » انظر طبقات ابن سعد (٤٥٨/١) .

الكم بأن يكون إلى الرسغ فإن زاد على ذلك بقصد الخيلاء جُرّح بل فسق وإلا كره إلا لعذر كان تميز العلماء بشعار يخالف ذلك فيجوز لبسه ليعرف فيسأل حيث لا خيلاء وجعل بعضهم توسعة الأكمام وخالفه بعضهم لما ورد أن أكمام الصحابة كانت بطاحا(*) ولا بأس بلبس ضيق الكُمَّيْنِ حضراً وسفراً وإن لم يكن الغزو خلافا للبعض ، ولبس العمامة(١) سنة وضبط طولها وعرضها بما يليق باللابس عادة فى زمانه ومكانه فإن زاد كره ويراعى فى لفها عادة أمثال الإنسان ومن ثم : انخرمت مروءة فقيه بلبس عمامة جندى أو سوقى وعكسه والأفضل فى لونها البياض ولبس المصطفى – ﷺ – العمامة السوداء(٢) أو نزول أكثر الملائكة يوم بدر بعمائم صفر وقائع حال محتملة .

« المقصد الرابع »
« فى آداب الجماع(**) »

وفيه بابان :

« **الأول** » « فى آدابه الشرعية » .

اعلم أنه يستحب أن يقول عند إرادة الوقاع باسم الله ويقرأ قل هو الله أحد أولا ويكبر ويهلل ويقول : بسم الله(٣) ويقرأ ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ويكبر ويهلل ويقول : بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اجعلها ذرية طيبة إن كنت قدرت أن تخرج من صلبى ذلك .

وقال المصطفى – ﷺ – : « **لو أن أحدكم قال إذا أتى أهله : « اللهم جنبنا**

---

* بطاحاً : أى واسعة .

(١) أخرج الترمذى عن ابن عمر قال : كان النبى ﷺ إذا اعتمَّ سدل عمامته بين كتفيه » ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، وذلك فى كتاب اللباس ، باب فى سدل العمامة بين الكتفين ، (٢٤٣/٧) .

(٢) أخرج ابن ماجه عن ابن عمر : أن النبىَّ ﷺ دخل ، يوم فتح مكة ، وعليه عمامة سوداء ، وفيه موسى ابن عبيدة الربذىّ ، وهو ضعيف ، حديث رقم (٣٥٨٦) (١١٨٦/٢) ، وأخرجه الترمذى من طريق آخر ، عن جابر وقال : حديث جابر حديث حسن صحيح ، وذلك فى كتاب اللباس ، باب ما جاء فى العمامة السوداء ، (٢٤٢/٧) . ** وهو الأدب العاشر من آداب المعاشرة عند الغزالى

(٣) وهو قول لابن عباس وذلك حينما فسر الآية ﴿ وقدموا لأنفسكم ﴾ من سورة البقرة (٢٢٣) قال : التسمية عند الجماع يقول : باسم الله ، انظر تفسير الطبرى (٣٣٧/٢) .

الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان »[1] **وإذا قرب الإنزال فليقل فى نفسه الحمد لله ﴿ الذى خلق من الماء بشراً ﴾**[*] الآية .

وكان بعض أهل الحديث يكبر حتى يسمع أهل الدار والأولى أن ينحرف عن القبلة فلا يستقبلها بالوقاع إكراما لها فإن فعل لم يكره وليتغطَّ بثوب وكان المصطفى - ﷺ - يغطى رأسه ويغض بصره ويقول للمرأة : « **عليك السكينة** »[2].

وفى الحديث « **إذا جامع أحدكم أهله فلا يتجردان تجرد العيرين** »[3] أى الحمارين ويقدم التلطف بالكلام والتقبيل .

قال المصطفى - ﷺ - : « **لا يقع أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة ليكن بينكما رسول قيل وما الرسول ؟ قال : القبلة والكلام** »[4].

وقال : ثلاث من العَجْزِ فى الرجل : أن يلقى الرجل من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعرف إسمه ونسبه وأن يكرمه أخوه فيرد عليه كرامته وأن يفارق الرجل جاريته فيصيبها قبل أن يحادثها ويؤانسها ويضاجعها فيقضى حاجته منها قبل أن تقضى حاجتها منه ، ويكره له فى ثلاث ليال من الشهر ليلة أوله وآخره والنصف منه يقال

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ، (٢/٢٢١) .

* الآية من سورة الفرقان : ٥٤ .

(٢) أخرجه الطبرانى بلفظ « عليك السكينة والوقار » ، وفيه معروف أبو الخطاب وهو ضعيف ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى كتاب النكاح ، باب أدب الجماع ، (٤/٢٩٥) .

(٣) ابن ماجه فى كتاب النكاح ، باب التستر عند الجماع ، حديث ٨ رقم (١٩٢١) ، (١/٦١٩) .

(٤) مداعبة الأنثى قبل الجماع يهيئها نفسياً وجسمانياً لإتمام العملية الجنسية والوصول إلى الغاية المنشودة منها ، وذلك أن هناك مراكز متخصصة فى المخ تقوم بإرسال إشارات إلى الجهاز التناسلى لكى يتهيأ لإتمام هذه العملية ، حيث تحدث انقباضات فى الرحم والمهبل وكذلك يزداد إفراز الغدد الموجودة فى هذه الأماكن لتسهيل الإيلاج ومن الأماكن الحساسة جنسياً فى الأنثى : الشفة واللسان ومقدمة الرقبة ومنتصف الظهر وأسفل البطن ، والأجزاء الخارجية من المهبل ، وحلمة الثديين حيث يثير تنبه هذه الأماكن الرغبة الجنسية فى الأنثى ، وإثارة الرغبة الجنسية فى الأنثى على قدر من الأهمية حيث يجعلها تتجاوب مع الذكر فى أداء العملية الجنسية ، أما عدم إثارة الرغبة الجنسية فى الأنثى ففى غاية الخطورة ويأتى بنتيجة عكسية حيث يكون الذكر قد تشبع وانتهى من لذته بينما تكون الأنثى لم تصل بعد إلى قمة شهوتها ، أو ربما يتركها الذكر وتكون قد وصلت إلى قمة شهوتها ، وفى ذلك كل الخطورة على الجانب النفسى ، وربما يدفعها ذلك إلى طلب اللذة أو الشهوة بطرق غير مشروعة ، أما بالنسبة للحديث فقد ذكره التجانى فى تحفة العروس (ص/١١٤) (٢٤٨) وذكره الغزالى فى الإحياء ، وعزاه العراقى إلى أبى منصور الديلمى فى الفردوس من حديث أنس وهو منكر ، على هامش الإحياء (ص/٧٤٠) .

إن الشيطان يحضر الجماع فى هذه الليالى وإن الشياطين يجامعون فيها »[1].

وروى كراهة ذلك عن على ومعاوية وأبى هريرة واستحب بعض العلماء الجماع يوم الجمعة قبل الذهاب إلى الصلاة تحقيقا لأحد التأويلين فى قول المصطفى - ﷺ - : « **رحم الله من غسل واغتسل** »[2] ثم إذا قضى وطره فليتمهل حتى تقضى وطرها فإن إنزالها قد يتأخر فتهيج شهوتها فالقعود عنها إيذاء لها ، والاختلاف فى طبع الإنزال يوجب التنافر بينهما والتوافق فى الإنزال ألذ عندها من أن يشتغل الرجل بنفسه عنها فإنها ربما تستحى .

وينبغى أن يأتيها فى كل أربع ليال مرة فهو عدل إذ عدد النساء أربع[3] فقد جاز التأخير إلى هذا الحد .

نعم ينبغى أن يزيد وينقص بحسب حاجتها فى التحصين فإن تحصينها لازم له وإن كانت لا تثبت المطالبة بالوطء فذلك لعسر المطالبة والوفاء به .

---

(١) عزاه العراقى على هامش الإحياء للديلمى من حديث أخصر منه (ص/٧٤٠) .

(٢) أخرجه الترمذى فى كتاب الصلاة ، باب ما جاء فى فضل الغسل يوم الجمعة ، من حديث له بقية ، وقال : حديث أوس بن أوس حديث حسن . (٢/٢٨١) .

(٣) يقول الله سبحانه وتعالى فى محكم آياته ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ﴾ [النساء/] وقد جاء فى تفسير هذه الآية : إن الإسلام نظام للإنسان ؛ نظام واقعى إيجابى . يتوافق مع فطرة الإنسان وتكوينه ، ويتساءل قائلاً فإذا استصحبنا معنا هذه الخصائص الأساسية فى النظام الإسلامى ، ونحن ننظر إلى مسألة تعدد الزوجات فماذا نرى ؟ .

نرى (والحديث له) أن هناك حالات واقعية فى مجتمعات كثيرة تبدو فيها زيادة عدد النساء الصالحات للزواج ، على عدد الرجال الصالحين للزواج ، فكيف نعالج هذا الواقع ؟

فعندئذ نجد أنفسنا أمام إحتمال من ثلاثة احتمالات :

(١) أن يتزوج كل رجل صالح للزواج امرأة من الصالحات للزواج ثم تبقى واحدة أو أكثر بدون زواج .

(٢) أن يتزوج كل رجل صالح للزواج واحدة فقط ، ثم يسافح أخرى من هؤلاء اللواتى ليس لهن مقابل فى المجتمع من الرجال .

(٣) أن يتزوج الرجال الصالحون أكثر من واحدة .

فالاحتمال الأول ضد الفطرة ، فالمرأة لا تستطيع أن تستغنى عن الرجل وهكذا الرجل فهما من نفس واحدة ! والاحتمال الثانى ضد إتجاه الإسلام النظيف ، وضد قاعدة المجتمع الإسلامى العفيف ، وضد كرامة المرأة الإنسانية .

والإحتمال الثالث هو الذى يختاره الإسلام ، وهو أن يتزوج الرجل مثنى وثلاث ورباع من النساء .

ويقال إن إتيانها فى الحيض[1] يورث الجذام فى الولد . وله الاستمتاع بجميع بدنها حتى ظاهر حلقة دبرها أما إدخال الذكر فيه فحرام[2] وكانوا فى الجاهلية يفعلونه ويسمونه« **التحميض** »[*] ثم جاء الشرع بالنهى عنه وإذا حرم الإتيان فى الحيض اتفاقا لأجل الأذى والأذى فى الدبر دائم فهو أشد تحريما وله أن يستمنى بيد زوجته .

وإذا أراد أن يجامع ثانيا ندب أن يتوضأ[3] لأنه أنشط للعبادة فإن لم يفعل غسل فرجه ويكره الجماع فى أول الليل لئلا ينام على غير طهارة فإن أراد النوم أو الأكل توضأ ندباً وإذا عاد إلى فراشه نفضه لأنه لا يدرى ما حدث عليه بعده .

ولا ينبغى أن يحلق أو يقلم أظفاره أو يخرج دماء وهو جنب إذ ترد عليه أجزاؤه فى الآخرة فتعود بجنابتها ويقال : إن شعره يطالبه بجنابته .

« الباب الثانى »
« فى آدابه الطبية »

اعلم أنه يكفى فى الجماع أن يكون مرة فى السنة ، وقيل : فى كل ستة أشهر مرة وقيل : يجب فى كل فصل مرة غير الخريف ، فلا يجوز فيه بحال قال ابن سينا : مادامت القوة تحتمله فليس بردىء ، وقال بعض مشايخنا : ليس للتحديد وجه بل إن كان المراد منه حفظ الصحة فمتى مالت إليه النفس والقوى من غير تقدم ما يوجب تحريك الشهوة من عناق وتقبيل وحب لأن الطبيعة أصدق عارف بما يناسبها ولا عبرة بامتلاء العروق واحمرار اللون وثقل الحواس ووجود البخارات الوسواسية أو جماع التوليد فلا وقت

---

(١) مباشرة النساء فى المحيض فيها أذى محقق ومؤكد للرجال والنساء على السواء ، فدم الحيض بيئة صالحة لنمو الميكروبات التى قد تصيب الرجل بالتهابات فى مجرى البول والبروستاتا ، والمرأة فى فترة الحيض تكون فيها الأوعية الدموية المبطنة لجدار الرحم مفتوحة ، وقد تؤدى انقباضات الرحم التى تحدث أثناء الإتصال الجنسى إلى دخول أجزاء من محتويات تجويف الرحم إلى هذه الأوعية المفتوحة ومنها إلى أجزاء الجسم المختلفة حيث تنمو وتسبب أوراماً ينتج عنها نزيف وقت العادة الشهرية . * التحميض : التحوّل من حال إلى حال .

(٢) أخرج ابن ماجه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته فى دبرها » وذلك فى كتاب النكاح ، باب النهى عن إتيان النساء فى أدبارهن حديث رقم (١٩٢٣) (٦١٩/١) .

(٣) أخرج الترمذى عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال : إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ بينهما وضوءاً » ، وقال : حديث أبى سعيد حديث حسن صحيح ، وذلك فى كتاب الطهارة ، باب ما جاء إذا أراد أن يعود توضأ (٢٣٢/١) .

له لأنه بحسب ما يطلب من الإيجاد .

وكيفية الجماع أن تستلقى المرأة ويعلوها الرجل خاصة وما أحدثه المتنوعون من اللعب فإنه يفسد الأبدان فليجتنب والجماع من الاستفراغات الكلية يناسب من عنده امتلاء زائد من الدم لأنه يجفف البدن منه وينشط النفس ويسكن الغضب ويذهب بالفكر حتى إنه ربما أبرأ من الماليخوليا ويسّكن العشق إذا أكثر منه ويجفف الرأس والحواس وينفع من الوسواس والصداع من بخار ردىء ويجلو البصر وينفع القلب والدماغ والكلى والمرض البلغمى والسوداوى والدموى وينعش الحار الغريزى ويفرح القلب والإفراط فيه يورث الهرم والذبول ويوهن الجسم والقوى ويضعف الأعضاء الرئيسية ويعجل بالموت .

قال أرسطو[1]: الحيوان الكثير الجماع قصير العمر .

قال ابن سينا :

أقلل نكاحك ما استطعت فإنه ماء الحياة يصب فى الأرحام

وأولى أوقاته عند تمام الهضم فلا يجامع على جوع ولا على امتلاء طعام وشراب ولا عقب إسهال وفصد[2] وحجم[3] وإذا أراده تغذى بغذاء يزيد فى المنى ويزيد فى

---

(١) أرسطو : (٣٨٤ - ٣٢٢ ق م) فيلسوف يونانى ، تتلمذ على علم أفلاطون وعلم الإسكندر الأكبر ، وأسس اللوقيون ، حيث كان يحاضر ماشياً ، فسمى هو وأتباعه بالمشائين ، ألف « الأورغانون » فى المنطق ، وأهم ما فى المنطق هو القياس الذى نستنبط به نتيجة يقينية من مقدمات ، ولأرسطو فى العلم الطبيعى مؤلفات منها « السماع الطبيعى » و« السماء » و« الكون والفساد » و« النفس » انظر الموسوعة الثقافية بإشراف د/حسين سعيد (٦٣/١) .

(٢) الفصد هو قطع أحد الأوردة ، وترك الدم يسيل منه بقدر معلوم لا يتسبب عنه أذى للجسم ، والفصد فى الأوردة المختلفة يفيد كل منها فى أمراض خاصة ومن الأمراض المشهورة التى كان يتم علاجها بالفصد هو مرض ارتفاع ضغط الدم .

(٣) الحجامة نوعان : الحجامة الجافة ، والحجامة الرطبة وقد كانت معروفة ومنتشرة فى مصر إلى عهد قريب وتعرف (بكاسات الهواء) وكانت تستعمل فى علاج الإلتهابات والآلام الروماتزمية ، وكانت هناك أجهزة صغيرة للقيام بعمل « التشريط » فى حالات الحجامة الرطبة فى أقل من ثانية وبدون ألم يذكر ، وللحجامة أساس علمى معروف ، وهو أن الأحشاء الداخلية تشترك مع أجزاء معينة من جلد الإنسان فى مكان دخول الأعصاب المغذية لها فى النخاع الشوكى أو النخاع المستطيل أو فى المخ المتوسط وبمقتضى هذا الإشتراك فإن أى تنبيه للجلد فى منطقة ما من الجسم يؤثر على الأحشاء الداخلية المقابلة لهذا الجزء من الجلد ، وهى نفس النظرية التى على أساسها تستخدم الإبر الصينية فى علاج وتخفيف الآلام ، حيث تستخدم فى علاج المغص الكلوى وألم البطن =

التطيب والنوم والدعة ثم يفعل ، وأحسن ما يكون مجامعة المحبوب لأن جماعه يَسُرّ ولا يضرّ ، وجماع الحائض والنفساء والعجوز مهلك ، وكذا المريضة ، والقبيحة المنظر ، والصغيرة وبعيدة العهد بالجماع والبكر ولا يقربه، إلا عن شهوة وأولى الناس بتركه الشيخ والنحيف ومحرور المزاج وضعيف الكبد والصدر والمعدة والعصب والبصر واليابس البدن فإنه يؤدى إلى الدق والأرمد .

وقد وقفت على رسالة فى الباه[1] للبدر القوصونى[2] أجاد فيها الاختصار وضمنها ما تفرق فى الكتب الكبار فأحببت إيرادها هنا بتمامها لحسنها ووجازتها قال – رحمه الله – :

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فهذه تذكرة مباركة فى أسباب ضعف الباه وعلامة كل نوع من أنواع الضعف وعلاجه والمفردات المضعفة له وفى أسباب قوته والمفردات والمركبات والنفوس المقوية له بخواصها .

« فصل »
فى أسباب ضعفه وعلاجه

يقول : كل ضعفه إما لضعف الشهوة أو لضعف السرف وهلاكه وقلة غذائه فيقل الريح والروح والدم الذى هو سبب الانتشار . وعلاجه تقوية البدن بتدبير الناقه وزيادة الغذاء بحسب قوة الهضم والنوم والتطيب وبسط النفس وترك الجماع مدة .

وإما لقلة المنى لأن الشهوة إما أن تتحرك بكثرته فى أعضاء الجماع فيحدث المنى بكيفيته لذعاً ويكسبه ضغطاً وتمدداً فتشتهى الطبيعة رفعه كما يعرض فى بعض الفصول

= أثناء نزول العادة الشهرية عند بعض البنات والسيدات ، وكان النبى ﷺ يحجم ويقول : « خير ما تداويتم به الحجامة » فى الصحيحين والنسائى وأحمد .

(١) الباه : النكاح .

(٢) أغلب الظن أنه هو مدين بن عبد الرحمن القوصونى رئيس الأطباء المتوفى (١٦٣٤ م) من كتبه « ريحان الألباب وريعان الشباب فى مراتب الآداب » و« قاموس الأطباء وناموس الألباء » فى المفردات الطبية ، وفى خزانة الرباط (١٧٦٦ كتانى) مخطوط بإسم « تحفة المحب فى صناعة الطب » تأليف « بدر الدين القوصونى ، رئيس الأطباء ، توفى القوصونى بمصر ، انظر الأعلام (٧ ١٩٨) وهدية العارفين للبغدادى (٤٢٣/٣) .

وعلامته قلة المنى عند الخروج ثم إن قلته إما أن تصدر عن برد آلات المنى وعلامته جموده عند الجماع .

وعلاجه : بالمسخنات كزنجبيل تركى ، واستعمال الحركة المسخنة باعتدال والجوع .

وإما أن تصدر عن حرارة آلات المنى وعلامته غلظة وسهولة خروجه وعلاجه بالمبرد كحليب بذر الرجلة ولبن طرى .

وإما أن يصدر عن رطوبة آلاته ، وعلامته : رقتة . وعلاجه بالمسخن اليابس كالأطريفل والغذاء بالنواشف كاللحم المشوى .

وإما أن تصدر عن اجتماع بَرْدٍ ويُبْس ، أو برد ورطوبة أو حرارة مركبة مما مر .

وأما المزاج الحار الرطب فلا يكون سبباً لقلة المنى لأنه هو السبب الفاعل للدم والنصيح الصالح المستلزم لكثرة المنى والروح الشهوانى والنفخ المنعظ .

وإما لسكون المنى وقلة حركته ونفدانه اللذع المهيج للشهوة على إخراجه كما يعرض لمن تناول « الأفيون » وعلامته كثرة المنى عند الخروج وجموده وغلظه وعلاجه يسخن المنى ويحدث لذاغاً كمعجون القنقور ومعجون الليمون وحقن مسخنة يكون فيها الحسل[1] ودهن جوز وحمولات حارة .

وإما لترك الجماع فترة إو إحسار أو نسيان النفس له وقلة اهتمام الطبيعة به لتوليد المنى كالفاطمة ولدها وعلاجه بالتدريج[2] لتتحرك الشهوة وتأخذ القوة المولدة فى توليده والنظر إلى تسافد الحيوانات[3] وسماع الأحاديث المتعلقة به والنظر فى الكتب المصنفة فيه وحَىً تتحرك الأعضاء الآلية مع الدم والروح والحرارة الغريزية فتحركها وتستعملها فى توليد المنى ويهيج حينئذ ما تولد منه فيحصل الإنعاظ[4] ويتم أثر الجماع ويعين على ذلك، أيضاً استعمال المروخات[5] والدلوكات والأغذية الباهية .

---

(١) الحَسْلُ : النبق الأخضر . لفظة يونانية تطلق على ما يركب من الإهليلجات . تذكرة داود .

(٢) أى معاودة الجماع مرة أخرى بالتدريج بعد إنقطاع .

(٣) سَفَد ذكر الحيوان أنثاه : نزا عليها ، وتسفَّد البعير أو الفرس : أتاه من خلفه فركبه والتسافد : المواقعة .

(٤) الإنعاظ : الإنتصاب ، والتحرك للجماع .

(٥) المروخ : ما يدهن به البدن من دهن وغيره .

وإما لرأى نفسانى كالزهد والتقشف فإن ذلك إذا استقر فى النفس رغبة فى ذلك الجماع وَحى[1] تعرض الشهوة عنه وتبطل حركة الآلة .

وإما لفكر فى أمرٍ مهم وإما لبغض المجامع فينفر الطبع عن مباشرته أو لإحتشامه فتنفعل النفس وتستحى من التكشف للمباشرة .

وإما لسبق استشعار القلب أنه لا يحصل انتشار فلا ترغب النفس فى المجامعة حذراً من الخجل والشنعة[2] سيما إن اتفق عدم انتشار سابقا فيتمثل عدم الانتشار فى الوهم ويعتقد أن الانتشار لا يأتى جزما كما وقع سابقا ويرسخ هذا فى الذهن حتى تضعف الحركة والشهوة أو تبطل بالكلية **وعلاجه** : دفع تلك الأوهام والأعراض عن النفس .

وإما لأمر وهمى فيعتقد من حكم عليه الوهم أنه سحر وذهبت قدرته عن الجماع . **وعلاجه** : دفع الوهم إن أمكنه دفعه أو يعالجه بالعلاج التمويهى فيزول .

وإما لسحرٍ حقيقة **وعلاجه** : بما نذكره فى الكتاب .

وإما لضعفِ القلب بسبب تعب أو مرض طويل أو نحوه مما يحلل الروح والحال الغريزى وتضعف القوة فيضعف الروح الشهوانى والروح المباشرة أو ينقطع وفى هذه الحالة يغلب الحياء لضعف الحرارة الغريزية وتمتنع المباشرة ويدل على ذلك نقصان الحرارة فى جميع البدن ولين النبض ورخاوته وضعفه وحدوث الغشى أو قريب منه عند فراغ الجماع وعلاجه تقوية القلب بالمفرحات كياقوت[3] ومعاجين .

وإما لحرارة القلب المجاورة للاعتدال فيتحلل الريح الناشرة ويدل عليه خفقان وعطش **وعلاجه** : تعديل مزاج القلب بمفرحات باردة .

وإما لضعف المعدة والكبد وإصلاح مزاجها كما يجب .

وإما لتخمة وعلاجه الجوع وكذا علاج ضعف المعدة .

وإما لضعف الدماغ : فتنقطع مادة القوة الحاسة عن الأعضاء المباشرة لأن العصب الذى لا يكون الحس والحركة إلا به فى جميع الأعضاء منشؤه من الدماغ فهو لا يحس

---

(١) وحَى : سريعا .

(٢) الشنعة : القبح ، يقال : فَعْلَة شنعاء : قبيحة بالغة القبح .

(٣) الياقوت : حجر من الأحجار الكريمة ، وهو أكثر المعادن صلابة بعد الماس ، ويتركب من أكسيد الألمنيوم ولونه فى الغالب شفاف مشرب بالحمرة أو الزرقة أو الصفرة ، ويستعمل للزينة ، واحدته أو القطعة منه : ياقوتة وجمعها ياقيت .

بحركة المنى ولا بدغدغته[1] ولذعه فلا تشتهيه النفس فإن تَكلفَهُ لم يكن منه لذة تامة وتضعف الأعصاب عن الانتشار والحركة **وعلاجه** : تقوية الدماغ بمعجون ملائم ومشموم وطَلْى موافق .

وإما لضعف الكُلْية فإن الشهوة الطبيعية لا تتم إلا بقوة الكُلية لأن مادة المنى[2] تأتى من الكبد إلى الكُلْيتين ويتصفى فيهما من المائية ثم يأتى منهما إلى المجرى الذى بينهما وبين الأنثيين فينضج فيه المنى ويبيضّ بعد احمراره ثم يأتى منه إلى الأنثيين وعليه فيتغير بالضرورة مِزاجُ المنى إذا كان مزاج الكلية متغيراً وتضعف الشهوة .

وعلاجه : علاج ضعف الكلية وذلك بمنع الركوب [الجماع] مثلا إذا كان سببه منه وتضميد البطن بمقوٍّ وبقلّةِ الجماع إن كان سبب كثرته . وبتعديل مزاج الكليتين إن كان سببه سوء مزاج ساذج وبإخراج المادة إن كان سوء المزاج مادياً . وربما يسمن الكلية إن كان سببه هُزَالها . ويترك استعمال المدرات إن كان تقدم استعمالها .

وإما لإسترخاء الآلة : ويكون لضعف البدن أو لطول الإمساك عن الجماع وقد مر علاجه .

وإما لقلة النفخ والريح : وهو إما لبرد مفرط أو حرّ كذلك وعلامته عدم الحرارة إن كان عن برد ، وقوتها إن كان عن حَرّ مع قوة البدن وسلامة الأعضاء والإنتفاع بالأغذية النفاخة التى فيها رطوبة فضلية لا تنحل فى الهضم الأول بل تبقى إلى الهضم الثانى أو الثالث فتنحل رياحاً نافخة فى العروق فإن كان النفخ لعدم الحرارة دلّ عليه قوة الانتشار عند الجوع وعند استعمال الأغذية المسخنة وعند الحركات . **وعلاجه** : بمعجون مسخن ودهن كذلك وإن كان لقوة الحرارة دل عليه قوة الانتشار عقب الأكل والشرب . **وعلاجه** : الترطيب والتغذى بما فيه نفخ واستعمال الأدوية الباهية القليلة الحرارة والاستحمام والأدهان .

وإما لبرد أعصاب الذكر . **وعلامته** : غزارة المنى ورقته وسهولة خروجه من غير انتشار . **وعلاجه** : بالحقن المسخنة ، والمرخ بالدهن الحار .

---

(١) **الدغدغة** : حركة يحدث عنها انفعال . واللذع : الحُرقة .

(٢) **المَنِىُّ** : النُّطفة ، وهى سائل مبيض غليظ تسبح فيه الحيوانات المنوية ، يخرج من القضيب إثر جماع أو نحوه ومنشؤه إفرازات الخصيتين ، ويختلط به إفراز الحويصلتين المنويتين ، والبروستاتا ، وغدد المبال : مجرى البول .

وإما لاستعمال ما يضعف الباه وما فيه مرارة ، كبزر الساهترج أو الأغذية الحامضة كالحصرمية[1]، أو الناشفة كلحم قديد . **وعلاجه** : تركها واستعمال المقوى **ومضعفات الباه** : نكاح العجوز ، والصغيرة جدا ، والبكر ، ومتروكة الوطء مدة طويلة ، والحائض ، والنفساء ، والمريضة ، والغم ، والهم ، والحزن ، ونحو ذلك .

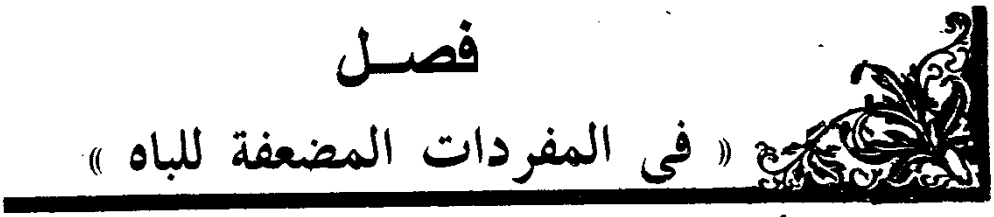

فصل
« فى المفردات المضعفة للباه »

اسفيداج[2] أكلة بذر شبت ، أكلة باقلا الضماد بدقيقه على العانة ، بذر خشخاش أسود[3]، أكلة بذر مرو[4] مدقوقا ، أكلة خس ، أكلة بذر خس ، أكلة بسبوسة هندية ، شربة بطيخ أخضر ، أكلة بقلة يمانية ، أكلة ببخ ، أكلة بنجكشت ، افتراش ورقه يقطع الباه من النساء ، تفاح توت شامى ، أكلة ثوم نياً ، أكلة جبن حالوم[5]، أكلة جل نار ، شربة حصرم ، أكلة حماض الأترج[6]، أكلة حماض السواقى ، أكلة خبز كثير النخالة ، أكلة شعير ، أكلة خروب ، أكلة خس ، أكلة خصية الذئب اليمنى إذا جففت ، وسحقت وخلطت بزيت وتحملتها المرأة خطاف دمه ، شرباً للمرأة بحيث لا تعلم خل ، أكلة دهن ، أكلة ذرة ، أكلة رجلة[7]، أكلة وشرب مائها رصاص شد صحيفة منه الظهر أو العانة زعرور فجا زيت استدامة ، أكلة بخبز زيتون فِجًّا وبخل سذاب[8] ، أكلة سفرجل فجا شهدانج[9] أكلة شوكران ، أكلة شونيز[10]

---

(١) الحِصْرِم : الثمر قبل النضج . (٢) الإسفيداج : الإسبيداج .

(٣) الخشخاش : نبات حولى من الفصيلة الخشخاشية يستخرج الأفيون من ثماره ، واحدته : خشخاشة .

(٤) المرو : نبات عَطِر طبى من الفصيلة الشفوية من أسمائه : الحرنباش ، وحبق الشيوخ .

(٥) الحالوم : لبن يغْلُظُ فيصير شبيهاً بالجبن الطرىّ وليس به .

(٦) الحُمَّاض : نباتات عشبية من فصيلة الحماضيات وهى أنواع تنبت برية ، ويزرع بعضها . ويعد من البقول الزراعية ، والحماض : ما فى جوف الأترج ، والأترج : شجر يعلو ، ناعم الأغصان ، وثمره كالليمون ، وهو ذهبى اللون ، ذكى الرائحة ، حامض الماء .

(٧) اعتبرت الرجلة منذ زمن طويل نباتاً طبياً ، ووُصفت لمعالجة أوجاع الرأس والمثانة ، وأنها تشفى القروح ، وتقطع النزيف ، وتطرد الديدان ، وتحتوى الرجلة على مادة قابضة مطهرة لذلك فإنها تفيد فى علاج الجروح والقروح كما أنها تستخدم لتطهير الأمعاء فى حالات الإسهال ولذلك يستصحبها المسافرون فى أسفارهم .

(٨) السَّذابُ : جنس نباتات طبية من الفصيلة السذابية .

(٩) الشهدانج : بذر شجرة القنب ، ويسمى فى مصر بالشراقى . أو الشارق .

(١٠) الشونيز : الحبة السوداء ، وهى المعروفة بحبّة البركة .

أكلة طحلب ضماد أعلى الأنثيين طرخون[١]، أكلة عدس مطبوخاً ، نيا عناب[٢]، أكله عنب الثعلب ، أكلة غبير[٣]، أكلة فجل[٤] إذا افترشته المرأة فلفل أسود ، إكثار فى الطعام قرع ، قصب فارسى عصارته ، شربا قضيب الضبع تسقى منه المرأة بماء أو طلاء وهى لا تعلم كافور[٥]، شربة مخلل ، أكلة كرسنة[٦]، أكلة كزبرة يابسة[٧]، أكلة وكذا شرب نقيعها ، كعك ، أكلة كمثرى فجالمون ، أكلة لبن حامض ، أكلة لحم قديد ، أكلة لحم الأرنب ، أكلة لوبيا[٨] ، أكلة لينوفر أصله وبذره ، شربة نبق فجا ، أكلة ورد . النوم عليه .

فصـل
« فى أسباب قوة الباه »

قوتها سببها : قوة الشهوة والانتشار وسببهما تولد المنى الصالح وهو الأبيض اللزج البراق المعتدل القوام والمِزاج والمقدار الراسب فى الماء الذى يقع عليه الذباب ويأكل منه ورائحة الطلع والياسمين وهو لا يكون كذلك إلا مع صحة البدن والدماغ والقلب

---

(١) الطرخون : بقلة زراعية معمرة من الفصيلة المركبة الأنبوبية الزهر ، تزرع لرائحة أوراقها وهذه الأوراق تؤكل وهى خضر مع الطعام ، ويسمى أيضا : الحوذان .

(٢) العُنَّاب : شجر شائك من الفصيلة السِّدرية يبلغ إرتفاعه ستة أمتار ، ويطلق العناب على ثمره أيضا ، وهو أحمر حلو لذيذ الطعم على شكل ثمرة النبق .

(٣) وهو جنس نبات شجيرى من الفصيلة الوردية ، فيه أنواع حَرَجية ، وأخرى تزرع للتزين أو لثمارها .

(٤) الفجل يساعد على الهضم وبذوره تفيد فى وجع المفاصل ، والفجل ملين وطارد للفضلات ومدر للبول ويفيد فى السعال الديكى ويحوى فيتامينات A.B.C .

(٥) يقطر من أوراقه وبرعمه زيت الكافور ، وهو مطهر يفيد فى حالات الزكام والأنفلونزا ، ويستخدم زيته كدهان لآلام الروماتيزم ، ومنشط للدورة الدموية ، وكذلك إذا وضع على الحروق فإنه يمنع تقيحها ، ويوقف التهابات وتعرجات اللثة ، وثبت أخيراً أن له خواصّ مطهرة ويفيد فى حالات التيفود ، ومنقوع أوراقه يساعد على إزالة عسر الهضم والحمى المتقطعة وطعم المنقوع مر المذاق .

(٦) الكَرْسِنَّةُ : عشب حولى من الفصيلة القرنية ، يزرع لحبه الذى يجعل عَلفاً للبقر .

(٧) الكزبرة اليابسة تقوى القلب وتمنع الخفقان أو تحبس البخار عن الرأس خصوصاً مع السعتر والسكر، وشرابها يمنع الهذيان والخلط من السكر ، انظر التداوى بالأعشاب والنباتات للأستاذ/ عبد اللطيف عاشور ، (ص ١٨٣) .

(٨) اللوبيا : بقلة زراعية حولية من الفصيلة القرنية [الفراشية] ، أصنافها الزراعية كثيرة .

والمعدة والكبد والأنثيين[1].

(**فصل**) **ولما** كان السبب الفاعل للانتشار والشهوة هو المنى الصالح كان الانتفاع بالأغذية أكثر من الأدوية وليس كل الغذاء نافعا بل ما يسخن منه ويرطب ويكون فيه نفع ينحل عند الهضم كلحم الضأن والأوز ، والدجاج ، والدُّراج[2]، وفراخ الحمام والسمان ، والعصافير ، والأكارع ومخ العظام وصفرة البيض البيمرشت والهريس والجوذابات والعصيدة[3]، والعجج ، والسمك الطرى ، والسمن ، والزبد واللبن الطرى ، وطعام الكرنب ، والجزر ، واللفت ، والهليون[4]، والقلقاس ، والكمأة والقسطل[5]، والقمح ، والحمص ، والفول ، والبصل ، والنعناع ، والكراث ، والعنب ، والتين ، والرطب ، والموز ، والفطير ، والصنوبر الكبير ، والزبيب ، وشرب ماء الحديد بدل الماء بعد الشروع فى الهضم ؛ لأن شرب الماء قبله يفجج الغذاء ويفسد الهضم ، والحذر من إدخال طعام على آخر لم ينهضم ، ومن الشبع ، ولا بأس باستعمال الرياضة الخفيفة فى كل يومين أو ثلاثة وعدم إطالة المكث فيه ، وتناول الغذاء بعده ، وشم الطيب والروائح اللذيذة ، وغسل الرجلين بالماء المسخن . والدلك بعده ، وكذا عند الاستيقاظ من النوم بمنديل ثم بالكف ثم بدهن ملائم ، والفرح واللعب ، والهزل وكل ما فيه سرور للنفس وإنعاش للحرارة الغريزية والراحة وعدم الإفراط فى النوم ، وذكر الجماع ، والتفكر فيه ، ودوام النظر إلى الصور الحسنة ، وسماع الألحان وسماع الصوت الرقيق من النساء[*]، وحكايات الأقوياء من المجامعين ، ومطالعة الكتب المصنفة فى الباه .

---

(١) الإرهاق الجسمانى والنفسانى من أهم أسباب عدم الانتصاب فى الرجل حيث تشكل هذه الأسباب حوالى ٩٠٪ من أسباب العنة (العُنة : عجز يصيب الرجل فلا يقدر على الجماع) عند الرجال ، ولذلك يفضل عدم الإقدام على الجماع عقب أى مجهود جسمانى أو أى مشكلة نفسية وتأجيله لفترة أخرى ، حيث تؤثر هذه الأسباب على مراكز المخ المتخصصة لإجراء العملية الجنسية .

(٢) الدُّرَّاج : نوع من الطير يدرج فى مشيه . و« البيمرشت » : البيض الذى تبيضه الدجاجة غير مكتمل ، وكذا البيض الذى لم يتم سلقه وصفاره فى حالة من السيولة .

(٣) العصيدة : دقيق يُلتُّ بالسمن ويطبخ ، وجمعها عصائد .

(٤) الهليون : جنس نبات من الفصيلة الزنبقية ، فيه نوع زراعى مشهور يؤكل ، وتسميه العامة : [كشك ألماس] فى مصر ، وفيه أنواع للتزيين ، وأنواع برية يتبقلونها ويستعملونها . كالهليون الزراعى .

(٥) القسطل : شجر من الفصيلة البلوطية ، له ثمر كثير النشاء . يؤكل مشوياً . ويعرف فى مصر بأبى فروة .

* من نسائه اللاتى يحل لهن الخضوع له بالقول وإثارته بصوتهن الجميل .

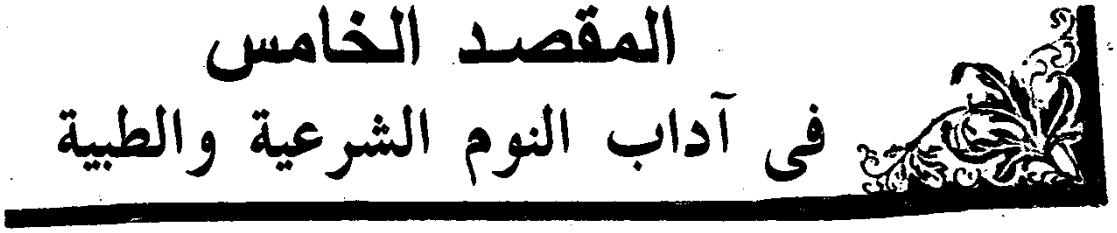

المقصد الخامس
فى آداب النوم الشرعية والطبية

وهو بابان :

الباب الأول فى آدابه الشرعية

وهى أمور

أحدها : أنه يستحب لمريد النوم أن يعرض نفسه على الخلاء فإنَّ حَبْسَ الأخبثين : البول والغائط داء فالحذر من مُدافعتهما ولو على ظهر دابة فإنهما إذا احتبسا كانا كالنهر الجارى إذا سد مجراه فإنه يتلف ما حوله من العمارة والنبات لكثرة الرطوبات المختلفة الفاسدة فيفسد جميع البدن !!

الثانى : أن يغطى الآنية التى فيها مأكول أو مشروب أو غيرهما مع ذكر الله – تعالى – دفعا للشيطان فإنه لا يحل سقاء ولا يكشف إناء[1] ولأن فى السنة ليلة ينزل

---

(١) أخرج الترمذى أن رسول الله ﷺ قال : أغلقوا الباب وأوكئوا السقاء واكفوا الإناء أو خمروا الإناء وأطفئوا المصباح فإن الشيطان لا يفتح غلقاً ولا يحل وكاءً ولا يكشف آنيةً وأن الفويسقة تضرم على الناس بيتهم » . وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وذلك فى كتاب الأطعمة ، باب ما جاء فى تخمير الإناء وإطفاء السراج والنار عند المنام (٢/٨) .

فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء ولا بسقاء ليس عليه وِكَاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء[1] والفُرس يتوقونه فى كانون الأول* .

الثالث : يستحب إطفاء السراج عند النوم للخبر الصحيح لا تتركوا النار فى بيوتكم حين تنامون لأن الفويسقة أى الفأرة تضرم على أهل البيت بيتهم[2].

الرابع : يندب ضم الفاشية والصبيان أول ساعة من الليل خوفاً من إيذاء الشياطين[3]. لأمر المصطفى ﷺ بذلك والفاشية : كل ما ينشر من البهائم وغيرها .

الخامس : يندب إغلاق الأبواب عند النوم[4]. .

السادس : يستحب أن يجرد من ثيابه عند النوم لأن النوم فيها يقطعها وقد نهى المصطفى عن إضاعة المال**.

السابع : أن يوصى والوصية سنة مؤكدة كل ليلة أو ليلتين للخبر الصحيح : « **ما حق امرى مسلم له شىء يوصى به يبيت ليلة أو ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه** »[5] أى ما الحزم إلا ذلك ، لأنه لا يدرى متى يفاجئه الموت وقد يجب ذلك .

الثامن : تندب المبادرة إلى أداء الديون قبل النوم – إن أمكن – لأنه قد يفاجئه الموت فى نومه فتصير ذمته مرهونة أى محبوسة عن مقامها الكريم حتى يوفى نفسه[6].

---

(١) أخرج مسلم أن رسول الله ﷺ قال : غطوا الإناء وأوكوا السقاء . فإن فى السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء ، أو سقاء ليس عليه وكاء ، إلا نزل فيه من ذلك الوباء » ، وذلك فى كتاب الأشربة ، باب الأمر بتغطية الإناء (١٥٩٦/٣) .

* كانون الأول : ديسمبر .

(٢) سبق تخريج حديث بهذا المعنى .

(٣) أخرج مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء ، فإن الشياطين تنبعث إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشا » ، وقال أهل اللغة : الفواشى كل شىء منتشر من المال . كالإبل والغنم وسائر البهائم وغيرها وهى جمع فاشية ، لأنها تفشو ، أى تنتشر فى الأرض ، وذلك فى كتاب الأشربة ، باب الأمر بتغطية الإناء ، حديث رقم (٢٠١٣) (١٥٩٥/٣) .

(٤) سبق تخريج حديث بهذا المعنى

** لعله يقصد بالتجرد من ثيابه . أى ثياب العمل ولقاء الناس . وهناك ثياب للنوم لا تدخل فى نطاق النهى عن إضاعة المال .

(٥) أخرجه البخارى بلفظ « مكتوبة عنده » ، وذلك فى كتاب الوصايا . باب الوصايا وقول النبى ﷺ : وصية الرجل مكتوبة عنده ، (١٢٤/٢) .

(٦) أخرج ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال : « كان الله مع الدائن حتى يقضى دينه ، ما لم يكن فيما يكره الله » .

التاسع : يندب تجديد التوبة قبل النوم بل يندب كلما ذكر المعصية بل قال القاضى الباقلانى[1] بالوجوب وأما وجوبها أصالة فثابت بالكتاب والسنة والإجماع[2].

العاشر : يباح النوم مستلقيا للرجل ولو واضعاً أحد رجليه على الأخرى لأن عمر وعثمان كانا يفعلان ذلك .

قال جدى شيخ الإسلام قاضى القضاة يحيى المناوى الشافعى فى شرح المختصر ، وأما حديث النهى عن أن يضع إحدى رجليه على الأخرى فهو محمول فلعل محله حيث يكون مظنة كشف العورة ، ككونه غير مستور كما فى نظائره بل كان البخارى يراه منسوخاً كما قاله ابن بطال لحديث عبادة[3].

أما المرأة فيكره لها أن تنام مستلقية ووجها إلى السماء كما فى منهاج الحليمى[4] وغيره .

الحادى عشر : يكره النوم على الوجه وهو منبطح .

رأى المصطفى – عليه السلام – رجلا نائما كذلك فنهاه وقال : « **هذه ضجعة**

= فكان عبد الله بن جعفر يقول لخازنه : اذهب فخذ لى بدين ، فإنى أكره أن أبيت ليلة إلا والله معى ، بعد الذى سمعت من رسول الله ، وذلك فى كتاب الصدقات ، باب من أدان ديناً وهو ينوى قضاءه ، حديث رقم (٢٤٠٨) (٨٠٥/٢) .

(١) القاضى الباقلانى (٣٣٨ – ٤٠٣ هـ = ٩٥٠ – ١٠١٣ م) . هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، أبو بكر : قاضى ، من كبار علماء الكلام ، انتهت إليه الرياسة فى مذهب الأشاعرة . ولد فى البصرة ، وسكن بغداد فتوفى فيها . كان جيد الاستنباط ، سريع الجواب وجّهه عضد الدولة سفيراً عنه إلى ملك الروم ، فجرت له فى القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها من كتبه « إعجاز القرآن » و« الملل والنحل » و« دقائق الكلام » انظر الأعلام (١٧٦/٦) .

(٢) أخرج البخارى فى الأدب المفرد عن عبد الله بن عمر أنه قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « توبوا إلى الله فإنى أتوب إليه كل يوم مائة مرة » (ص/٢٧١) (٦٢١) .

(٣) أخرجه البخارى عن عباد بن تميم عن عمه : أنه رأى رسول الله ﷺ مستلقياً فى المسجد واضعا إحدى رجليه على الأخرى » ، وعن سعيد بن المسيب قال : كان عمر وعثمان يفعلان ذلك » ، وذلك فى كتاب الصلاة باب الاستلقاء فى المسجد ومد الرجل ، (٩٤/١) ، فدل ذلك على أن الاستلقاء فى المسجد ولو واضعاً رجلاً على الأخرى مباح .

(٤) الحليمى (٣٣٨ – ٤٠٣ هـ = ٩٥٠ – ١٠١٢ م) . هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخارى الجرجانى أبو عبد الله : فقيه شافعى ، قاض ، كان رئيس أهل الحديث فيما وراء النهر ، مولده بجرجان ووفاته فى بخارى له « المنهاج » فى شعب الإيمان ، وهو الكتاب الذى يقصده المناوى ، انظر الأعلام (٢٣٥/٢) ، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة (٣/٤) .

يبغضها الله ورسوله »[1] رواه الإمام أحمد وغيره .

ويقال : إنه نوم الشياطين وقبحه ظاهر .

ومن النوادر المستظرفة أن المتنبى[2] دخل على سيف الدولة فوجده منبطحاً على بطنه فقال فوراً ظانًّا أنه لا يسمعه :

لكل امرىء من دهره ما تعودا : وعادات سيف الدولة الطعن فى العدا .

فسمعه فكمل البيت فورا فقال فخلص بحذقه من القتل وذلك لأنه عرض بأنه كان قد تعود أنّ يلاط به[3].

الثانى عشر : يستحب أن ينام على جنبه الأيمن[4].

قال الشافعى – رضى الله تعالى عنه – النوم على أربعة أنحاء : على القفا وهو نوم الأنبياء يتفكرون فى خلق السموات والأرض .

وعلى اليمين وهو نوم العلماء والعبّاد والزهّاد .

وعلى الشمال وهو نوم الملوك لينهضَم طعامهم .

وعلى الوجه وهو نوم الشيطان .

الثالث عشر يكره النوم فى الشمس صيفاً ؛ لأنه يضر بالبدن فَيُتَأَكَّد تَجَنُّبُه وألحق به ابن الجوزى[5] النوم فى القمر وعبارته : « النوم فى الشمس يُحَرِّك الدَّاءَ الدفين وفى

---

(١) أبو داود فى كتاب الأدب ، باب فى الرجل ينبطح على بطنه ، حديث رقم (٥٠٤٠) (٣٠٩/٤) .

(٢) أبو الطيب المتنبى (٣٠٣ – ٣٥٤ هـ = ٩١٥ – ٩٦٥ م) . هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفى الكوفى الكندى ، أبو الطيب المتنبى : الشاعر الحكيم ، وأحد مفاخر الأدب العربى ، له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعانى المبتكرة ولد بالكوفة فى محلة تسمى « كندة » وإليها نسبته . ونشأ بالشام ، ثم تنقل فى البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس ، وقال الشعر صبيا ، انظر الأعلام (١١٥/١) .

(٣) لست أدرى كيف انزلق المؤلف إلى سرد هذه الافتراءة على سيف الدولة وهو من هو مجدا وعظمة والبيت مستهل قصيدة من روائع المتنبى يمدحه فيها ويهنيه بعيد الأضحى جزء أول صـ ٢٨١ شرح أبى البقاء العكبرى .

(٤) أخرج البخارى عن عائشة رضى الله عنها : أن النبى ﷺ كان يصلى من الليل إحدى عشرة ركعة فإذا طلع الفجر صلى ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يجيء المؤذن فيؤذنه ، وذلك فى كتاب الدعوات ، باب الضجع على الشق الأيمن (٩٩/٤) .

(٥) ابن الجوزى (٥٠٨ – ٥٩٧ هـ = ١١١٤ – ١٢٠١ م) . هو عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى القرشى البغدادى ، أبو الفرج علامة عصره فى التاريخ والحديث ، كثير التصانيف ، مولده ووفاته ببغداد ، ونسبته إلى « مشرعة الجوز » من محالها ، له نحو ثلاث مئة مصنف منها « الأذكياء وأخبارهم » و« تلبيس إبليس »

القمر يحل الألوان وينقل اللون إلى الصفرة ويثقل الرأس » .

وقال بعضهم : إنه يُبْلى الثياب بسرعة .

الرابع عشر : يكره أن ينام أو يقعد وبعضه فى الشمس وبعضه فى الظل لورود النهى عنه فى حديث أحمد[1] وقال : إنه يقعد معه الشيطان .

الخامس عشر : يكره النوم بعد الفجر وقبل الشمس لحديث « نوم الصبيحة يمنع الرزق »[2] ولحديث « أن المصطفى - ﷺ - مر بفاطمة وهى نائمة فى ذلك الوقت فوكزها برجله وقال : « **تنامين فى ساعة تُقسم فيها الأرزاق** »[3]؟!

قال بعض العارفين والقطُب : يفرق الأرزاق كل يوم فى تلك الساعة فلا ينبغى النوم فيها .

وذكر بعض الصوفية : أن النوم حينئذ يورث وجع الجنب .

وفى الحديث من نام حتى أصبح بال الشيطان فى أذنه »[4].

السادس عشر : يكره النوم بعد العصر ؛ لأنه يورث الهم أى : الجنون كما فى حديث حسن[5].

وفى تذكرة الجلال السيوطى فى أول النهار عيلولة . وهى : الفقر وعند الضحى فترورة وهى : الفتور . وحين الزوال : قيلولة وهى الزيادة فى العقل . وبعد الزوال : حيلولة أى : يحول بينه وبين الصلاة وفى آخر النهار : غيلولة أى : يورث الهلاك .

السابع عشر : يكره النوم على سطح غير محوط لورود النهى عنه فى حديث الترمذى وغيره[6].

= و« غريب الحديث » ، انظر الأعلام (٣١٦/٣) ، ومعجم المؤلفين (١٥٧/٥) .

(١) وأخرجه أيضا ابن ماجه عن ابن بريدة ، عن أبيه أن النبى ﷺ نهى أن يقعد بين الظل والشمس ، وذلك فى كتاب الأدب ، باب الجلوس بين الظل والشمس ، حديث رقم (٣٧٢٢) (١٢٢٧/٢) ، وأبو داود من طريق أبى هريرة وذلك فى كتاب الأدب ، باب فى الجلوس بين الظل والشمس ، (٤٨٢١) (٢٥٧/٤) .

(٢) أخرجه أحمد فى المسند (٧٣/١) .

(٣) أخرجه ابن النجار ، انظر كنز العمال ، حديث رقم (٤٢٠٢٨) (٥٢٤/١٥) .

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة ، باب إذا نام ولم يصل بال الشيطان فى أذنه (٢٠٠/١) .

(٥) للحديث الذى رواه أبو يعلى فى مسنده عن عائشة أن النبى قال : « من نام بعد العصر فاختلس عقله فلا يلومن إلا نفسه » انظر مسند أبى يعلى [٤٩١٨] .

(٦) الترمذى فى كتاب الأدب ، باب ما جاء فى الفصاحة والبيان وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه من =

وفى حديث أبى داود : « **من قام على ظهر ليس له إجّار فقد برئت منه الذمة** »[1].

وفى رواية حجار بدل إجّار وعدَّه بعضهم من الكبائر للوعيد عليه فى هذا الحديث .

الثامن عشر : يكره أن ينام فى بيتٍ وَحْدَه لورود النهى عنه فى حديث أحمد وغيره عن ابن عمر[2].

التاسع عشر : يندب النوم قبيل الظهر للمتهجد ؛ لأنه كالسحور للصائم[3].

وفى حديث الطبرانى وأبى نعيم : « **قيّلوا فإن الشياطين لا تقيل** »[4].

قال الزمخشرى[5]: القيلولة النوم قبل الظهر .

العشرون : إذا أوى إلى فراشه واضطجع يندب أن يقول « باسمك رب وضعت جنبى . وبك أرفعه فإن أمسكت روحى فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين »[6]. رواه الشيخان .

=حديث محمد بن المنكدر عن جابر إلا من هذا الوجه وعبد الجبار بن عمر يُضعف (٢٩٣/١٠) .

(١) أخرجه أبو داود بلفظ « من بات » عن عبد الرحمن بن على - يعنى ابن شيبان - عن أبيه ، وذلك فى كتاب الأدب ، باب فى النوم على سطح غير محجر ، حديث رقم (٥٠٤١) (٣١٠/٤) .

(٢) أخرجه أحمد بلفظ : « نهى عن الوحدة أن يبيت الرجل وحده أو يسافر وحده » ، (٩١/٢) .

(٣) أخرج ابن ماجه حديث بهذا المعنى عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال : « استعينوا بطعام السَحر على صيام النهار، وبالقيلولة على قيام الليل » ، وذلك فى كتاب الصيام ، باب ما جاء فى السحور ، حديث رقم (١٦٩٣) (٥٤٠/١) .

(٤) أخرجه الطبرانى فى الأوسط وفيه كثير بن مروان وهو كذاب ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى ، كتاب الأدب باب القيلولة (١٢/٨ ١م) ، والديلمى فى الفردوس ، حديث رقم (٤٥٧٠) (٢٠٣/٣) .

(٥) الزمخشرى (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ = ١٠٧٥ - ١١٤٤ م) . هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمى الزمخشرى ، جار الله ، أبو القاسم : من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب ولد فى زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله . وتنقل فى البلدان . ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفى فيها أشهر كتبه « الكشاف » فى تفسير القرآن و« أساس البلاغة » و« المفصل » انظر الأعلام (١٧٨/٧) ، ومعجم المؤلفين (١٨٦/١٢) .

(٦) البخارى فى كتاب الدعوات ، باب التعوذ والقراءة عند المنام (١٠١/٤) . ومسلم فى كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ، حديث رقم (٦٤) (٢٠٨٤/٤ ، ٢٠٨٥) .

ينبغى أن يجتهد فى أن يكون نومه لله وبالله لا عن الله .

أما النوم لله : فهو أن يقصد به الاستعانة على أداء الفرائض وتحصيل النوافل سيما آخر الليل فإنه وقت التجلى يقول الله تعالى : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من داع فأستجيب ؟ هل من كذا ؟ هل من كذا ؟ حتى يطلع الفجر »[1].

وأما النائم بالله : فهو الذاكر لله الذى لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم حتى يغلبه النوم ويقهره .

وأما النائم عن الله : فهو الغافل عنه « أوحى الله إلى داود : كَذب من ادعى محبتى حتى إذا جنّه الليل نام عنى ! أليس كل محب يحب خَلْوة حبيبه ؟ فهأنا مطلع على قلوب أحبائى !! »[2].

الحادى والعشرون : يحرم مضاجعة رجلين وامرأتين[3] فى فراش واحد إذا كانا عاريين فإن كانا غير متجردين فلا بأس .

يجب التفريق بين الصبى والصبية إذا بلغا عشر سنين فى المضجع[4] وإن كانا أخوين .

أو أم وولدها أى : إذا كانا متجردين ، لأن ضعف عقل الصغير مع إمكان الالتحام قد يؤدى إلى محظور ولو مع الأم فإن كانا لابسين جاز .

الثانى والعشرون : يحرم النوم بعد دخول وقت المكتوبة[5] قبل فعلها إن ظن فَوْتَها وكذا إن شك فيه عند ابن الصلاح .

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة ، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، (١/٢٠٠) .

(٢) لم أعثر عليه .

(٣) أخرج الطبرانى والبزار وفيه يوسف بن خالد السمتى وهو ضعيف أن رسول الله ﷺ كان ينهى النساء أن يضطجع بعضهن مع بعض إلا وبينهن نقاب وأن يضطجع الرجل مع صاحبه إلا وبينهما ثوب » ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى (٨/١٠٢) .

(٤) أخرج الحاكم فى المستدرك أن رسول الله قال : مروا الصبيان بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها فى عشر سنين وفرقوا بينهم فى المضاجع » ، وذلك فى كتاب الصلاة ، باب فى مواقيت الصلاة ، (١/١٩٧) ، وأحمد فى المسند (٢/١٨٠) .

(٥) أخرج البخارى أن النبى ﷺ قال : « أما الذى يُثْلَغُ رأسه بالحجر فإنه يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة » وثلغ الحجر رأسه : أصابه وأسقطه فشدخه ، وذلك فى كتاب الصلاة ، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يُصَلِّ بالليل (١/١٩٩) .

الثالث والعشرون : يكره النوم قبل العشاء أى قبل[1] فعنها بعد دخول وقتها لأن المصطفى كان يكرهه كما قاله الشيخان ولأنه ربما استمر نومه حتى خرج الوقت .

الرابع والعشرون : الأدب ألا ينام بحضرة مستيقظ أو وسط جماعة[2]؛ لأن فيه قلة مروءة ، وقد يخرج منه ريح فيتأذى به الحاضر فإن غلبه النعاس تحول إلى مكان آخر أو دفع عن نفسه النوم بغسل وجهه أو محادثة أو غير ذلك .

ومن له غطيط[3] فليحذر النوم بقرب القوم ليتعود النوم على جنبه ولا يستلقى على قفاه .

حكى أن بعض الخلفاء تزوج بعض بنات الملوك فنام يوماً ورأسه على فخذها فلما استغرق فى النوم نحّت رأسه بلطف وقامت فتوارت عنه ، فانتبه فلم يجدها فناداها فأجابته من مكان قريب ، فغضب وقال : لم فعلت ذلك ؟ فقالت : إن مما أدبنى به أبى ألا أقعد مع النُّيّام ولا أنام مع الجلوس فاستحسن ذلك منها وحظيت عنده .

الخامس والعشرون : القيلولة[4] فى اليقظة المجردة عن العبادة هل هى أفضل أو النوم أفضل ؟ فقيل : هى أفضل لأن النوم نقص ، وقيل : النوم لأنه قد يرى فيه رؤيا صالحة مبشرة أو منذرة وليس الكلام فى نوم يتقوى به على طاعة الله أو يترك به معصية أما هو فهو أفضل بل قد يجب .

السادس والعشرون : اختلف فى حقيقة النوم فقيل : هو استرخاء مفاصل البدن مع زوال الشعور .

وقيل فترة طبيعية تهجم على الإنسان قهراً فتمنع حواسه من الحركة وعقله من الإدراك .

---

(١) أخرج البخارى عن أبى برزة أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها » ، وذلك فى كتاب مواقيت الصلاة وفضلها ، باب ما يكره من النوم قبل العشاء (١٠٨/١) ، ومسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب التبكير بالصبح فى أول وقتها ، (٤٤٧/١) (٢٣٦) .

(٢) أخرج الطبرانى فى الأوسط أن رسول الله ﷺ نهى عن أن يرقد الرجل بين القوم وأن ينام على قارعة الطريق) وفيه أبو بلال الأشعرى وهو ضعيف ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى (١٠٠/٨) .

(٣) غطّ فى نومه – غطا ، وغطيطاً : صات وردد النفس فى خياشيمه .

(٤) القيلولة : نومة نصف النهار ، أو الإستراحة فيه وإن لم يكن نوم .

وقيل شيء يغشى الرأس فتسكن به القوى الدماغية وهى مجمع الحواس الإرادية وابتداؤه متصاعد فتبدأ فى قوى الدماغ فيصدر عنها فتور فى الحواس فهذا أول النوم ، ثم يترتب عليه فتور الأعضاء وإسترخاؤها فذلك غمرة النوم .

وقيل هو رجـوع الحواس عن الحركة ، وسكون النفس الحساسة وانقباضها عن الحرارة الغريزية من الدماغ إلى داخل البدن بخارات معتدلة تصعد من الجوف إلى الدماغ ، تنوب عنها بحركة حيوانية روحانية غير حساسة .

قال النووى وللنوم أربع علامات : فَقْد الشعور حتى لو مسه إنسان أو وقع على بدنه شيء لم يحس به ، والرؤيا وإسترخاء الأعضاء وعدم سماع كلام الحاضرين .

السابع والعشرون النوم الزائد عن الاعتدال والناقص عنه مذموم شرعاً وعقلاً وعرفاً وطبّاً .

دليل الشرع فى الزائد : حديث « **يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام ، بكل عقدةٍ يضرب عليك ليلاً طويلاً ، فإذا استيقظ فذكر الله انحلّت عقدة ، وإذا توضأ انحلت عنه عقدتان ، فإذا صلى انحلت العقد فأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان** » . رواه الشيخان[1].

وحديث أم سليمان بن داود له : يا بنى لا تكثر النوم بالليل فإن كثرته تترك الإنسان فقيراً يوم القيامة »[2] رواه البيهقى وغيره .

وفى البعض قول المصطفى – ﷺ – : « **نم وقم فإن لجسدك عليك حقا** »[3].

---

(١) البخارى فى كتاب الصلاة ، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل (١/١٩٩) ، ومسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب ما روى فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح ، (٢٠٧) (١/٥٣٨) ، واختلف العلماء فى هذه العقد فقيل : هو عقد حقيقى بمعنى عقد السحر للإنسان ومنعه من القيام . قال الله تعالى ﴿ ومن شر النفاثات فى العقد ﴾ فعلى هذا هو قول يقوله يؤثر فى تثبيط النائم كتأثير السحر . وقيل : يحتمل أن يكون فعلاً يفعله كفعل النفاثات فى العقد . وقيل : هو من عقد القلب وتصميمه . فكأنه يوسوس فى نفسه ويحدثه بأن عليك ليلاً طويلاً فتأخر عن القيام . وقيل : هو مجاز كنى به عن تثبيط الشيطان عن قيام الليل .

(٢) أخرجه ابن ماجه فى كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء فى قيام الليل ، حديث رقم (١٣٣٢) (١/٤٢٢) .

(٣) أخرجه البخارى من حديث له بقية ، وذلك فى كتاب الصوم ، باب حق الجسم فى الصوم (١/٣٣٨) .

وقوله : « **إنى أنام وأقوم** » رواهما الشيخان[1].

قال الغزالى ولا ينبغى أن ينام من اليوم والليلة أكثر من ثمانى ساعات لأنه إذا عاش ستين سنة فقد نام منها عشرين ويصرف ثلثى ليله فى الطاعة والثلث الأوسط أحبه فى الصلاة انتهى .

ومحله إن قسمه أثلاثاً[2] فيكون القيام فى الثلث الأوسط أفضل لأن الغفلة فيه أتم وإلا فأفضل منه السدس الرابع والخامس فعلم أنه يكره سهر كل الليل ولو فى عبادة دائما للنهى عنه ولأنه يضركما أشارت إليه السنة .

الثامن والعشرون يندب لمن فارق فراشه ثم عاد إليه نفضه قبل النوم فيه[3].

التاسع والعشرون يندب ألا ينام إلا بعد انهضام الطعام بل يجلس مصلياً ذاكراً حتى ينهضم ثم ينام لحديث : أذيبوا طعامكم بذكر الله ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم »[4].

الثلاثون يندب كلما انتبه من نومه أن يذكر الله تعالى .

الحادى والثلاثون أن يقول ذلك الذكر المأثور .

روى الإمام محمد بن نصر فى كتاب الصلاة عن أم سلمة أن المصطفى – ﷺ – كان إذا تعارّ ، أى : انتبه من الليل قال : « **رب اغفر وارحم واهد للسبيل الأقوم** »[5]

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الإستتابة بلفظ « أما أنا فأقوم وأنام » من حديث له بقية ، باب حكم المرتد والمرتدة (١٩٦/٤) ، ومسلم فى كتاب الإمارة ، باب النهى عن طلب الإمارة والحرص عليها ، حديث رقم (١٥) (١٤٥٧/٣) ، وأبو داود فى كتاب الحدود ، باب الحكم فيمن ارتد ، حديث رقم (٤٣٥٤) (١٢٧/٤) .

(٢) أخرج البخارى أن رسول الله ﷺ قال : أحب الصلاة إلى الله صلاةُ داود عليه السلام وأحب الصيام إلى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوماً ويفطر يوماً ، وذلك فى كتاب الصلاة ، باب من نام عند السحر (١٩٨/١) .

(٣) أخرج البخارى أن رسول الله ﷺ قال : إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدرى ما خلفه عليه ... » الحديث ، وذلك فى كتاب الدعوات ، باب التعوذ والقراءة عند المنام (١٠١/٤) .

(٤) أخرجه الديلمى فى الفردوس ، حديث رقم (٣٣٠) (١٠٠/١) والطبرانى فى الأوسط وفيه ربيع أبو الخليل وهو ضعيف ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى (٣٠/٥) .

(٥) أخرج الترمذى بنحوه وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وذلك فى كتاب الدعاء ، باب ما جاء فى الدعاء إذا انتبه من الليل (٢٩٨/١٢) .

الباب الثانى
فى آداب النوم الطبية ومنافعه ومضاره

اعلم أن اليقظة : استخدام النفس القوى الظاهرة فيما هى له لعدم المانع .

والنوم : بطلانها بتراقى بخارات ترفعها الحرارة عند غئوروها وهما يعدلان البدن بتنقية الفضلات والنضج وتحسين الألوان وتقوية الفكر والحس ، إن وقعا طبيعيين وإلا فلا .

والطبيعى من النوم ما وقع على توسط فى المأكل والمشرب وكان ليلاً فالواقع على الجوع مجفف محلل للقوى جالب للبخار وهو فى النهار يكون سبباً لنحو الرعشة والاستسقاء والفالج[1]، وتغير الألوان لكن قال أبقراط لا يجوز لمن اعتاده نهارا تركه إلا تريجاً وأكثر ما يكون سبع ساعات وأقله ثلاثة وطول النوم مبلد مكسر مرخٍ منحز[2] . والضرر الحادث عن النوم وكذا النفع يختلفان باختلاف الخلط أو الغذاء فإن كان جيداً أصلح به وإلا فسد فإن النوم بعد أكل نحو الثوم والخردل يورث ظلمة البصر ، وبعد أكل السكر يورث البدانة ولذا منع علماء التعبير من تأويل منام المبرود وفاسد الدماغ واعتبروا صفاء الخلط وجودة الغذاء . ثم يجب فى النوم إذا كان إثر الغذاء كونه على الأيمن ؛ ليميل الغذاء على الوجه الطبيعى إلى الكبد ثم على الوجه ، لتحفظ الحرارة وتهضم إلا لمن به مرض يمنع من ذلك كالرمد . وأكثر النوم جودة ما كان على الأيسر وهو على الظهر مضعف للقلب جالب للأحلام الرديئة والإقلاق ، ويعطل القوة ما لم تدع الضرورة إليه كصاحب الخِصاء .

والنوم الممدوح فى السُّنة ؛ الاستلقاء من غير استغراق ؛ لأنه يجود الفكر ويجب كونه على مهدٍ وطىء ، أعلاه مما يلى الرأس تدريجا ليسهل تفرق المواد ، وأن يقدم على الرياضة ، وأن لا يُترك عنده مُزْعج ، ولا يُنَبّه ما لم يطل ، وإذا نُبّه فليكن بلطف ؛

---

(١) **الفالج** : شلل يصيب أحد شقى الجسم طولاً .

(٢) **النحّاز** : داء يصيب الدواب فى رئاتها فتسهل إسهالاً شديداً .

لأن الإزعاج من النوم كثيراً ما يوقع فى الصْرع والخفقان والسّل وأن يغسل الوجه والأطراف بعده ببارد فى الصيف ، سخنٍ فى الشتاء ، معتدلٍ فى غيرهما ويدهن بالمناسب .

والنوم دواء للتّخم ، مريح بتحليل الفضلات ، ومن يغرق فى نومه فإن قواه العادية عاجزة عما تحملت ، والسهر المفرط مخرج عن الصحة وكذا النوم بلا دور مضبوط ، والتململ بين نوم ويقظة .

المقصد السادس
فى آداب الحمام الشرعية والطبية

وفيه بابان : **الأول** فى الشرعية .

اعلم أن دخول الحمام مباح للرجل بلا كراهة ، ويكره للمرأة ومثلها لغير حاجة[1]. ويندب أن يقصد التنظيف أو الطّهر لا الترفه ، وأن يدفع الأجرة قبل دخوله ، ثم يسمى الله ، ثم يتعوذ للدخول ، ويقدم رجله اليسرى ، أو بدلها دخولا واليمنى خروجاً كالخلاء وأن يتذكر نحوه نار جهنم ويستعيذ بالله منها ويرجع غير عارٍ ، ولا يدخل البيت الحار حتى يعرق فى الأول ، ويكره تنزيهاً دخوله صائماً ، أو قبيل الغروب ، أو بين العشاءين وأن يصب الماء البارد على رأسه أو بدنه عند الخروج ؛ نعم لا يكره صبه على القدمين وعليه صون عورته حيث يجب بأن يكون ثَمّ من ينظر لعورته غير حليلته ، وعليه غض بصره عن عورة غيره ونهيه عن كشفها وإن ظنه لا ينتهى ما لم يخف ضرراً من شتم أو غيره وحينئذ لا يحرم عليه المكث فيه ولا يزيد فى الماء عن الحاجة والعادة .

قال ابن عبد السلام[2] وألا يمكث فيه أكثر مما جرت به العادة لعدم الإذن لفظاً وعرفاً .

---

(١) أخرج ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال : تفتح لكم أرض الأعاجم . وستجدون فيها بيوتاً يقال لها الحمامات . فلا يدخلها الرجال إلا بإزار . وامنعوا النساء أن يدخلنها . إلا مريضة أو نفساء » ، وذلك فى كتاب الأدب ، باب دخول الحمام ، حديث رقم (٣٧٤٨) (٢/١٢٣٣) ، والحمام : ما يُغتسل فيه .

(٢) ابن عبد السلام (٥٧٧ - ٦٦٠ هـ = ١١٨١ - ١٢٦٢ م) . هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم بن الحسن السلمى الدمشقى ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء : فقيه شافعى بلغ رتبة الاجتهاد ولد=

ومنه أخذ بعضهم حرمة كل من هذين وهو ظاهر . ومباح لغيره أن يدلك له ما يحل له مسه من بدنه وهو ما عدا ما بين السرة والركبة ومثلها ما هو مظنة الشهوة ، وحصول اللذة .

ويستحب له إذا خرج : الاستغفارُ وحمد الله تعالى وصلاة ركعتين خارجه ، وخارج مَسْلَخِه (*)، ويشكر الله تعالى على تتمة النظافة والمرأة فى ذلك كالرجل .

الباب الثانى : فى آدابه الطبية .

قال أرسطو : الحمام من عجائب الدنيا فإنه مبنى على فصول السنة فإن البارد للصيف ، وما يليه للخريف ، وما يليه للربيع ، وما يليه للشتاء . وصواب التدبير فيه أن يلبث فى البيت الأول قليلاً ثم فى الثانى كذلك ثم يدخل الثالث وكذا إذا خرج يلبث فى كل بيت هنيهة[1] لئلا يهجم من حر شديد إلى برد شديد وعكسه .

وينبغى أن يكون بناؤه مرتفعا ، متسعا كثيراً ، وماؤه عذبا بعيداً عن المستوقد ؛ ولذا قيل : أحسن الحمامات ما قدم بناؤه وعذب ماؤه واتسع فضاؤه ، وتوضع المجامر فيه بالبخُور الموافق للزمن ففى الربيع والصيف النَّدّ[2] المثلث ، وفى الخريف المربع وفى الشتاء المثنى .

والحمام يجمع العناصر الأربعة فيرطب بالماء ، ويسخن بالهواء ، ويجفف بالحر ويبرد بطول الخارج طويلا المكث وبماء بارد فى بيته الخارج .

ويجب أن يشتمل على مسلخ فضاء توضع فيه الثياب وقد صورت فيه أنواع الصُّوَر ويشرف منه على متنزهات البساتين والمياه ويكون فيه ما يحرك الطبيعة للرؤية كالفواكه ، والحيوانية بنحو الأشجار والحيوان والنفسية بنحو المدن والقلاع والسلاح وأشكال

= ونشأ فى دمشق . وزار بغداد سنة ٥٩٩ هـ ، فأقام شهراً . وعاد إلى دمشق ، فتولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالى ، ثم الخطابة بالجامع الأموى . وخرج إلى مصر مغضوباً عليه من الصالح إسماعيل بن العادل ، وتوفى بالقاهرة ، من كتبه « التفسير الكبير » و « قواعد الشريعة » ، و « الفتاوى » ، انظر الأعلام (٢١/٤) ، ومعجم المؤلفين (٢٤٩/٥) . * مكان خلع الثياب وسلخها عن جسده . أو هو المسْلَخ : مكان قضاء الحاجة .

(١) يقال : أقام هنيهة وهنية : أى أقام قليلاً من الزمان .

(٢) الند : ضرب من النبات يتبخر بعوده .

الهندسة ؛ لأن داخله يخرج منه وقد تحللت قواه فإذا اشتغل زمن الرحة ينظر إلى ما ذكر عادت قواه وأن يدخل من هذا إلى بيت أول معتدل الحرارة كثير الرطوبة . ثم إلى ثانٍ كثير الحرارة ، ثم إلى ثالث كثير التجفيف ، هذا هو الوضع الأصلى .

ويدخل تدريجا على اعتدال من الغذاء ثم يقعد على كرسى محشو لين حتى يعرق بدنه ثم يمسح الحين بعد الحين بمنديل كتان فإذا قضى منه وطره انتقل منزلة ثم يدخل الأبزن[1] الفاتر فإن غلبه الحر امتشط واغتسل بالصوابين المجففة المنقية على حسب الزمان فصيفا وربيعا صابونا معمولا بأملج وصندل ، وخريفا وشتاء صابونا عمل بصبر وماء سلق ويصب على رأسه ماء معتدلاً ثم يغمر به بدنه كله حتى يذهب الوسخ والدرن ثم يَتَضَمّخ[*] بدهن مناسب لذلك الزمن ، ثم يتنظف بالنّقاوات ، ثم يعود إلى أبزن أحَر من الأول قليلا ويغسل أطرافه بماء بارد .

وينبغى أن يبدأ حال دخوله بالتَّنَوُّر[2] والحلق ثم يحك رجليه ثم التغميز[3] والدهن ثم الارتفاع فى الأبازين ثم يعيد التغميز بلطف ويختضب[4] بسِدْرٍ وخِطمى[5] وحِنّاء وبزر قطونا ، سيما مواضع النُّورَة .

ومن أراد التبريد أكثرَ مِنْ دُهن البنفسج والورد . أو التسخين فالقسط[6] والبابونج[7].

ومن كان به تحلل أو إعياء أو استرخاء أو عرق فليستعمل هذا الدلوك آس ورد يابس من كلٍّ جزء وعدس صندل من كلٍّ نصف جزء وعفص[8] ربع جزء يسحق ويندى بِخَلٍّ ، ويطلى به فى الحمام فإنه يمنع النزلات وسقوط القوى ، والورم ،

---

(١) الأبزن : حوض من المعدن ونحوه للاستحمام وجمعها : أبازن « البانيو » .

* التضمخ : وضع الطيب على أجزاء الجسم .

(٢) أى إزالة شعر عانته بالنورة – وهى حجر الكِلس وأخلاط من أملاح الكالسيوم والباريون لإزالة الشعر . والفعل تنور والمصدر التنور .

(٣) التغميز : العصر والكبس باليد وهو أقرب إلى التدليك فى عصرنا هذا .

(٤) اختضب : تلون بالخضاب ، والخضاب : ما يخضب به من حناء ونحوه . والسدر شجر النبق .

(٥) الخطمى : نبات من الفصيلة الخبازية ، كثير النفع يدق ورقه يابساً ويجعل غِسلا للرأس فينقيه .

(٦) القُسط : عود يجاء به من الهند يجعل فى البخور والدواء .

(٧) البابونج : جنس نباتات عشبية من فصيلة المركبات يستعمل فى الصباغة أو التداوى .

(٨) العفص : شجرة البلوط . و – ثمرها ، وهو دواء قابض مجفف ، وربما اتخذوا منه حِبْرًا أو صَبغاً .

ومادامت القوة زائدة والبدن ينمو ، فالمكث جيد ، ومتى أحس بنقص تَعَيَّنَ الخروجُ تدريجيًّا كدخوله ، ويمكث فى الصيف فى البيت الخارج طويلاً ، ويجتنب الشرب فيه وبعده ثم ينشف بدنه حتى يجف فإن عطش شرب شرابَ وردٍ أو تفاح بماء بارد نحو نصف رطل ثم يتمطى قليلا ناظراً إلى صورٍ حسانٍ ورياحين غضة ، وأزهار طيبة ، ثم يتناول طعامه ثم يشرب شراباً بمثله من غير إكثار ثم يتطيب لما يوافق الزمن ، ثم يصير إلى فراش وطىء لين ويتدثر ، ويجلب النوم ، ثم الراحة بقية يومه ، ويشم الطيب بحسب كل فصل ، ويشرب الأمراق الدهنة مطلقاً ، وماء العسل شتاء والسكنجبين[1] صيفا فهذا تدبير ينشىء الإنسان إنشاءً جيداً .

والشيخ والمبرود والمرطوب يلبث فيه قليلاً قدر ما يبتل بدنه ويأخذ من رطوبة الحمام ، ويكثر صب الماء المعتدل على بدنه وصاحب البلغم لا يستحم إلا على الريق ، ويمتزج بدهن حار .

وحار المِزاج بضده . والاستحمام صالح فى سائر الأسنان ؛ لتنقيته للأوساخ والدرن ، ويحلل الفضول ويفتح السدد ، ويزيل الكسل ، وأجود إيقاعه فى الأبنية التى أُعدت له على الشكل المار وقد مر أنه لا يدخل إلا على اعتدال من الغذاء ، فالدخول وهو جائع مورث للرعشة والخفقان وسقوط القوى والهرم ، وعلى الشبع يعجل المشيب ويورث السدد ، ووجع المفاصل ، وثقل الحواس .

وعلى الاعتدال ينشط وينعش القوى ويزيل الإعياء والعفونات .

ومما يلحق بهذا الاستحمام بالماء البارد ووقته من أول السرطان[2] إلى نصف السنبلة فى مثل مصر والأسد[3] فى نحو الروم ، ويجوز فيما عدا الشتاء فى نحو صنعاء ، وهو على وجهه ينعش الحرارة ، ويشد البدن ، ويعدل الهضم ، ويجتنبه ذو الدماغ الضعيف والمهزول والممتلىء بالطعام ومادام البدن يلذ به فجيد . وإلا بُودِرَ بالترك . ومتى كان بالماء العذب فهو أولى ولا بأس بكبريتى ومالح لسمين وذى حكة .

---

(١) **السكنجبين : شراب مركب من حامض وحلو . كالعسل والخل .**

(٢) ، (٣) **بُرجان فى السماء .**

المقصد السابع
فى معاشرة النساء والنظر فيما على الزوج من آداب

أما الزوج فعليه رعاية العدل . فى اثنى عشر أمراً وآدابه ثمانية :

« **الأول** » الوليمة[1] وهى مستحية وتُسْتَحَب التهنئة فيقال للزوج : « بارك الله لك وعليك وجمع بينكما فى خير »[2].

« **الثانى** » حسن الخلق معهن ، واحتمال الأذى منهن شفقاً عليهن لقصور عقلهن .

قال المصطفى – ﷺ –: « **الله الله فى النساء فإنهن عوانٍ عندكم** – يعنى أسراء فى أيديكم – **أخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله** »[3].

وقال : « **من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله ثواب آسية امرأة فرعون** »[4].

وليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء بالمصطفى – ﷺ – فقد كان أزواجه يراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل وقالت له امرأة فى كلام غضبت عنده : أنت الذى تزعم أنك

---

(١) أخرج البخارى أن رسول الله ﷺ قال : أو لم ولو بشاة » ، وذلك فى كتاب النكاح ، باب الوليمة ولو بشاة (٢٥٥/٣) . ★ يعد هذا المقصد تلخيصاً لما جاء فى إحياء علوم الدين للغزالى .

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب النكاح ، باب ما يقال للمتزوج ، حديث رقم (٢١٣٠) (٢٤١/٢) ، والترمذى فى كتاب النكاح وقال : حديث أبى هريرة حديث حسن صحيح ، وذلك فى باب ما جاء فيما يقال للمتزوج (٣١١/٤) .

(٣) أخرجه أبو داود من حديث جابر الطويل فى حجة الوداع ، فى كتاب المناسك ، باب صفة حجة النبى ﷺ ، (١٩٠٥) (١٨٢/٢) ، وابن ماجه من نفس الطريق ، وذلك فى كتاب المناسك ، باب حجة رسول الله ﷺ ، (٣٠٧٤) (١٠٢٢/٢) .

(٤) أورده الغزالى فى الإحياء بلفظ « ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون » وعلق العراق قائلا : لم أقف له على أصل ، (ص/ ٧٢٧) ، وعزاه السيوطى فى اللآلىء المصنوعة للحارث بن أبى أسامة فى مسنده ، وذلك من حديث طويل (٣٦١/٢) .

نبى الله »[1] فتبسم واحتمل ذلك حلماً وكرماً ، وقال لعائشة : « **إنى لأعرف غضبك علىَّ من رضاك إذا رضيت** »قالت : فقلت من أين تعرف ذلك ؟ فقال : « **أما إذا كنت عنى راضية فإنك تقولين : لا وإله محمد وإذا غَضِبْت قلت : لا وإله إبراهيم** »[2] و« كان المصطفى - ﷺ - أرحم الناس بالنساء والصبيان » .

« **الثالث** » أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزح والملاعبة فإن ذلك هو الذى يطيب قلوب النساء ، وقد كان المصطفى يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن فى الأعمال والأخلاق حتى روى أنه كان يسبق عائشة فى العدو فسبقته يوماً وسبقها فى بعض الأيام فقال : « **هذه بتلك** »[3].

وفى حديث « **أنه كان من أفكه الناس مع نسائه** »[4].

وفى حديث « **أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله** »[5].

وفى حديث « **خياركم خياركم لنسائه وأنا خيركم لنسائى** »[6].

وقال عمر مع خشونته : ينبغى أن يكون الرجل فى أهله كالصبى .

وقال لقمان : ينبغى للعاقل أن يكون فى أهله كالصبى فإذا كان فى القوم وجدوا رجلا .

وفى الحديث : « **إن الله يبغض الجعظرى الجواظ** »[7] هو الشديد على أهله المتكبر فيهم فى نفسه وهو أحد ما قيل فى معنى « عُتُلّ » فقيل : هو الفظ اللسان الغليظ القلب على أهله .

---

(١) أخرجه أبو الشيخ فى كتاب الأمثال بلفظ ، ألست تزعم أنك رسول الله ؟ » (ص/٥٧) ، وأبو يعلى فى مسنده ، حديث رقم (١٣٠/٨) (٤٦٧٠) ، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣٢٢/٤) .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب النكاح ، باب غيرة النساء ووجدهن (٢٦٥/٣) ، ومسلم فى كتاب فضائل الصحابة ، باب فى فضل عائشة ، رضى الله تعالى عنها ، (٧٩) (١٨٩٠/٤) ، وأحمد فى المسند (٦١/٦) .

(٣) أخرجه أبو داود فى كتاب الجهاد ، باب فى السبق على الرجل ، حديث رقم (٢٥٧٨) (٣٠/٣) .

(٤) أخرجه ابن عساكر عن أنس بلفظ « كان من أفكه الناس » انظر كنز العمال ، حديث رقم (١٨٤٠٠) (١٤٠/٧) .

(٥) أخرجه الترمذى فى كتاب الإيمان وقال : هذا حديث صحيح ولا نعرف لأبى قلابة سماعاً من عائشة ، وذلك فى باب ما جاء فى إستكمال الإيمان وزيادته ونقصانه (٨٢/١٠) وأحمد فى المسند (٤٧/٦) .

(٦) أخرجه ابن ماجه بلفظ « خيارٌ خياركم لنسائهم » وذلك فى كتاب النكاح ، باب حسن معاشرة النساء (٦٣٦/١) (١٩٧٨) .

(٧) أخرجه أبو الشيخ من حديث له بقية ، وذلك فى كتابه الأمثال ، حديث رقم (٢٣٤) (ص/١٦٦) .

وقال المصطفى - ﷺ - لجابر : « **هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك** »[1].

ووصفت أعرابية زوجها وقد مات فقالت : « كان والله ضحوكا إذا ولج سكيتا إذا خرج آكلا ما وجد غير مسائل عما فقد » .

« **الرابع** » ألا يتبسط فى الدعابة ، وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ، ويسقط بالكلية هيبته عندها ؛ بل لِيُراعِ الاعتدال والتوسط فى ذلك ؛ فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكرا ، ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات بل مهما رأى ما يخالف الشرع أو المروءة تَنَمّرَ وامتعض .

قال المصطفى - ﷺ - « **طاعة النساء ندامة** » رواه[2] (.....)[3].

وقال الحسن والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا أكبه الله فى النار .

وقال عمر : « خالفوا النساء فإن فى خلافهن البركة »[4] وقد قيل : شاوروهن وخالفوهن .

وقال المصطفى - ﷺ - : « **تعس عبد الزوجة** »[5] أى : لأنه إذا أطاعها فى هواها فهو عبدها وقد تعس فإن الله ملكه المرأة فملكها نفسه ، فقد عكس الأمر ، وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال : ﴿ **ولآمُرَنَّهُم فليُغيرنَّ خَلْقَ الله** ﴾[6] إذ حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا . وقد جعل الله الرجال قوّامين على النساء[7] وجعل

---

(١) أخرجه أبن ماجه فى كتاب النكاح ، باب تزويج الأبكار حديث رقم (١٨٦٠) (٥٩٨/١) .

(٢) أخرجه الديلمى فى الفردوس ، حديث رقم (٣٩٤٨) (٤٥٢/٢) ، وأخرجه ابن عدى من طريقين ، فمرة عن عائشة وقال فيه : ولم يروه عن هشام إلا ضعيف وحدث به عن هشام خالد بن الوليد المخزومى ، وهو أضعف من ابن أبى كريمة هذا ، ومرة أخرى عن أم سعد بنت زيد ابن ثابت عن أبيها ، وذلك فى كتابه الكامل فى ضعفاء الرجال (٢٦٢/٥) (٢٦٢/٣) ، والعجلونى فى كشف الخفاء ، حديث رقم (١٦٤٨) (٤٨/٢) .

(٣) فراغ بالأصل .

(٤) ذكره المتقى الهندى فى كنز العمال وعزاه للعسكرى فى الأمثال (٨٧٦٩) (٧٨٩/٣) .

(٥) علق العراق على هذا الحديث على هامش الإحياء قائلاً حديث : تعس عبد الزوجة ؛ لم أقف له على أصل (ص/٧٣٠) .

(٦) النساء : ١١٩ .

(٧) يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ الرجال قوامون على النساء ﴾ [النساء/٣٤] ، وجاء فى تفسير هذه الآية : خلق الله الناس ذكراً وأنثى ... زوجين على أساس القاعدة الكلية فى بناء هذا الكون ... وجعل من وظائف المرأة أن تحمل وتضع وترضع ... وهى وظائف ضخمة أولاً وخطيرة ثانياً وليست هينة ولا =

الزوج سيداً فقال : ﴿ **وألفيا سيِّدها لدى الباب** ﴾[1] فإذا انقلب السيد مسخراً فقد بدل نعمة الله كفراً ونفس المرأة على مثال نفسك إن أرسلت عنانها قليلاً جمحت بك طويلا ، وإن أرخيت عِذَارها شبراً جذبتك ذراعا ، وإن كبحتها وشددت يديك عليها فى محل الشدة ملكتها .

قال الشافعى ثلاثة إن أكرمتهم أهانوك ، وإن أهنتهم أكرموك : المرأة والخادم والنبطى ، أراد به : إن محضت الإكرام ولم تمزج غلظتك بلينك وفظاظتك برفقك .

وكانت نساء العرب يعلمن نساءهن اختبار الأزواج فتقول المرأة لبنتها : اختبرى زوجك قبل الإقدام والجراءة عليه ، انزعى زُجّ[2] رمحه فإن قبل فقطعى اللحم على ترسه فإن سكت فكسرى العظم بسيفه ، فإن صبر فاجعلى الإكاف[3] على ظهره وامتطيه فإنما هو حمارك »[4].

وبالجملة فبالعدل قامت السمٰوات والأرض وكلما جاوز حده انعكس على ضده فينبغى أن يسلك سبيل الاقتصاد فى المخالفة والموافقة ويتبع الحق فى جميع ذلك ليسلم من شرهن فإن كيدهن عظيم وشرهن فاش ، والغالب عليهن سوء الخلق ، وركاكة العقل ، ولا يعتدل ذلك منهن إلا بلطف ممزوج بسياسة .

قال المصطفى – ﷺ – : « **مثل المرأة الصالحة كمثل الغراب الأعصم بين مائة**

= يسيرة ، بحيث تؤدى بدون إعداد عضوى ونفسى وعقلى عميق غائر فى كيان الأنثى ! فكان عدلاً كذلك أن ينوط بالشطر الثانى – الرجل – توفير الحاجات الضرورية . وتوفير الحماية كذلك للأنثى .

(١) يوسف : ٢٥ .

(٢) الزج : الحديدة فى أسفل الرمح . (٣) الإكاف : البرذعة .

(٤) الحق أن نصيحة هذه المرأة لابنتها ليست من الإسلام فى شىء ، وذلك لأن البيت المسلم قائم على أساس من الرحمة لقوله تعالى ﴿ وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ [الروم/٢١] ، وليس قائماً على أساس من الحقد والمكيدة والبغضاء كما كانت تعتقد هذه المرأة الجاهلة ، وكان حرياً بها أن تعظ ابنتها كما وعظت زوجة عوف بن محلم ابنتها حينما خطبت فقالت لها : « أى بنية إنك مفارقة بيتك الذى منه خرجت ، وعشك الذي منه درجت إلى رجل لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكونى له أمَة ليكون لك عبداً ، واحفظى له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً ، فأما الأولى والثانية فالرضا بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة ، وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لموضع عينيه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك إلا أطيب الريح وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه.فإن شدة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة ، وأما السابعة والثامنة فالإحراز لماله والإرعاء على حشمه وعياله ، وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصى له أمراً ولا تفشى له سراً ، فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره ، وإياك ثم إياك والفرح بين يديه إذا كان مهتماً ، والكآبة لديه إذا كان فرحاً » ، انظرها فى المستطرف للأبشيهى (ص/٤٦١) .

غراب »[1] والأعصم الأبيض البطن .

وفى وصية لقمان لابنه : اتقِ المرأةَ السوء فإنها تُشيبك قبل الشيب .

واتق شرارَ النساء فإنهن لا يدعون إلى خير ، وكُنْ من خيارِهن على حذر .

وقال المصطفى - ﷺ - : « **استعيذوا من الفواقر الثلاث : وعد منهن المرأة السوء فإنهن المشيب قبل الشيب** »[2].

وفى رواية : « إن دخلت عليها سبتك وإن غبت عنها خانتك » .

وقال المصطفى - ﷺ - : « **لا يفلح قوم تملكهم امرأة** »[3] وزجر عمر امرأته يوماً وقد راجعته وقال : « ما أنت إلا لُعبة فى جانب البيت إنْ كانت لنا إليك حاجة وإلا جلست كما أنت .

فإذن فيهن شر وفيهن ضعف ، فالسياسة والخشونة علاج الشر . والملاينة والرحمة علاج الضعف . والطيب الحاذق هو الذى يقدر العلاج بقدر الداء ؛ فليتفطن الرجل أولا لأخلاقها بالتجربة ثم يعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها .

« **الخامس** » الاعتدال فى الغيرة بألا تتغافل عن مبادىء الأمور التى يخشى غوائلها ، ولا تبالغ فى إساءة الظن والتعقب وتحسس البواطن ، فقد نهى الشرع عن تتبع عورات النساء[4] ولما قدم المصطفى - ﷺ - من سفر قال : « **لا تطرقوا النساء ليلاً فخالفه رجلان فسبقا فوجد كل منهما فى منزله ما يكره** »[5].

---

(١) أخرجه الطبرانى وفيه مطرح بن يزيد وهو مجمع على ضعفه ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى ، كتاب النكاح ، باب فى المرأة الصالحة وغيرها (٢٧٣/٤) . والغراب الأعصم : أحمر المنقار والرجلين .

(٢) ذكره السيوطى فى جمع الجوامع بلفظ « إستعيذوا من المفاقر » . وعدمنهن المرأة وقال : ومن المشيب زوجة السوء » (ص/١٠٦) ، والمتقى الهندى فى كنز العمال (٤٧/١٦) .

(٣) أخرجه البخارى بلفظ « لن يفلح قوم ولّوْا أمرهم امرأة » وذلك فى كتاب الفتن ، باب الفتنة التى تموج كموج البحر (٢٢٧/٤) .

(٤) أخرجه الطبرانى فى الأوسط بلفظ « نهى النبى ﷺ أن يُتطلب عثرات النساء » ، حديث رقم (١٨٥٤) (٤٩٥/٢) .

(٥) أخرجه الطبرانى والبزار باختصار وفيه زمعة بن صالح وهو ضعيف وقد وثق ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى ، كتاب النكاح ، باب النهى عن أن يطرق الرجل أهله ليلاً (٣٣٠/٤) ، وأخرجه ابن عدى فى الكامل بلفظ (لا تطرقوا النساء بعد صلاة العتمة) (٣٣٣/٢) .

وفى الخبر المشهور: « **المرأة كالضلع إن أردت أن تقيمه كسرته** »[1] وهذا فى تهذيب أخلاقها .

وقال المصطفى - ﷺ - « **إن من الغَيْرَةِ : غيرة يبغضها الله ؛ وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة** »[2]؛ **لأن ذلك من سوء الظن الذى نهينا عنه فإن بعض الظن إثم** .

وقال على : لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك .

وأما الغيرة فى محلها فلابد منها وهى محمودة قال المصطفى - ﷺ - : « **إن الله يغار والمؤمن يغار وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله عليه** »[3].

وقال - ﷺ - : « **أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه والله أغير منى** »[4] وقال - ﷺ - : « **لقد رأيت ليلة أُسرى بى قصراً من ذهب وبفنائه جارية فقلت : لمن هذه ؟ فقيل : لعمر فأردت أن أنظر إليها فذكرت غيرتك يا عمر ، فبكى ، وقال : أعليك أغار يا رسول الله** »[5].

وقال الحسن : تدعون نساءكم يزاحمن العلوج[6] فى الأسواق ؟ قبح الله من لا يغار .

وقال المصطفى - ﷺ - : « **من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله فأما الغيرة التي يحب الله فالغيرة فى الريبة ، والغيرة التى يبغض الله الغيرة فى غير الريبة** »[7] وقال - ﷺ - : « **إنى لغيور ، وما من امرىء لا يغار إلا منكوس القلب** »[8].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب النكاح ، باب المداراة مع النساء وقول النبى ﷺ : « إنما المرأة كالضلع » (٣/٢٥٦) .

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب الجهاد ، باب فى الحيلاء فى الحرب ، حديث رقم (٢٦٥٩) ، (٣/٥٠) ، وابن ماجه فى كتاب النكاح ، باب الغيرة ، حديث رقم (١٩٩٦) (١/٦٤٣) .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب النكاح ، باب الغيرة ، (٣/٢٦٤) .

(٤) الموضع السابق .

(٥) البخارى فى كتاب فضائل أصحاب النبى ، باب مناقب عمر بن الخطاب (٢/٢٩٣) .

(٦) العِلْجُ : كل جافٍ شديدٍ من الرجال وجمعها عُلُوج . والعلوج أيضا كفار العجم .

(٧) سبق تخريجه .

(٨) أخرج الديلمى أوله عن على « إنى لغيور » ، (١٨٤) (١/٦٤) وقال العراقى فى آخره على هامش الأحياء : =

والطريق المغنى عن الغيرة : أن لا يدخل عليها الرجال وهى لا تخرج إلى السوق .

قال المصطفى - ﷺ - لابنته فاطمة : « **أى شىء خير للمرأة ؟ قالت : ألا ترى رجلا ولا يراها رجل** »[1] فضمها إليه وقال : ﴿ **ذرية بعضها من بعض** ﴾[2].

وكان الصحابة يسدون الكُوى فى الجدران لئلا تطلع النساء إلى الرجال .

ورأى معاذ امرأته تطلع فى الكوة[3] فضربها . وقال المصطفى - ﷺ - : « **أَعْرُوا النساء يلزمن الحجاب** »[4] لأنهن لا يرغبن فى الخروج فى هيئة رثة .

وقال عمر عودوا نساءكم « لا » .

وقد كان المصطفى أذن للنساء فى الخروج إلى المساجد[5] والصواب الآن المنع إلا لعجوزٍ فى ثياب رثة وقد استصوب ذلك فى زمن الصحابة .

قالت عائشة : لو علم رسول الله ما أحدث النساء بعده لمنعهن من الخروج[6].

ولما قال ابن عمر قال رسول الله - ﷺ - : « **لا تمنعوا إماء الله مساجد الله** »[7] قال بعض ولده : بلى يُمْنَعْن ضربه به . وقال : أقول : قال رسول الله ويقول : بلى وإنما تجرأ علىّ المخالف لتغير الزمان ، وغضب عليه لإطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهراً من غير إظهار العذر ؛ وكذلك كان المصطفى : أذن لهن فى الأعياد خاصة[8].

= أما آخره فرواه أبو عمر التوقانى فى كتاب معاشرة الأهلين من رواية عبد الله بن محمد مرسلاً والظاهر إنه عبد الله بن الحنفية ، انظر الإحياء (ص/٧٣٣) .

(١) أخرجه البزار بلفظ « لا يراهن الرجال » ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى الذى علق على الحديث قائلاً : فيه من لم أعرفه وعلى بن يزيد أيضاً » ، وذلك فى كتاب النكاح ، باب أى شىء خير للنساء (٤/٢٥٥) .

(٢) آل عمران : ٣٤ .

(٣) الكوة : الخرق فى الجدار يدخل منه الهواء والضوء .

(٤) أخرجه الطبرانى عن مسلم بن مخلد رضى الله عنه انظر كشف الخفاء للعجلونى ، حديث رقم (٤٠٩) (١/١٥٩) وعزاه الغزالى فى إحيائه إلى عمر - رضى الله عنه - .

(٥) أخرج البخارى فى كتاب الجمعة أن النبى ﷺ قال : « ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد » وذلك فى باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم (١/١٦٠) .

(٦) أخرجه البخارى فى كتاب الأذان ، بلفظ « لمنعهن كما منعت نساء بنى إسرائيل » ، باب انتظار الناس قيام الإمام العالم (١/١٥٦) .

(٧) أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة ، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم (١/١٦٠) .

(٨) أخرج الترمذى عن أم عطية أن رسول الله ﷺ « كان يُخرج الأبكار والعواتق وذوات الخدور والحيّض =

وينبغى ألّا تخرج إلا لمهم ؛ لأن الخروج لغير ذلك يقدح فى المروءة وقد يفضى إلى فساد ، وإذا خرجت تغض بصرها عن الرجال ، ولسنا نقول : إن وجه الرجل فى حقها عورة كوجه المرأة ، بل هو كوجه الأمرد فى حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط .

« **السادس** » الاعتدال فى النفقة فلا يُقَتّر عليهن فى الإنفاق ولا يسرف بل يقتصد ﴿ **ولا تجعل يَدَكَ مَغْلولةً إلى عنقك ولا تبسُطها كُلَّ البَسْط** ﴾[1].

وينبغى أن يأذن لها فى التصدق بالطعام ومما يفسد لو تُرك .

ولا ينبغى أن يستأثر عن أهله بمأكول طيب فلا يطعمهم منه فإن ذلك يوغر الصدر وليس من المعاشرة بالمعروف فإن أبى إلا ذلك فليأكله فى خفية .

ولا ينبغى أن يصف عندهم طعاما لا يريد إطعامهم إياه وإذا أكل فيقعد العيال كلهم على مائدته .

وأهم ما يجب رعايته فى الإنفاق أن يطعمها من حلال[2] ولا يدخل مداخل السوء لأجلها فإنه جنايةٌ عليها لا رعاية .

« **السابع** » أن يتعلم المتزوج من أحكام الحيض ما يحترز به الاحتراز الواجب ، ويعلم زوجته أحكام الصلاة ، ويلقنها اعتقاد أهل السنة ويزيل عن قلبها كل بدعة إن صغت إليها ، ويخوفها بالله إذا تساهلت فى أمر الدين ويعلمها أحكام الحيض والاستحاضة والاستنجاء ، وكل ما لابد منه .

« **الثامن** » إذا كان له نسوة فيعدل بينهن .

قال المصطفى – ﷺ – : « **من كان له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقُّه مائل** » وفى رواية « ساقط »[3].

= فى العيدين ، وقال : حديث أم عطية حديث حسن صحيح ، وذلك فى كتاب الصلاة ، باب ما جاء فى خروج النساء فى العيدين (٩/٣ ، ١٠) .

(١) الإسراء : ٢٩ .

(٢) كانت عادة النساء فى السلف ، إذا خرج الرجل من منزله تقول له امرأته أو ابنته : إياك وكسب الحرام ، فإنا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار .

(٣) أخرجه ابن ماجه بلفظ « يميل مع إحداهما على الأخرى » ، وذلك فى كتاب النكاح ، باب القسمة بين النساء ، حديث رقم (١٩٦٩) ، (٦٣٣/١) ، وأبو داود فى كتاب النكاح ، باب فى القسم بين النساء ، حديث =

وإنما عليه العدل فى القَسْم لا فى الحب والوِقاع لأنه لا يدخل تحت الأجساد .

وقد كان المصطفى - ﷺ - يعدل بينهن فى العَطاء والمَبيت ويقول : « **اللهم هذا قسمى فيما أملك** »[1].

وكان يطاف به فى مرضه محمولاً فى كل يوم وكل ليلة[2] ثم أذن له نساؤه أن يُمَرَّض فى بيت عائشة لعلمهن بمحبته لها[3].

« فصل »

قال عمر تعوذوا بالله من شر النساء واحذروا خيارهن .

قال الأحنف بن قيس[4]: إذا أردتم أن تحبكم النساء فعاشروهن بأحسن الأخلاق وجامعوهن بأقبح الجماع .

وقال عمر : لا تحدثوا النساء فى حديث العِشق فتفسدوا قلوبهن .

وقال : النساء ككلب مُلْقىً فى برية فهو ليس له حافظ غير الله .

وقال المغيرة : قضيت زمانى مع النساء بثلاثة أشياء : فى زمان شبابى بالجماع ، وفى كهولتى بالمِزاح والحديث وحسن الخلق ، وفى شيخوختى بالمال وسعة النفقة .

وأما الاستكثار فى الجوارى فغير محمود إلا ما قدرت على حقوقهن لحديث : « **من**

= رقم (٢١٣٣) ، (٢/٢٤٢) .

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب النكاح ، وتكملته « فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك » يعنى القلب ، باب فى القسم بين النساء ، (٢١٣٤) (٢/٢٤٢) .

(٢) أخرج ابن سعد فى الطبقات الكبرى أن رسول الله ﷺ « كان يحمل فى ثوب يطوف به على نسائه وهو مريض يقسم بينهن » (٢/٢٣١) .

(٣) أخرج ابن سعد فى طبقاته أن رسول الله ﷺ قال : إنى أشتكى ولا أستطيع أن أدور على بيوتكن فإن شئتن أذنتن لى فكنت فى بيت عائشة ، فأذن له ، فكنت أنا أوصّبه ولم أوصّب مريضاً قبله » (وأوصّبه) تعنى أنها واظبت وأحسنت الخدمة له ، والقيام عليه (٢/٢٣٣) .

(٤) الأحنف بن قيس (٣ ق هـ - ٧٢ هـ = ٦١٩ - ٦٩١ م) . هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المرى السعدى المنقرى التميمى ، أبو بحر : سيد تميم ، وأحد العظماء الدهاة الفصحاء يضرب به المثل فى الحلم ، ولد فى البصرة وأدرك النبى ﷺ ولم يره ، ووفد على عمر ، حين آلت الخلافة إليه ، فى المدينة ... واعتزل الفتنة يوم الجمل ... وولى خراسان ، وكان صديقاً لمصعب بن الزبير (أمير العراق) فوفد عليه بالكوفة فتوفى فيها وهو عنده . الأعلام (١/٢٧٦) ، وتهذيب التهذيب للعسقلانى (١/١٦٧) .

اتخذ من الخدم غير ما ينكح فرهنهن كان المهر عليه »[1].

وفى الحديث « **خير النساء من تطيع زوجها فيما يأمر ، وشرهن من يخالف رضاه** »[2].

وسئلت إمرأة عاقلة : ما آداب النساء ؟ قالت : وما عيوب الرجال ؟ قيل الجبن والبخل . قالت : هما من آداب النساء .

وتزوج حكيم إمرأة قصيرة فقيل له : لم لا تزوجت بامرأة تامّة الخلق ؟ قال : المرأة شر وكلما قصر الشركان أصلح !!

وقال بعض الحكماء النساء على أربعة أنواع : امرأة كلها للرجل : وهى البكر وامرأة نصفها له : وهى الراجع[3]، وامرأة ثلثها له : وهى التى مات زوجها الأول ولها منه ولد ، وامرأة عدوة له وهى المطلقة التى لها من مطلقها ولد وقلبها معه .

« فصـــــل »

يقال : إن حواء لما عصت ربها فى الجنة عاقب النساء بثمانى عشرة عقوبة : الحيض ، والولادة ، وفراق أمها ، وحصولها مع أجنبى يتزوجها ، والنفاس والتلطخ به ، وتغطية رأسها ، وشهادة امرأتين بشهادة رجل ، وأنه لا يحل لها أن تخرج من بيتها إلا مع محرم أو زوج وأن الرجال يصلون الجمعة والعيد والجنازة ويجاهدون وليس للنساء من ذلك نصيب[4] وأنها لا تصلح للإمامة والإمارة والقضاء والعلم وأن الثواب والأجر

(١) أخرج البزار بعضه عن عطاء بن يسار عن سلمان انظر مجمع الزوائد للهيثمى الذى قال فى الحديث : فيه من لم أعرفهم (٢٩٨/٤) ولفظ الحديث بعد ينكح : « ثم بغين فعليه مثلاآثامهن من غير أن ينقص من آثامهن شىء » .

(٢) أخرج الحاكم فى مستدركه نحوه ، وذلك فى كتاب النكاح (١٦١/٢) ، وذكره العجلونى فى كشف الخفاء ، وعزاه لأحمد والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، (١٢٦٢) (٤٧٥/١) .

(٣) الراجع : المرأة التى ترجع إلى أهلها بعد وفاة زوجها .

(٤) والحق أن بعض هذا القول قد جانبه الصواب ، فقد حث رسول الله ﷺ المرأة على صلاة العيد ، فكما جاء فى الحديث الذى رواه الترمذى عن أم عطية أن رسول الله ﷺ « كان يُخرج الأبكار والعواتق وذوات الخدور والحُيض فى العيدين فأما الحُيَّض فيعتزلن المصلى .. » الحديث ، وهكذا فى صلاة الجمعة فقد أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نمنع إماء الله المساجد ، أما بالنسبة لجهاد النساء ، فقد قال فيه السيد سابق فى فقه السنة : فلا يجب (أى الجهاد) على غير المسلم ، ولا على المرأة ، ولا على الصبى .. » واستشهد بالحديث الذى رواه=

ألف قسم للنساء قسم واحد ، وأن النساء الفواجر يعذبهن بنصف عذاب هذه الأمة يوم القيامة .

« فصـــــل »
« فـي ذكـر عـادات النـسـاء »

اعلم أن النساء على عشرة أصناف : وصفة كل واحدة منهن تشبه بعض الحيوانات .

فالأولى كعادة الخنزير لا يحسن غير الأكل والشرب وحشو البطن وكسر الآنية ولا تُبالى أين مضت ، ولا تهتم بشيء ولا تفكر فى أمر المعاد والعقاب والثواب ولا تشتغل بحفظ الأولاد وتأديبهم وتعليمهم ، وتلبس الثياب القذرة وتظهر منها الروائح الكريهة .

« **الثانية** » كالقرد وهى التى همها فى لبس الثياب الملونة الأحمر والأصفر ولبس اللؤلؤ والجواهر وتفتخر على أقاربها وتعرف منزلتها عند زوجها وتخونه .

« **الثالثة** » كالكلب وهى التى إذا كلمها زوجها وثَبَت فى وجهه ، وصاحت عليه ، وخاصمته ، وهبت عليه كالكلب ومتى أبصرت كيس زوجها ملآن من ذهب وفضة وفلوس ، وبيته مشحونا بالخير والنعم والحبوب والفواكه أكرمته وهوت إليه وقالت له : لك الفداء أموت فداءك ومتى كانت حالته بخلاف ذلك وثَبَت كالكلب فى وجهه وأخرجته من بيته وأساءت عشرته .

« **الرابعة** » كالحية فهى تُلين كلامها وتُضمر له سوءاً فلا ترى له خيراً فهى كالحية لمسها لين وسمها قاتل !!

« **الخامسة** كالخفاش إذا وقعت على المرء كلما ضربت لا تبرح وتكون منفردة برأيها معجبة بنفسها(*).

= البخارى وأحمد عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله هل على النساء جهاد ؟ قال : جهاد لا قتال فيه : الحج والعمرة» إلا أنه قال فى نهاية حديثه عن جهاد المرأة : إن هذا لا يمنع من خروجهن للتمريض ونحوه واستشهد أيضاً بالحديث الذى رواه مسلم وأبو داود أن النبى ﷺ « كان يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه فيسقين الماء ويداوين الجرحى » فقه السنة (٣/١٣ ، ١٤) .

* كذا بالأصل .

« **السادسة** » كالعقرب لا تبرح فى بيوت الجيران بالنميمة والغمز وتسمع حديثهم لتنم به وتوقع بينهم العداوة والخصومة والفتن كالعقرب أينما حلت ضربت بحُمَتِها[1].

« **السابعة** » كالفأرة وهى السّراقة وهى التى تسرق من بيت زوجها وتختبىء فى بيوت الآخرين وتسرق من حنطته وأثيابه وتعطيه للغزالات .

« **الثامنة** » كالطير تدور نهاراً ولا تستريح فى دورانها وتقول لزوجها : أين تمضى ؟ وأنت لا تريدنى وتحب غيرى ! ولست معى بمستقيم ! ولا علىّ شفيق !!

« **التاسعة** » كالثعلب تُخْرج زوجها من بيته ومهما رأته أكلته ونامت وتعللت وإذا دخل زوجها البيت فتحت له أبواب الخصومة تقول : تركتنى فى البيت وحيدة مريضة !!

« **العاشرة** » كالغُنَيْمة فهى مباركة كل شىء منها فيه منفعة وكذا المرأة الصالحة كثيرة النفع والشفقة على زوجها وأهل بيتها وجيرانها وأولادها مطيعة له .

« فصل »

اعلم أن ديانة المرأة وعفتها نعمة عظيمة ومن ثم امتن الله بها فقال ﴿ **وأصلحنا له زوجه** ﴾[2].

« فصل »

راود رجل فاجر امرأة عفيفة بالحرام وقال : لا أدعك حتى تقفلى الأبواب فأغلقتها ، ثم قالت : ما بقى سوى باب واحد وهو الذى بيننا وبين البارى جلت قدرته ما أقدر على غلقه فتاب !!

وراود رجل امرأة وقال : ما يرانا إلا الكواكب فقالت : فأين أنت من مكوكبها[3]؟

---

(١) **الحَمَة : الإبرة التى تضرب بها العقرب والزّنبور ونحو ذلك .**

(٢) **الأنبياء : ٩٠ .**

(٣) **تقصد الله سبحانه وتعالى خالق الكواكب .**

« فصـــــل »

والمرأة تحظى عند زوجها بإكرامها له وحرصها على رضاه وقت خلوته ومجامعته لها وحفظها منافعه وقلة خروجها من خدرها وبأن تحفظ شأن طعامه ، ومهما علمت أنه يشتهى شيئا اصطنعته له ، ولا تكلفه ما لا يقدر عليه ، ولا تلح عليه ، وتحفظ سره ، ولا تكشف ستره ولا تخونه حاضرا ولا غائبا .

قال الغزالى : ويجب على الرجال أن يؤدوا حقوق النساء والعورات وأن يحفظوا بهن وجه التراحم والإحسان والمداراة ومن أحب أن يكون مشفقا على زوجته ، رحيماً بها ، فليتذكر شيئاً من أحوالها لينصفها فمن ذلك أنها لا تقدر أن تطلقه وهو قادر على ذلك ، فإنها مادامت فى حباله لا تقدرعلى زوج سواه وهو يقدر أن يتزوج ويتسرى ، وأنه لا يجوز لها الخروج من بيته بغير إذنه وهو يجوز له ، وهى لا يمكنها أن تغزو وهو يمكنه ، وأنها تخافه لا يخافها وأنها تقنع بطلاقة وجهه وبشره والكلام الطيب وهو لا يرضى بجميع أحوالها ، وأنها تفارق أبويها وجميع أهلها لأجله وهو لا يفارق أحداً لأجلها ، وأنها تخدمه دائما وهو لا يخدمها ، وأنها تتلف نفسها إذا كان مريضاً ، وهو لا يغتم لها ولو ماتت ، فبهذه الوجوه يجب على العقلاء أن يكونوا رحماء بالنساء ولا يظلموهن ؛ فإن المرأة أسيرة فى يده ، ويجب على الرجال مداراتهن لنقص عقولهن ، فدارها بعشرتها فهى الضلع ، ولأجل نقصان عقولهن لا يجوز العمل برأيهن ، ولا الالتفات لقولهن . ومن اعتمد على ذلك خسر وندم » .

حكى أن خروبرويز كان يحب السمك فقعد يوماً فى المنظرة[1] وعنده جاريته سيرين فأهدى له صياد سمكة كبيرة فأمر له بأربعة آلاف درهم فقالت : « سيرين » : بئس ما فعلت إذا أعطيت هذا المبلغ لأحد من حشمك احتقره وقال : أعطانى عطية الصياد وإن أعطيته أقل قال : قد احتقرنى وأعطانى دون ما أعطى الصياد قال : صدقتِ لكن يقبح بالملك أن يعود فى هبته ، وقد علمت ذلك ، فقالت سيرين : أنا أدبر هذا الأمر تدعو الصياد وتقول له : هذه السمكة ذكر أم أنثى ؟ فإن قال : ذكر فقل : إنما أردنا أنثى وإن قال أنثى فقل : إنما أردنا ذكراً فدعا بالصياد وكان ذا ذكاء وفطنة فقال له ذلك فقال : هذا خنثى فضحك من قوله وأمر له بأربعة آلاف أخرى فقبض

(١) المنظرة : مكان من البيت يُعد لاستقبال الزائرين .

الكل ووضعه فى جرابه وحمله فسقط منه درهمٌ فوضع الجراب عن كاهله وتناول الدرهم فقالت سيرين : أيها الملك رأيت إلى خسته وسفالته ، سقط منه درهم واحد فانحنى عليه وأخذه ؛ وما تركه لبعض غلمان الملك يأخذه ؛ فقال : صدقتِ وأمر بعوده ، وقال له : يا ساقط الهمة وضعت هذا المال عن عنقك شحاً على درهم سقط ، قال : أيها الملك لم أرفع الدرهم من الأرض لخطره عندى ؛ بل لأن على أحد وجهيه صورة الملك وعلى الآخر اسمه فكرهت أن يدوسه أحد بغير علم ، فيكون استخفافا باسم الملك وصورته فأكون المأخوذ بذلك الذنب فعجب الملك من عقله وأمر له بأربعة آلاف أخرى وأمر منادياً ينادى لا يتدبرن أحدٌ برأى النساء ولا يعمل بقولهن فإن من تدبر برأيهن وعمل بِكَلَامِهِنَّ خسر درهمه درهمين .

وعمارة الدنيا وتناسل بنى آدم بالنساء والعمارة لا تصح بغيره أى : على الرجل الفاضل المتيقظ أن يحتاط فى شأن النساء ولا يتزوج إلا من مَرْضِيٍّ دينها وعقلها وشرفها وأصلها فإن البلاء والهلاك والمحن ليس إلا من قبل النساء ولله در القائل :

من فتنة النسوان قد يعصى الفتى ... الرحمن أو يخشى من السلطان
اللص لولاهن لم يك بائعا ... ألزمنه بأرخص الأثمان
كل البلاء منهن يأتى ... أمَّا الوفا فلا يأتى مدى الأزمان

« المقصد الثامن »

« فى القيام بحقوق الناس وصحبة الأهل والأقارب والجيران وآداب معاشرة الخِلّان »

وغيرهم من الناس على اختلاف طبقاتهم فى كل زمان ومكان

قال حجة الإسلام : القيام بحقوق المسلمين وحسن الصحبة ركن من أركان الدين ؛ إذ الدين معناه السفر إلى الله – تعالى – ومن أركان السفر حسن الصحبة معهم فى منازل السفر مع المسافرين والخَلْقُ كلهم سَفْر يسير بهم العمر سير السفينة براكبها .

واعلم أن الإنسان فى الدنيا يكون وحده أو مع خواصه من أهل وقريب أو جار ويكون مع عموم الناس ، فهذه ثلاث أحوال ، وعليه حسن الصحبة معهم وأداء الحقوق فى جميع هذه الأحوال حَرِىّ به فليحصر الغرض من هذا المقصد فى ثلاثة فصول : :

« الفصل الأول »

أن يكون وحده وليعلم أنه بنفسه عالَم صغير وأن باطنه يشتمل على أصناف من الخلق مختلفى الطباع والأخلاق فإن لم يحسن صحبتهم و لم يقم بحقوقهم هلك ، وأصناف جنود الباطن كثيرة ﴿ **وما يعلم جنود ربك إلا هو** ﴾[1] ففى الأصناف شهوة يجذبه بها إلى نفسه وغضبيته يدفع بها عن نفسه الضار ويحصل بتدبيره الأمور ويرعى به الرعية فهو باعتبار غضبيته كلب وباعتبار شهوته بهيمة كالفرس وباعتبار قلبه ملك[2] وهو يأمر بالعدل بينهم والقيام بحقوقهم والاستعانة بهم ليقتنص بمعونتهم سعادة الأبد فإن راضَ الفرس وأدب الكلب ونحوهما للملك ، ظَفِر بمطلوبه وإن سخر العقل فى استنباط الحيل لتحصيل ما يتعاطاه الكلب لغضبه ولحاجته والفرس بحرصه وجشعه أوفى على الكلب فضلاً عن إدراك مقصود الكلب وصار منكوساً معكوساً فاجراً ظالماً لأن الظلم وضع الشىء فى غير محله .

ولو رأى شخصاً جعل فى طاعته ملكا وكلبا وخنزيراً فلم يزل يضطر الملك إلى أن يسخر للخنزير والكلب بغيته فهو يكون ظالما مستوجبا للمقت ولو كوشف الإنسان بحاله عند منامه أو عند فنائه عن نفسه فى الاستغراق بالله لرأى كل من أطاع شهوته وغضبه ساجداً لكلب وخنزير إذ لم يكن الكلب كلباً لصورته بل لمعناه وكذا يرى نفسه بعد الموت لأن المعانى فى عالم الآخرة تستتبع الصور ولا يتبعها فيتمثل كل شىء بصورة توازى معناه فيحشر المتكبر قدر الذى يطويه من أقبل وأدبر والمتواضع يكون عزيزاً وأما هذا العالم فعالم التلبيس فقد يودع معنى الكلب والخنزير فى صورة إنسان فلا تغتر به فإن ذلك ينكشف يوم تبلى السرائر فعليك أن تحسن صحبة رفقائك الثلاثة فتكسر الشهوة بصورة الغضب وتقل من علو الغضب بداعى الشهوة وتسلط أحدهما على الآخر فإنه نافع جدا فى تقويمها حتى تنقاد للعقل والشرع فيستعملهما العقل بحيث ينتفع بهما كما يستعمل الصائد الفرس والكلب ويسكنهما عند الاستغناء وشرح هذه الرياضة طويل وفى هذا القدر بلاغ .

---

(١) المدثر : ٣١ .

(٢) تعود قسمة النفس الإنسانية إلى ثلاث قوى (الشهوانية ، والغضبية . والعاقلة) إلى الفلسفة اليونانية ، فخص أفلاطون فى جمهوريته – العبيد بالنفس الشهوانية لتغلب الشهوة عليهم وخص الجنود بالنفس الغضبية لتغلب الحماس عليهم ، وخص الفلاسفة بالنفس العاقلة لتغلب التفكر عليهم ، وهى أعلى مراتب النفس منزلة وشرفاً .

« الفصل الثانى »

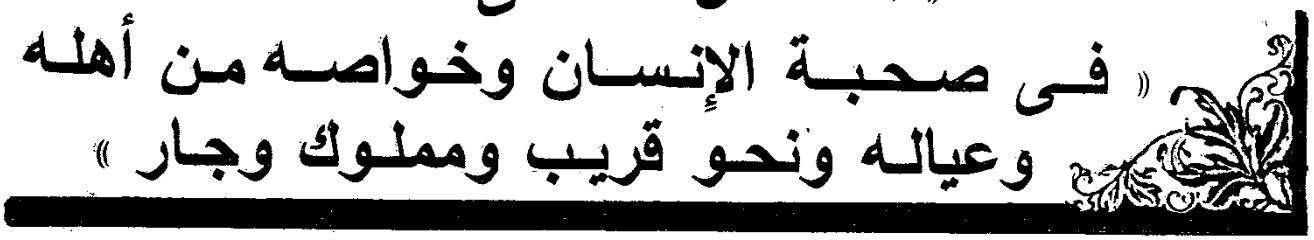

« فى صحبة الإنسان وخواصه من أهله وعياله ونحو قريب ومملوك وجار »

وأما الصحبة للأهل والعيال فقد قال المصطفى - ﷺ - : « **خياركم خياركم لأهله** » رواه الطبرانى[1].

وقال : « **خياركم خياركم لنسائه** » رواه ابن ماجه[2].

وقال : « **ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لابد له من معاشرته حتى يجعل الله من ذلك مخرجا** » رواه البيهقى[3].

و« **كان** المصطفى - ﷺ - رحيما بالعيال » رواه الطيالسى[4].

و« **كان** من أضحك الناس وأطيبهم نفسا » رواه الطبرانى[5].

و« **كان** من أفكه الناس » رواه ابن عساكر[6].

وحسن الصحبة مع الأهل والعيال بالشفقة عليهم ومداراتهم وتأديبهم وحثهم على الطاعة ﴿ **قُوا أنفسكم وأهليكم نارا** ﴾[7] ومع الزوجات بما قال الله : ﴿ **فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾[8] والإنفاق عليهم بغير إسراف ولا تقتير .

---

(١) أخرجه الطبرانى بلفظ « خياركم خيركم لأهله » وفيه عمر بن رؤبة ، وثقه ابن حبان وغيره وضعفه جماعة ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى ، كتاب النكاح ، باب حق المرأة على الزوج (٣٠٣/٤) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) ذكره المتقى الهندى فى كنز العمال بلفظ « ليس بحليم » ، وعزاه للبيهقى فى الشعب عن أبى فاطمة الإيادى ، حديث رقم (٥٨١٥) (١٣٠/٣) .

(٤) أخرجه الطيالسى عن أنس ، انظر كنز العمال ، حديث رقم (١٨٣٣٤) (١٢٩/٧) .

(٥) ذكره المتقى الهندى فى كنز العمال وعزاه للطبرانى عن أبى أمامة فى الكبير ، حديث رقم (١٨٣٩٩) (١٤٠/٧) .

(٦) ذكره المتقى الهندى فى كنز العمال وعزاه لابن عساكر عن أنس ، حديث رقم (١٨٤٠٠) (١٤٠/٧) .

(٧) التحريم : ٦ .

(٨) البقرة : ٢٢٩ .

قال المصطفى – ﷺ – : « **ليس منا من وسع الله عليه فقتر على عياله** »[1].

ولطول الكلام على عشرة النساء أفردته بمقصد وإنما ذكرنا ذلك هنا لضرورة التقسيم .

وأما الصحبة للقريب فقد قال المصطفى – ﷺ – : « **الرحم شِجْنَةٌ من الرحمن قال الله تعالى** : « **من وَصَلَكِ وَصَلْتُه ومن قَطَعَكِ قطعته** »[2] رواه البخارى .

وقال : « **الرحم مُعلقة بالعرشِ يقول : من وصلنى وصلته ومن قطعنى قطعته** » رواه البخارى .

وقال : « **الرحم معلقة بالعرش يقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله** » رواه مسلم وغيره[3].

وفى الحديث القدسى قال الله تعالى : « **أنا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمى . فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته** »[4].

وقال المصطفى – ﷺ – : « **إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال : نعم أما تَرْضَيْنَ أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت : بلى يارب** » رواه الشيخان عن أبى هريرة[5].

وقال المصطفى – ﷺ – : « **صلة الرحم تزيد فى العمر** » رواه القضاعى[6].

وقال : « **صلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمرن الديار ويزدن فى الأعمار** »[7] رواه أحمد .

---

(١) أخرجه الديلمى فى الفردوس ، وله بقية ، حديث رقم (٥٢٧١) (٤١٦/٣) .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الأدب ، وذلك فى باب من وصل وصله الله (٤٩/٤ ، ٥٠) ، والحديث يعنى أن هناك قرابة مشتبكة كاشتباك العروق شبَّهه (أى الرحم) بذلك مجازاً واتساعاً . وأصل الشجنة بالكسر والضم : شعبة فى غصن من غصون الشجرة ، النهاية لابن الأثير (٤٤٧/٢) .

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب البر ، باب صلة الرحم ، وتحريم قطيعتها ، حديث رقم (١٧) (١٩٨١/٤) .

(٤) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد بلفظ (ومن قطعها بَتَتُّهُ » ، حديث رقم (٥٤) ، (٣٠/٢) .

(٥) أخرجه البخارى فى كتاب الأدب ، وله بقية وذلك فى باب من وصل وصله الله ، (٥٠/٤) .

(٦) أخرجه القضاعى عن ابن مسعود ، انظر كنز العمال للمتقى الهندى ، حديث رقم (٦٩٠٩) (٣٥٦/٣) .

(٧) أحمد فى المسند ، (١٥٩/٦) ، والمتقى الهندى فى كنز العمال ، وعزاه للبيهقى فى الشعب ، حديث رقم (٦٩١٠) (٣٥٦/٣) .

وقال - ﷺ - : « **اتقوا الله وصلوا أرحامكم** » رواه ابن عساكر عن ابن مسعود[1].

وأما المملوك فقد قال المصطفى - ﷺ - : « **اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون** »[2].

وقال « **إذا أتى خادمه بطعامه فإنه وَلِيَ حَرَّهُ وعلاجه** »[3].

وقال « **إخوانكم خَوَلُكُمْ جَعَلَهُم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه وليُلبِسهُ من لباسه ولا يكلفه ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فَلْيُعنه** » رواه الشيخان[4].

وقال : « **اتقوا الله فى الضعيفين : المملوك والمرأة** » رواه ابن عساكر عن ابن عمر[5].

وقال : « **اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم** » رواه البخارى عن على[6].

وقال : « **لا تضربوا إماء الله** » رواه النسائى وغيره[7].

وقال : « **لا تضربوا إماءكم على كسر إنائكم فإن لها أجلا كآجال الناس** » رواه أبو نعيم[8].

وكان آخر كلامه « **الصلاة الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم** » رواه

---

(١) انظر كنز العمال ، حديث رقم (٦٩١٢) (٣/٣٥٦) .

(٢) أخرج البخارى بنحوه فى الأدب المفرد ، حديث رقم (١٨٩) (ص/٨٥) .

(٣) أخرجه البخارى من حديث له بقية ، وذلك فى كتاب العتق ، باب إذا أتاه خادمه بطعامه (٢/٨٤ ، ٨٥) ، وأحمد فى المسند (٢/٤٠٩) .

(٤) البخارى فى كتاب الأيمان ، بَاب المعاصى من أمر الجاهلية (١/١٥) .

(٥) ذكره المتقى الهندى فى كنز العمال ، وعزاه لابن عساكر حديث رقم (٢٥٠٠٤) (٩/٧١) .

(٦) سبق تخريجه .

(٧) ذكره السيوطى فى الجامع الصغير ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير ، وعزاه لأبى داود النسائى ، حديث رقم (٦/١٦١) (٧٢٣٧) .

(٨) أخرجه أبو نعيم فى الحلية بدون لفظة « كسر » (١٠/٢٦) والديلمى فى الفردوس . حديث رقم (٧٤٣٨) (٥/٥٣) .

ابن ماجه[1].

ومر بأبي مسعود وهو يضرب مملوكه فقال : « **الله أقدر عليك منك على هذا الغلام** »[2] فأعتقه رواه أحمد وغيره .

وما ضرب - ﷺ - بيده عبداً ولا أمةً ولا خادماً قط ومع ذلك قال : « **علق السوط حيث يراه الخادم** »[3] إشارة إلى أن التأديب لابد منه .

وسئل المصطفى : « كم يعفى عن المملوك فى اليوم والليلة ؟ قال : **سبعين مرة** »[4] فجملة حق المملوك أن يشركه فى طعمته وكسوته ، ولا يكلفه على الدوام ما لا يطيقه ويعفو عن زلته ولا ينظر إليه بعين الكبر والإزدراء ويعلمه مهمات الدين .

وأما الصحبة مع الجار :

فقد قال المصطفى : « **مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه يورثه ومازال يوصينى بالمملوك حتى ظننت أنه يضرب له أجلا أو وقتاً إذا بلغه عتق** »[5]. رواه البيهقى .

وقال : « **أول خصمين يوم القيامة جاران** » رواه أحمد[6].

وقال : « **خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره** »[7]. رواه أحمد وغيره .

---

(١) ابن ماجه فى كتاب الوصايا ، بلفظ : كان آخر كلام النبى ﷺ : « الصلاة وما ملكت أيمانكم » وذلك فى باب هل أوصى رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٢٦٩٨) (٢/٩٠١) .

(٢) أحمد فى المسند (٤/١٢٠) ، ومسلم فى كتاب الأيمان ، واللفظ له ، باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده ، حديث رقم (٣٤) (٣/١٢٨٠ ، ١٢٨١) .

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسط والبزار واللفظ له ، انظر مجمع الزوائد ، كتاب الأدب ، باب تأديب الأولاد وأهل البيت وتعليق السوط حيث يرونه (٨/١٠٥ ، ١٠٦) ، والديلمى فى الفردوس نحوه حديث رقم (٤١٣٢) (٣/٥١) ، والبغدادى فى تاريخ بغداد (١٢/٢٠٣) ، وذكره العجلونى فى كشف الخفاء حديث رقم (١٧٤٢) (٢/٨٢) .

(٤) ذكره المتقى الهندى بلفظ « يُعفى عنه كل يوم سبعين مرة يعنى المملوك » وعزاه لأحمد عن ابن عمر ، كنز العمال (٩/٨٥) (٢٥٠٨٦) .

(٥) ذكره المتقى الهندى فى كنز العمال ، وعزاه للبيهقى فى السنن ، حديث رقم (٢٤٨٧٩) (٩/٤٩) .

(٦) أحمد فى المسند (٤/١٥١) ، والطبرانى فى الكبير ، انظر كنز العمال ، حديث رقم (٢٤٨٩٤) (٩/٥٢) .

(٧) أحمد فى المسند (٢/١٦٨) .

وقال : « **إذا رميت كلب جارك فقد آذيته** »*.

وقيل له « إن فلانة تصوم النهار وتصلى الليل وتؤذى الجيران فقال : « **هى فى النار** »[1].

وقال : « **أتدرون ما حق الجار على جاره ؟ إن مرض عدته ، وإن مات شيعته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن أعوز سترته ، وإن أصابه خير هنأته . وإن أصابته مصيبة عزيته ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح ولا تؤذه بريح قِدْرك إلا أن تغرف له منها** »[2] رواه الطبرانى .

وقال : « **ليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه** » أى دواهيه » . رواه الحاكم[3].

وقال : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره** » رواه البخارى[4].

« الفصل الثالث »
« فى صحبة عموم الناس »

اعلم إن من أصول الدين كما قال الغزالى مع الصحبة . اتخاذ الإخوان قال – ﷺ – : « **استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة** »[5] رواه ابن النجار عن أنس والمراد الإخوان الأخيار بقرينة ذكر الشفاعة أما غير الأخيار فلا يندب معاشرتهم بل يتعين اجتنابهم ومفارقتهم فصحبة الأخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر ؛ كالريح إذا أثيرت على الطِّيب حملت طِيباً وعلى النَّتن حملت نتناً .

---

* لم أعثر عليه .

(١) أخرجه أحمد والبزار ورجاله ثقات ، انظر مجمع الزوائد ، كتاب الأدب ، باب ما جاء فى أذى الجار (١٦٩/٨) .

(٢) رواه الطبرانى وفيه أبو بكر الهذلى وهو ضعيف انظر مجمع الزوائد ، كتاب الأدب ، باب حق الجار والوصية بالجار ، (١٦٥/٨) .

(٣) الحاكم فى المستدرك ، (١٦٥/٤) .

(٤) البخارى فى كتاب الأدب ، بلفظ « فليكرم جاره » من حديث له بقية ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (٥٣/٤ ، ٥٤) .

(٥) ابن النجار فى تاريخه عن أنس ، انظر كنز العمال ، حديث رقم (٢٤٦٤٢) (٤/٩) .

وقال - ﷺ - : « **المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل** »[1].

وقال : « **الْوِحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ والْجَلِيسُ الصَّالِحُ خَيْرٌ من الوحدة وإملاء الخير خير من السكوت والسكوت خير من إملاء الشر** »[2]. رواه الحاكم وغيره عن أبى ذر .

وقال : « **لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقى** »[3] رواه الإمام أحمد وابن حبان وغيرهما عن أبى سعيد .

وسر ذلك أن المطاعمة توجب الألفة ومخالطة غير المتقى تخل بالدين والطباع سَرّاقَة .

وقال : « **لا تصحبن أحداً لا يرى لك من الفضل كمثل ما ترى له** »[4] رواه أبو نعيم وغيره عن سهل بن سعد .

وقال : « **إياك وقرين السوء فإنك به تُعرف** »[5] رواه ابن عساكر عن أنس .

ولهذا قال على - كرم الله وجهه - : « ما شيء أدل على شيء ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب » .

وقال الشاعر :

ولا يصحب الإنسان إلا نظيره وإن لم يكونوا من قبيل ولا بلد

ومُصْحَبَةُ الأخيار تورث الفلاح والنجاح والنظر إلى أهل الصلاح يورث صلاحاً والنظر إلى الصور يؤثر أخلاقاً وعقائد مناسبة بخلق المنظور وعقيدته والمعاشرة والمقارنة لها تأثير فى الإنسان بل فى الحيوان وفى النبات بل فى الجماد .

وينبغى ألا يصحب إلا الخَيِّر ومن يستفيد منه خيراً قال - ﷺ - : « **خير**

---

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد ، بلفظ « الرجل على دين خليله » ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، (٩/٢٢٣) .

(٢) الحاكم فى المستدرك ، (٣/٣٤٣ ، ٣٤٤) .

(٣) أخرجه أحمد فى المسند بلفظ « لا تصحب إلا مؤمناً ... » (٣/٣٨) ، وابن حبان فى كتاب البر والإحسان ، واللفظ له ، باب الصحبة والمجالسة ، حديث رقم (٥٥٥) (١/٣٨٣) .

(٤) أبو نعيم فى الحلية ، بلفظ « لا تصحب ... » الحديث (١٠/٢٥) .

(٥) ذكره المتقى الهندى فى كنز العمال ، وعزاه لابن عساكر عن أنس ، حديث رقم (٢٤٨٤٤) (٩/٤٣) .

الأصحاب صاحب إذا ذكرت الله أعانك وإذا نسيت ذكّرَكَ »[1]. رواه ابن أبى الدنيا عن الحسن .

وينبغى ألا يصحب إلا من يوافقه فى اعتقاده ويحتشمه فى مجالسته .

قال - ﷺ - : « **إنما يعرف الفضل لأهل الفضل أهل الفضل** »[2].

وقال : « **اللهم لا تجعل لفاجر عندى يداً فيحبه قلبى** »[3] بل يصحب من يثق بدينه وأمانته ومذهبه وورعه ويعرف لكل من إخوانه حقه وقدره وينزل منزلته .

قال سفيان بن عيينه[4]: « من جهل أقدار الناس فهو بقدر نفسه أجهل » .

وقال : « لا يستخف بأقدار الرجال إلا من لا قدر له » .

وينبغى أن يُهدى لصاحبه عيوبَه ويدله على ما فيه صلاحه وجماله وكماله وفلاحه .

قال - ﷺ - : « **المؤمن مرآة المؤمن** »[5].

وقال عمر - رضى الله عنه - : « رحم الله امرأً أهدى إلَّى عيوبى » .

وينبغى أن يصحب كل أحد على قدر حاله ومقامه وما يليق به ويناسبه فالصحبة مع المشايخ والكبراء بالاحترام والإعظام والخدمة والتوقير والقيام بحقوقهم وأشغالهم .

والصحبة مع الأقران بالبشر والانبساط والموافقة وترك المخالفة وبذل المجهود والإحسان والكون معهم على حكم الوقت .

حكى أن ابن عطاء مد رجليه بين أصحابه وقال : ترك الأدب بين أهل الأدب

---

(١) ابن أبى الدنيا فى الإخوان ، باب من أمر بصحبته ورغّب فى اعتقاد مودته ، (ص/١٢٣) .

(٢) ذكره المتقى الهندى فى كنز العمال ، وعزاه لابن عساكر ، حديث رقم (٣٧٣٢١) (٥١٤/١٣) .

(٣) قال فيه العراقى على هامش الإحياء : ابن مردويه فى التفسير من رواية كثير بن عطية عن رجل لم يسم ، ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث معاذ وأبو موسى المدينى فى كتاب تضييع العمر والأيام من طريق أهل البيت مرسلاً وأسانيده كلها ضعيفة (٩١٤/٢) .

(٤) سفيان بن عيينة (١٠٧ - ١٩٨ هـ = ٧٢٥ - ٨١٤ م) . هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالى الكوفى ، أبو محمد : محدث الحرم المكى . من الموالى ، ولد بالكوفة ، وسكن مكة وتوفى بها كان حافظا ثقة ، واسع العلم كبير القدر ، قال الشافعى : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ، وكان أعور . وحج سبعين سنة ، له « الجامع » فى الحديث ، وكتاب فى « التفسير » . الأعلام (١٠٥/٣) .

(٥) رواه البزار والطبرانى فى الأوسط وفيه عثمان بن محمد من ولد ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال : ابن القطان الغالب على حديثه الوهم ، وبقية رجاله ثقات ، انظر مجمع الزوائد (٢٦٤/٧) .

أدب .

وقال الجنيد : إذا صحت المودة سقط التكلف وسقطت شروط الآداب .

واستأذن عثمان بن عفان على رسول الله - ﷺ - وعنده أبو بكر وعمر فغطى فخذه وسوى عليه ثيابه وجلس ثم أذن له فسئل عن ذلك فقال : « **ألا أستحي مما تستحى منه الملائكة** »[1].

وينبغى ألّا يداهن أصحابه فيما يخالف اعتقاده فقد قال رويد : « لا يزال القوم بخير ما تنافروا فإذا اصطلحوا هلكوا .

ويخضع للحق ويقابله بالقبول وينصف من نفسه .

والصحبة مع الأصاغر بالشفقة والإرشاد والهداية إلى الصواب والتأديب والدلالة على ما فيه خلاصهم ، لا على ما فيه مرادهم وعلى ما يفيدهم لا على ما يحبونه ويرضونه ، وزجرهم عما لا يعنيهم ألا ترى أنه تعالى ذم الربانيين والأحبار حين تركوا زجر قومهم عن المنكرات .

قال تعالى : ﴿ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السُّحت ﴾ الآية[2].

والصحبة مع الأستاذ باتباع أمره ونهيه وهى فى الحقيقة خدمة لا صحبة .

قيل لأبى منصور المغربى : كم صحبت أبا عثمان ؟ قال : خدمته لا صحبته والقيام بخدمة أستاذه واجب ، والصبر تحت حكمه لازم ، وترك مخالفته ظاهرا وباطنا وقبول قوله والرجوع إليه من جميع المهمات وتعظيم حرمته ومجانبة الإنكار عليه سرا وجهرا - متعين .

قال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾[3] الآية .

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عثمان بن عفان رضى الله عنه ، حديث رقم (٣٦) (١٨٦٦/٤) .

(٢) المائدة : ٦٣ .

(٣) النساء : ٦٥ .

وقال – عليه السلام – : « **الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته** »[1].

وسأل الجنيد بعض أصحابه فأجابه فجعل يعارضه فقال : ﴿ **وإن لم تؤمنوا لى فاعتزلون** ﴾ [الدخان : ٢١] ويكون فى صحبته لشيخه كالصحابة مع النبى وتأديبهم بآداب القرآن .

قال بعضهم « من لم يعظم حرمة من تأدَّب به حُرِمَ بركة الأدب ، ومن قال لأستاذه لِمَ ؟ لا يفلح أبداً .

والصحبة مع الخادم بالتلطف ، والدعاء له وترك الإنكار عليه .

قال أنس بن مالك – رضى الله عنه – : خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لى فى شىء فعلته لِمَ فعلته ؟ ولا فى شىء تركته لِمَ تركته ؟ ويمزح ياذا الأذنين »[2].

والصحبة مع الغرباء بالبشاشة والبشر وطلاقة الوجه وحسن الاستماع ورؤية فضلهم حيث أكرموه وخصوه من بين أقرانه بالنزول عليه ثم بذل المجهود فى إكرامهم وخدمتهم والكون عند مرادهم والصبر على مصالحهم ومهماتهم .

وقد مدح الله تعالى الذين يحبون من هاجر إليهم فقال : ﴿ **والذين آووا ونصروا** ﴾[3] الآية .

والصحبة مع الجهال تجميل الصبر وحسن الخلق والإرادة والاحتمال والنظر إليهم بعين الرحمة ، ورؤية نعمة الله عليه حيث لم يقمه مقامهم ويجعله مثلهم ومعاملتهم بالحلم إن واجهوه بما يكره ولا يجيبهم بأكثر مما أجاب به الأنبياء قومهم حين نسبوهم إلى الضلالة والسفاهة والجهالة بقوله : ﴿ **يا قوم ليس بى ضلالة** ﴾[4] وقوله : ﴿ **يا قوم ليس بى سفاهة** ﴾[5] وقوله : ﴿ **وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** ﴾[6] **وقوله :**

---

(١) أخرجه الديلمى فى الفردوس بلفظة « أهله » بدلاً من « قومه » ، حديث رقم (٣٦٦٦) (٣٧٣/٢) ، وذكره المتقى الهندى فى كنز العمال ، حديث رقم (٤٢٦٣٢) .

(٢) أخرجه الترمذى فى أبواب المناقب ، باب مناقب لأنس بن مالك رضى الله عنه ، وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح (٢٢٣/١٣) ، وأبو داود فى كتاب الأدب ، باب ما جاء فى المزاح ، حديث رقم (٥٠٠٢) (٣٠١/٤) .

(٣) الأنفال : ٧٤ .

(٤) الأعراف : ٦١ .

(٥) الأعراف : ٦٧ .

(٦) الفرقان : ٦٣ .

﴿ **سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين** ﴾[1] ومن كان جهله أقوى كان الحلم عليه أولى قال تعالى : ﴿ **قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله** ﴾[2] وقوله : ﴿ **وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور** ﴾[3].

وشتم رجل الشعبى فأفحش ، فقال له : « إن كنت صادقا فغفر الله لى وإن كنت كاذباً فغفر الله لك » .

وتكره صحبة الأحداث لما فيها من الآفات ومن ابتلى بذلك فعليه التحرز ، وحفظ قلبه ، وجوارحه عنه وحملهم على الأدب وتَجَنُّب الانبساط معهم .

قال بعضهم : رغبة الصغار فى صحبة الكبار توفيق وفتنة . ورغبة الكبار فى صحبة الصغار خذلان ونقمة .

والصحبة مع الإخوان بكل ما يمكن من الموافقة وترك المخالفة إلا فيما لا يجوز شرعاً وتجنب الحقد والحسد والصحبة مع السلطان بالسمع والطاعة إلا فى معصية أو مخالفة سنة فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق قال تعالى : ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** ﴾[4].

ثم الدعاء له والإمساك عما فيه من قدح وعيب .

قيل للحسن[5]: مات الحجاج[6]. فقال : رحم الله امرأ عرف زمانه وحفظ

---

(١) القصص : ٥٥ .

(٢) الجاثية : ١٤ .

(٣) آل عمران : ١٨٦ .

(٤) النساء : ٥٩ .

(٥) يقصد الحسن البصرى المتوفى سنة ١١٠ هـ وليس الحسن بن على وذلك لأن الحسن بن على توفى سنة ٥٠ هـ فى حين أن الحجاج توفى سنة ٩٥ هـ ، والحسن البصرى يسمى الحسن بن يسار البصرى ، أبو سعيد ، تابعى ، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة فى زمنه ، ولد بالمدينة . وله كتاب فى « فضائل مكة » وتوفى بالبصرة ، انظر الأعلام (٢٢٦/٢) .

(٦) الحجاج الثقفى (٤٠ - ٩٥ هـ = ٦٦٠ - ٧١٤ م) . ولد ونشأ فى الطائف ، وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان ، فكان فى عديد شرطته ثم مازال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره ، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير ، فزحف إلى الحجاز بجيش كبير وقتل عبد الله وفرق جموعه فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف ، ثم أضاف إليها العراق والثورة قائمة فيه ، فانصرف إلى بغداد فى ثمانية أو تسعة رجال على النجائب . فمع الثورة وثبتت له الإمارة عشرين سنة وكان سفاكاً سفاحاً باتفاق معظم المؤرخين ، انظر الأعلام (١٦٨/٢) .

لسانه وداری سلطانه .

وسبه رجل بحضرته فقال : مَهْ إن الله ينتقم للحجاج كما ينتقم منه .

وأما الدخول عليهم فمن كان عادلاً أو من السبعة الذين يظلهم الله فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله فالنظر إليه عبادة .

أو ظالما فالبعد عنه لازم إلا لمضطر أو ناصح أو منكر عليه إن علم أنه يسلم منه .

حكى أن بعض الخلفاء أراد زيارة بشر الحافى فبلغه فقال : إن ذكرنى بعد هذا لأخرجن من بغداد فكف عنه ومن شارك السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذُل الآخرة ، وتقرب الأشرار إلى الأخيار صلاح الطائفتين وتقرب الأخيار إلى الأشرار فساد الطائفتين .

ومن اضطر إلى الدخول إليهم دعا لهم بالصلاح وذكرهم ووعظهم وأنكر حسب الطاقة .

ومن المشايخ من تقرب إليهم لقضاء مصالح الناس وقضاء حوائجهم والصحبة مع الكافة كصحبة أبى ضمضم .

روى فى الحديث : « أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم كان إذا أصبح وإذا أمسى يقول : اللهم إنى قد وهبت نفسى وعرضى لك ، اللهم إنى قد تصدقت بعرضى على عبادك فمن شتمنى لا أشتمه ومن ظلمنى لا أظلمه »[1].

وقال شاه ابن شجاع : من نظر إلى الخلق بعينه طالت خصومته معهم ومن نظر إليهم بعين الحق عذرهم فيما هم عليه وقل اشتغاله بهم .

وقال بعضهم : على كل جارحة أدب يختص به .

قال الله – تعالى – : ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً** ﴾[2].

وحسن الأدب مع الله ألا تحرك جارحة من جوارحك فى غير رضاه .

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب الأدب ، باب ما جاء فى الرجل يحل الرجل قد إغتابه ، حديث رقم (٤٨٨٦) ، (٤٨٨٧) (٢٧٢/٤) والديلمى فى الفردوس ، حديث رقم (١٥٩٤) (٣٩٥/١) .

(٢) الإسراء : ٣٦ .

وأدب اللسان أن يكون رطباً بذكره أبداً .

وأدب الإخوان بالإحسان وبـذل النصيحة والدعاء لهم ولا يواجههم بما يكرهون .

روى أن رجلا قال للمصطفى - ﷺ - : « أين أبى ؟ فقال : **فى النار** » فعرف الكراهة فى وجهه فقال : **إن أبى وأباك فى النار** »[1].

وإذا كان فى جماعة تكلم معهم ماداموا يتكلمون فيما يعنيهم فإذا خالفوا السنة تركهم ، « ولا يتناجى اثنان دون الثالث فإن ذلك يحزنه » كما فى الحديث الصحيح[2] ويحسن الإصغاء إلى من يكلمه ولا يقطع عليه حديثه .

وإذا صَحِبْتَ إنسانًا فانظر عقله أكثر مما تنظر دينه فإن دينه له وعقله له ولك .

ولا تصحب من أكثر همه الدنيا والنفس والهوى .

قال تعالى : ﴿ **فأعرض عَنْ مَّنْ تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا** ﴾[3].

وسئل أبو عثمان الخيرى عن الصحبة فقال : توسع على أخيك بمالك ولا تطمع فى ماله وتنصفه من نفسك ، ولا تطلب الإنصاف منه وتكون منعا له ويكون منعا لك .

وقال بعضهم : « ما أوقعنى فى البلاء إلا صحبة من لا أحتشمه » .

ويقال : الجلساء ثلاثة : جليس تستفيد منه فالزمه ، وجليس تفيده فأكرمه وجليس لا تستفيد منه ولا تفيده فاهرب منه .

---

(١) أخرج البزار والطبرانى بنحوه ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى ، كتاب الإيمان ، باب فى أهل الجاهلية (١/١١٧ ، ١١٨) .

(٢) أخرجه البخارى بلفظ : إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث » ، وذلك فى كتاب الاستئذان ، باب لا يتناجى اثنان دون الثالث ، (٤/٩٦) .

(٣) النجم : ٢٩ .

« خاتمة »

قال الاسترآبادى فى مشكاة المصباح فى أذكار المساء وَالصباح قال الرازى : الواجب على الطالب الصادق المبتدىء ألاَّ يصحب أكثر مدعى أهل العصر المشيخة الذين ينتسبون إلى البيوتات ويتمشيخون بالآباء والأجداد فإنهم قطاع الطريق على الصادقين فى الطلب .

قال : ولا تصحب أيضا جماعة يسمون أنفسهم بالملامتية[1] والقدرية[2] والحرورية[3] فإن الغالب على أكثرهم الإباحة والزندقة إلا من شاء الله به خيراً .

وقال بعض المرشدين : لا تصحب البونسية ولا الجاكرية ولا العددية ولا الحرمية ، ولا الرفاعية ، ولا الجيرامية ، ولا البستانية ، ولا البدوية ، ولا الصوفية ولا الحلولية .

قال تعالى : ﴿ **تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يُصلحون** ﴾ [النمل : ٤٨] .

قال الشيخ جبريل الجرماذى : لا تصحب المدعين الذين نصبوا أنفسهم بمعالجة أمراض القلوب وهم مرضى .

كما قيل :

ومن عجب الدنيا طبيب مصفر وأعمش كحال وأعمى منجم

قال : وضابط تمييز أهل الخير منهم : إقامة الشريعة على قانون المتابعة والتأدب بآداب الطريقة على وفق سير المشايخ .

ومن ادعى أنه نال رتبة فى الحقيقة وأن الله ستره عن الشريعة وأنه سقط عنه التكليف وأن الاتسام بمياسم الشريعة رتبه العوام المنحصرين فى مضيق رتبه الاقتداء

---

(١) الملامتية : الذين يُكثرون من لوم النفس بطرق يرفضها الشارع .

(٢) القدرية : فرقة من الفرق الكلامية التى تؤمن بالقدر وتنفى الاختيار فى فعل الإنسان .

(٣) الحرورية : فرقة من الخوارج ، تنسب إلى قرية حروراء ، من أشهر متكلمى هذه الفرقة عبد الله بن ثور أبو فديك ، ونجدة بن عامر .

تقليداً[1]، فاعلم أنه من أهل الإلحاد والزندقة فاحذره ؛ إن صحبته وظلمة أنفاسهم سم قاتل القلوب .

فمن حكاياتهم ما نقله ابن عطاء الله فى اللطائف[2] عن الشاطبى : أن رجلاً قال له الشيخ : أرى عليك أثر نعمة فمن أين أنت ؟ وما قصتك ؟ قال : كنت من أكابر المهدية فورد علينا رجل يدعى أنه من الدالّين على الله فجئته وأنا متطلع إلى الوصول إلى الله فقال : إنك لا تصل إلى هذا الأمر إلا بالخروج عن مالك ، وتطليق نسائك ، وتغيير زيك ففعلت ، فما ازداد قلبى إلا قسوة فضاق صدرى ، وذهب ما كنت فيه من مال وجاه ، ولم أتعوض عنه شيئا فى باطنى فجئت إلى هنا قاصداً الحج ؛ فقال الشيخ : دعوى على غير بصيرة ، قاتلهم الله ! امكث عندنا ، ثم أرسله الشيخ حج ورجع فلما جاء أوان السفر إلى الغرب قال له : اذهب إلى بلدك فإذا وصلتها فالناس يسمعون بك ويخرجون إليك مسرعين ويعرضون عليك الملابس والمراكب فخذ أفضلها وادخل المهدِيّة فما أتاك من الدنيا فاقبله ويعود لك ما كان وتجد زوجاتك طلقت من أزواجهن فراجِعْهن وتنال أكثر مما كنت فيه فإن حصل لك ذلك كله فتح الله عين قلبك فكان كما قال .

وقال السهروردى : كثر المتشبهون واختلفت أحوالهم وتستر بزيهم المتسترون ، وفسدت أعمالهم ، وسبق إلى قلب من لا يعلم أصول سلفهم سوء الظن فكاد لا يسلم من وقيعة فيهم وَطعن ، ظناً منهم أن حاصلهم راجع إلى مجرد رسم وتخصيصهم عائد إلى مطلق اسم .

---

(١) والحق أن أكثر معتقدى هذه الإعتقادات هم من الصوفية (خاصة التصوف الفلسفى) ، فأوثان هذه الجماعات الصوفية يوهمون تابعيهم بأنه من الممكن أن يسقط عنهم التكليف ، سواء كان هذا التكليف صوماً ، أو زكاة إلخ ، إلا أن الديانة الإسلامية لم تستثن أحداً من العبادة إلا فاقدى العقول - مناط التكليف - وصغر السن إلخ ، ولم تُضمن هذه الاستثناءات هؤلاء الدراويش ولا أوثانهم ، فلا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ويقول الله سبحانه وتعالى فى محكم آياته : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، فمثل هذه الإعتقادات ليست من الإسلام فى شىء ، وإنما هى دخيلة عليه من ديانات وضعية وفلسفات وثنية ، أراد معتقدوها حينما دخلوا الإسلام أن يوفقوا بينه وبين معتقداتهم القديمة ، فخلطوا بذلك بين ما هو إلهى وما هو وضعى ، ومن ثم جاءت إعتقاداتهم متناقضة ، خارجة عما ينطق به إسلامنا الحنيف .

(٢) لعله يقصد كتاب ابن عطاء الله السكندرى ، لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس وشيخه أبى الحسن ، انظر ترجمة له فى كشف الظنون (١٥٥٤/٢) .

وقال الشاطبى : الشيخ الذى يتصدى للمشيخة وينتصب للقدوة لابد له من وظائف ولوازم : منها : أن يكون عالماً بأصول علم الشريعة والطريقة وفروعهما ومالا يستغنى المقتدى به عنه كل وقت ؛ لأنه بين أمرين : إذا سأله المريد عن شىء من ذلك ، إما أن يقول : لا أدرى ، أو يجيبه ، فإن قال : لا أدرى ضيعه وضيع زمنه ، وإن أجابه بغير علم عرض نفسه لمقت الله وعقوبته .

ومنها : أن يكون ثقة فى قوله ، مأموناً فى دينه إذا عزم على أداء العبادة الواجبة والمندوبة وإيقاعها أول الوقت .

ومنها : أن يكون له تحزن وشدة فى الورع ومالا بُدّ لَهُ من الغذاء الذى به قوام نفسه ليستعين به على صفاء باطنه من الكدورات التى يصدأ القلب بها فتحول بينه وبين الكشف .

ومنها : أن يكون ذا مجاهدة ورياضة ، قد هذّب نفسه وخلصها من كل خلق دنىء ، وحلّاها بكل خلق سَنِىٍّ .

ومنها : أن يكون ذا صبر على خلق المبتدئين واحتمال أذاهم حتى يتأسوا به ويرتاضوا برياضته .

ومنها : أن يكون ذا وقار وسمت وصمت ؛ فإن ذلك يزيد عند أتباعه فى خدمته ويحصل لهم الفائدة بكلامه ورويته .

ومنها : أن يكون ذا سيرة لطيفة وهمة شريفة يظهر منه ذلك على أتباعه ويجدون بركته فى جميع حالاتهم ويرون نفعه على القرب منه والبعد عنه .

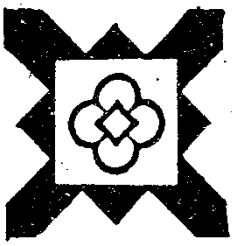

« المقصد التاسع »
فى تربية الأولاد وآداب ذلك الشرعية والحكمية

« وفيه بابان »

« **الأول** » فى الشرعية وذلك أمور :

منها : أنه يسن تسمية المولود – ولو سقطاً نفخ فيه الروح – يوم السابع[1] وتحسين اسمه أفضلها عبد الله وعبد الرحمن[2]. ويكره قبيحها كحرب ومُرة ، وما يتطير بنفيه كنجيح ، وأفلح ويسار ورباح وبركة ومبارك[3] فإنه قد يقال بركة مثلا هنا فيقال : « لا » ويكره أيضا ما فيه تزكية للنفس كزين الدين وجمال الدين وسيد الناس أو العرب أو العجم أو سَيّد العلماء أو القضاء ونحو ذلك أشد كراهة .

ولا تكره التسمية بأسماء الملائكة ويحرم بملك الملوك وشاهٍ شاه فإنها أبغض الأسماء إلى الله كما فى الحديث[4].

ومنها العقيقة فيندب للأصل الموسر أن يعق عنه . ووقتُها من تمام الولادة إلى البلوغ وفى السابع أفضل وفى صدر النهار أولى ويجزى فيها ما يجزى أصحابه[5].

---

(١) أخرج الترمذى أن النبى ﷺ أمر بتسمية المولود يوم سابعه ووضع الأذى عنه والعقّ ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، وذلك فى كتاب الأدب ، باب ما جاء فى تعجيل اسم المولود (٢٧٤/١٠) .

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب الآداب ، باب النهى عن التكنى بأبى القاسم ، وبيان ما يستحب من الأسماء ، حديث رقم (٢) (١٦٨٢/٣) ، والترمذى فى كتاب الأدب ، وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، باب ما جاء ما يستحب من الأسماء (٢٧٥/١٠) .

(٣) أخرج الترمذى أن رسول الله ﷺ قال : لا تسم غلامك رباح ولا أفلح ولا يسار ولا نجيح يقال أثَمَّ هو ؟ فيقال : لا » وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وذلك فى كتاب الأدب باب ما يكره من الأسماء ، (٢٧٧/١٠) .

(٤) أخرج الترمذى نحوه (٢٢٨/١٠ ، ٢٢٩) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٥) سبق حديث بهذا المعنى .

وفى السنّة أن يعق عن الذكر بشاتين ويجزى واحدة ، عن الأنثى بشاة[1] وأن يقول الذابح : باسم الله ، والله أكبر . اللهم لك وإليك عقيقة فلان[2]، ويعطى رجلَها للقابلة . ولا بأس بالدعاء إليها .

ومنها أنه يسن حلق رأسه يوم السابع بعد ذبح عقيقته والتصدق بزنة شعره ذهباً[3] فإن عسر فبعضه ويكره لطخ رأسه بدمها لا بزعفران أو خَلُوف . ومنها : أنه يسن حين ولادته الأذان فى أذنه اليمنى[4] والإقامة فى اليسرى وقراءة ﴿ **إنى أُعيذها بك وذُريتها من الشيطان الرجيم** ﴾[5] فى أذنه ، وتحنيكه بتمر ثم بحلاوة ويكون التحنيك من صالح رجل وإلا فامرأة .

ومنها أن على وليه إذا أمر أن يعلمه ما يضطر إلى معرفته من الأمور الضرورية التى يكفر جاحدها ، ويشترك فيها الخاص والعام فتبين له النبوة والرسالة وأن محمداً رسول الله إلى الناس بعث بمكة ودفن بالمدينة ، وتبين له من أوصافه ما يميزه ويعلمه الفروض العينية ويأمره بالصلاة لسبع ، ويضربه عليها لعشر ويعلمه الأدب والسباحة إلى العوم والكتابة والرماية[6] ولا يطعمه إلا حلالاً ويزوجه إذا بلغ .

قال - ﷺ - : « **حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية ولا يرزقه إلا طيباً** » رواه الحكيم الترمذى[7].

وقال - ﷺ - : « **حق الولد على والده أن يُحسن اسمه ويزوجه إذا بلغ وتعليمه الكتابة** »[8] رواه أبو نعيم والخطيب وغيرهما .

---

(١) أخرج الدارمى فى كتاب الأضاحى أن رسول الله ﷺ قال : فى العقيقة تحت الغلام شاتان متكافيتان وعن الجارية شاة » ، باب السنة فى العقيقة ، (٢/٨١) .

(٢) ذكر الهيثمى نحوه فى مجمع الزوائد (٤/٢٢) .

(٣) أخرج مالك فى الموطأ أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ وزنت شعر حسن وحسين أو زينب وأم كلثوم ، فتصدقت بزنة ذلك فضة ، وذلك فى كتاب العقيقة ، باب ما جاء فى العقيقة (ص/٥٠١) (٢ ، ٣) .

(٤) أخرج الترمذى فى الأضحية ، أن رسول الله ﷺ أذّن فى أُذن الحسن بن على حيث ولدته فاطمة بالصلاة ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، باب الأذان فى أُذن المولود (٦/٣١٤ ، ٣١٥) .

(٥) آل عمران : ٣٦ .

(٦) وفى هذا قال عمر رضى الله عنه : علموا أولادكم السباحة والرمى والفروسية .

(٧) أخرجه فى نوادر الأصول عن أبى رافع (ص/٢٣٩) .

(٨) أبو نعيم فى الحلية مختصراً (١/١٨٤) ، وذكره المتقى الهندى فى كنز العمال ، حديث رقم (٤٥١٩١) (١٦/٤١٧) .

« الباب الثانى »
« فى الآداب الحكمية »

اعلم أن أول ما يظهر فى المولود القوة التى يساق بها إلى الغذاء الذى هو سبب حياته فيتحول الطبع إلى اللبن ويطلبه من الثدى الذى هو معدته من غير تعليم فسبحان الحكيم ! ويحدث له مع ذلك قوة على التماسه بالبكاء والضرب الذى هو دليله على طلب اللبن والغذاء ، ثم تقوى فيه هذه القوة وتتشوق بها إلى الازدياد والتصرف فى أنواع الشهوات ، ثم تحدث فيه قوة على التحرك نحوها بالآلات التى تخلق له ، ثم يحدث له الشوق إلى الأفعال التى تحصل له هذه ؛ ثم يحدث له من الحواس قوة على التخيل ويرتسم فى قوته الخيالية مثالات فيتشوق إليها ؛ ثم يظهر فيه قوة الغضب التى يساق بها إلى دفع ما يؤذيه ومداومة ما يمنعه من أعراضه فإن أطاق أن ينتقم من مؤذياته فعل وإلا التمس معاوناً ومناصراً واستغاث بأبويه بالتصويت والبكاء ثم يحدث له الشوق إلى تمييز الأفعال الإنسانية أولا فأول حتى يصير إلى كما له فى هذا التمييز فيسمى حينئذ عاجلا .

وهذه القوى كثيرة وبعضها ضرورية فى وجود الأخرى إلى أن ينتهى إلى الغاية الأخيرة وهى التى لا تراد لغاية أخرى وهو الخير المطلق الذى يتشوقه الإنسان من حيث هو إنسان فأول ما يحدث فيه من هذه القوة : الحياء وهو الخوف من ظهور شىء قبيح منه ؛ ولذلك كان أول ما يُتفرس من الصبى ويستدل به على عقله الحياء فإنه يدل على أنه أحَسَّ بالقبح ومع إحساسه به يحذره ويخاف أن يظهر منه أو فيه فإذا وجدت الصبى مُسْتَحِياً ناظراً بطرفه إلى الأرض غير وقح الوجه ولا محدقا إليك دل على نجابته وشهد ذلك بأنه أحسَّ بالقبيح والحسن وأن حياءه وانحصار نفسه خوفا من قبيح يظهر منه وهذه النفس مستعدة للتأديب ، صالحة للعناية فلا ينبغى أن تُهمل . ولا يَهِن من مخالطة الأضداد المفسدين بالمقارنة والمخالطة من كان بهذا الحال من الاستعداد لقبول الفضيلة فإن نفس الصبى سارحة بعد . لم يتنفس بصورة ، ولا رأى لها ولا عزيمة بميلها إلى شىء فإذا نقش بصورة وقبلها فنشأ عليها فيعودها فهذه النفس ينبغى أن تنبه على حب الكرامة وأحكام الدين ووظائفه ثم يمدح الخير والأجياد عنده ويؤاخذ باشتهائه المأكل والمشرب والملبس الفاخر ، ويُمْدَح عنده مخالفة النفس والترفع عن الحرص فى

النظر إلى ألوانه ، ولا يحدق إليه شديداً ، ويقتصر على ما يليه ، ولا يسرع فى الأكل ولا يوالى بين اللقم ، ولا يعظم اللقمة ، ولا يلطخ يده ولا ثوبه ، ولا يتبع نظره مواقع المأكل خاصة لا فى اللذات عامة ويُحَبَّب إليه إيثار غيره على نفسه فى الغذاء ، والاقتصار على الشيء المعتدل ، والاقتصاد فى طلبها ويعلم أن أولى الناس بالملابس الملونة والمنقوشة النساء اللاتى يَتَزَيَّنَّ للرجال ثم العبيد والخَوَل(*)، وأن الأولى بأهل الشرف من اللباس البياض ونحوه فإذا تمرن على ذلك وسمعه ممن يربيه ويتكرر عليه ، لم يترك مخالطته من يسمع منه ضد ذلك سيما من أنداده ومن هو فى سنه ممن يعاشره ويلاعبه .

وذلك أن الصبى فى ابتداء عمره يكون غلابا على قبيح الأفعال الكل أو الجل فإنه يكون كذوباً ويخبر بما لم يسمعه حسوداً شريراً نئوما فخورا ويحب أضر شيء بنفسه ثم لا يزال به التأديب والتربية والتجارب حتى ينتقل فى أحوال بعد أحوال .

فلذلك ينبغى أن يؤخذ بما ذكر ثم يطالب بحفظ محاسن الأخبار والأشعار التى تعوده الأدب حتى يتأكد ويرسخ عنده حفظها والتذاكر بها وتجنب الأشعار السخيفة وما فيها ذكر العشق وأهله وأخبارهم ؛ فإن ذلك مفسد للأطفال جدا .

ثم يمدح بكل ما يظهر منه من خلق حسن وفعل جميل ويكرم عليه فإن خالف فى بعض الأحيان ما ذكر يوبخ ولا يكاشف إن أقدم على قبيح ؛ بل يتغافل عنه تغافل من لا يخطر بباله ، لئلا يتجاسر على مثله سيما إن أسرّه الطفل وأخفاه فإن عاد وبخ سِرّاً ؛ ويعظم عنده قبح فعله ويحذر من معاودته فإن عاود التوبيخ والمكاشفة حمله ذلك على الوقاحة ، وحرص على المعاودة ، وهان عليه سماع اللوم فى ركوب قبائح اللذات التى تدعوه إليها نفسه ، وهذه اللذات كثيرة : فالذى يبدأ به فى تقويمها لذة المطعم فيفهم أولا أنها إنما تراد للصحة لا للذة ولحياتنا فهى تجرى مجرى الأدوية يداوى بها الجوع والألم الحادث منه فكما أن الدواء لا يراد به اللذة ولا يستكثر منه للشهوة فكذا الأطعمة لا ينبغى أن يتناول منها إلا ما يحقق الصحة ، ويدفع ألم الجوع ، ويحبس عنده قدر الطعام الذى يأكله أهل الشره ، ويقبح له صورة من شره إليه أو نال منه فوق حاجة بدنه أو ما لا يوافقه - نى يقتصر على لون واحد .

ولا يرغب فى الألوان ا كثيرة ، وإذا قعد مع غيره لا يبادر إلى الطعام ، ولا يديم

---

* الخول : الخدم .

الطعام ، ويعَوّد أن يؤثر غيره بما يليه إن كان أفضل عنده ، ثم يضبط شهوته حتى يقتصر على أدنى الطعام وأدونه ويأكل الخبز أحيانا .

وهذه الآداب وإن كانت جميلة بالفقراء فهى بالأغنياء أجمل .

وينبغى أن يستوفى ويمنع اللحم فى أكثر الأوقات فإن ذلك أنفع فى الحركة وقلة البلادة ، وأبعث على النشاط والخفة والحفظ ، ويمنع من الحلوى والفاكهة مطلقاً أَلْبَتّةَ إن أمكن وإلا تناول أقل ممكن فإنه يستحيل[1] فى بدنه فيكثر انحلاله .

وأما الخمر فإياه فإنه يضر بدنه ونفسه ويحمله على الغضب والتهور والإقدام على القبائح : والفجور وجميع الخلال المذمومة .

وعليه تجنب مجالس الشرب[2]، ولا يأكل مع القوم حتى ينزع من وظائف الأدب التى يتعلمها ، ويتعب كثيرا ، ويُمْنَع من كل فعل يستره ويخفيه فإنه لا يخفى إلا ما يظن قبحه .

ويمنع من كثرة النوم فإنه يغلظ ذهنه ، ويميت خاطره هذا ليلا .

أما النهار فيمنع منه أَلْبتة ، ويمنع من الفراش الوطىء وجميع أنواع الترفّه حتى يصلبَ بدنه ويتعود الخشونة .

ولا يعود الحبس والسّرداب فى الصيف ، والأوبار والنار فى الشتاء .

ويعود المشى والحركة والركوب والرياضة لئلا يألف أضدادها .

ويعود ألا تنكشف أطرافه ، ولا يسرع فى مشيه ولا يُرخى يديه بل يضمها إلى صدره ولا يرخى شعره ، ولا يتزين بملابس النساء[3] ولا يلبس الحرير كلما

---

(١) يستحيل : ويتحول ويصير .

(٢) يقول الله سبحانه وتعالى فى قرآنه العظيم ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ ويقول أيضا ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ فحرى بالإنسان المسلم أن يتجنب مثل هذه المجالس لما يتناول فيها من محرمات من مسكرات وغيرها ، فلقد كرم الله الإنسان بالعقل ولما كانت هذه المسكرات تلغى العقل الإنسانى وتنزل به إلى مرتبة البهيمية حرمها الله على الإنسان ، فضلاً عن أضرارها العضوية والتى اكتشفها العلم فى العصر الحديث .

(٣) سبق تخريج الحديث الذى ينهى عن تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال .

[أراد][1] إلا وقت حاجته إليه . ولا يفتخر على أقرانه بشيء أو مأكل أو ملبس ويتواضع ويكرم من عاشره .

ويعود ألَّا يبزق تحت ذقنه ، ولا يغمد رأسه بيده فإنه دليل على الكسل .

ويعود ألَّا يحلف ألبتة ولو صادقا ؛ فإنه قبيح بالرجل مع الحاجة إليه أحيانا فالطفل لا حاجة به إليه .

ويعود الصمت وقلة الكلام وألا يتكلم إلا جواباً وإذا حضر أكبر منه اشتغل بالسماع منه والصمت له ويمنع من خبيث الكلام واللغو[2].

ويعوَّد حسن الكلام وطريفه وجميل اللقاء . وكرمه ، ولا يرخص له أن يسمع أضدادها .

ويعوَّد خدمة معلمه ومن هو أكبر منه . وأحوج الصبيان إلى هذا الأدب أولاد الأغنياء والمترفين .

وإذا ضربه المعلم لا يصرخ ولا يستشفع ؛ فإنه فعل المماليك ومن هو خوّار ضعيف .

ويعود أن يميز الصبيان ويلاينهم ، ويكافئهم على الجميل بأكثر لئلا يتعود الربح على الإخوان ويبغض إليه الفضة والذهب ويحذر منهما فإن آفة حبهما أعظم من آفة السموم ويؤذن له أحيانا أن يلعب لعبا جميلا ليستريح إليه من تعب الأدب ، ولا يكون فى لعبه ألم ولا تعب شديد ويعلم طاعة أبويه ومعلميه ومربيه وأن ينظر إليهم بعين التعظيم فإن هذه الآداب نافعة لهم جدا ؛ لأنه يعودهم محبة الفضائل وينشئون عليها فلا يثقل عليهم تجنب الرذائل ، ويسهل عليهم ما ترسمه الحكمة والشريعة ، ويعتادون ضبط النفس عما يدعوهم إليه من اللذات القبيحة ، ويكفهم عن الانهماك فى الشهوات ، ويشوقهم إلى زينة العلوم وترقيهم إلى معالى الأمور من التقرب إلى الله وتعظيم ملائكته وأنبيائه ومجاورتهم مع حسن الحال فى دنيا وطيب العيش وجميل الأحدوثة[1] وقلة الأعداء

---

(١) سقط بالأصل لعله ما أصلحناه .

(٢) يقول الله سبحانه وتعالى عن صفات المؤمنين « والذين هم عن اللغو معرضون » واللغو هو – كما قال ابن كثير فى تفسيره – ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال .

(٣) الأحدوثة : ما يتحدث به ، ويقال : صار فلان أحدوثة : كثر فيه الحديث .

وكثرة المداح والراغبين فى مودة الفضلاء خاصة فإذا تجاوز هذه الدرجة وبلغ إلى أن فهم أغراض الناس وعواقب الأمور فَهِمَ أن الغرض الأخير من هذه الأشياء التى يقصدها الناس ويحرصون عليها من الثروة واقتناء الضياع والعبيد والخيل والفرش ونحوها إنما هو ترقية للبدن وحفظ صحته وأن يبقى على إعتداله مدة وإلا وقع فى الأمراض ولابد أن يفاجئه الموت فينبغى أن يستعد لدار البقاء السرمدية والحياة الأبدية وأن اللذات البدنية كلها بالحقيقة خلاص من الآلام وراحات من تعب . فإذا عرف ذلك ثم تعود بالسيرة الدائمة عود بالرياضيات المحركة للحرارة الغريزية ، ويحفظ الصحة ويبقى الكسل وتطرد البلادة وسعة النشاط وتزكى النفس فمن كان مولاً مترفاً كانت هذه الأشياء أصعب عليه لكثرة من يحيف عليه[1] ويعوقه ولمواقعة طبيعة الإنسان فى أول ما ينشأ هذه اللذات وإجماع جمهور الناس على نيل ما أمكنهم منها بغاية الجهد .

وأما الفقراء فالأمر عليهم أسهل بل هم قريبون من الفضائل ممكنون من نيلها والإصابة منها وحال المتوسط متوسط بين هاتين الحالتين[2].

وقد كان ملوك الفرس الفضلاء لا يربون أولادهم بين خواصهم وحشمهم خوفا عليهم من ذلك وكانوا يتقدمونهم مع الثقات إلى النواحى البعيدة ومن سماع ما حدث منه وكان يتولى تربيتهم أهل الجفاء وخشونة العيش ومن لا يعرف الترفه وحيث علمت هذه الطرق المحمودة فى تربية الأولاد فقد علم أضدادها أعنى من مشى على خلاف هذا المذهب والتأديب لم يرجُ خلاصه .

ولا ينبغى الاشتغال بصلاحه وتقويمه فإنه صار بمنزلة الخنزير الوحشى الذى لا يطيع رياضته فإن نفسه العاقلة تصير خادمة لنفسه البهيمية والغضبية فهى منهمكة فى مطالبها من التردّيات وكما لا سبيل إلى رياضة سباع البهائم الوحشية التى لا تقبل التأديب فلاسبيل إلى رياضة من نشأ على هذه الرياضة واعتادها وأمعن قليلا فى السن اللهم إلا أن يكون فى جميع أحواله عالما يخفى سيرته ذاما لها جانيا على نفسه عازما على الإقلاع

---

(١) حاف عليه - حيفاً : جار وظلم .

(٢) الحق أن افتراضه الفقر والغنى كمعيار للقرب وللبعد عن الفضائل أمر فى حاجة إلى نظر ، فليس ثمة ارتباط منطقى بين أن يكون المرء فقيراً وأن يكون فاضلاً ، فليس هناك ما يمنع من أن يكون المرء فقيراً وسافلاً فى آن واحد ، وهكذا بالنسبة للغنى ، فمن الممكن أن يؤدى المال ، والرزق الكثير بالإنسان إلى شكر النعمة ومن ثم الفضائل ، فليس محتماً أن يؤدى الغنى إلى الرذائل .

والإنابة فمثل هذا قد يرجى له النزوع عن أخلاقه بالتدريج والرجوع إلى الطريقة المثلى بالتسوية ومصاحبة الأخيار وأهل الحكمة والإكباب على العلوم والاستعانة بالحى القيوم .

« المقصد العاشر »
« فى جمع جوامع الآداب »

وإن كان فيه تكرار مع ما تقدم لكن هذا على غاية الإيجاز وذلك على الاستيعاب : اعلم أن الأدب مستحسن شرعاً وعقلا قال الله تعالى : ﴿ **إن الله يحب المحسنين** ﴾[1] فأدب النفس خير من أدب الدرس ومن لم يتأدب مع الخَلْق لم يتأدب مع الحق .

ويقال : لما هو أولى شرعاً وعقلاً أدب . وللواجب قليلاً ، وللمباح أقل ، فإن كان من الأعلى للأدنى فالرئاسة والسياسة ،أو بالعكس فالآداب والخدمات أو المساواة فالاختلاف . وبينها مراتب متفاوتة بحسب الحال والزمان فحق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً .

وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به .

والنبى مع الأمة أن يدعوهم إلى الدين بلطف وكلام لين قال – تعالى – : ﴿ **فقولا له قولاً لينا** ﴾[2].

وأدب الأمة أن يوافقوه ولا يخالفوه .

والإمام والسلطان مع الرعية الشفقة تعظيما لأمر الله ؛ إذ الشفقة على الخلق تعظيم للحق والصالحين لما روى عنه على – كر الله وجهه – : نظرت فى الكتب الأربعة فاخترت من القرآن : ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾[3] **ومن التوارة** : « **من صمت نجا** » **ومن الإنجيل** : « **من قنع شبع** » **ومن الزبور** : « **من ترك الشهوات أَمِنَ من الآفات** » .

وما روى عن ابن عباس : التقرب إلى الله بقلة الكلام والطعام والمنام والاهتمام والتوكل بتفويض الأمور إلى الله مع طلب غير متعب من غير رفع الوسائط من البين .

---

(١) البقرة : ١٩٥ .
(٢) طه : ٤٤ .
(٣) الطلاق : ٦٥ .

قال المصطفى - ﷺ - : « **اعقلها وتوكل** »[1] وسنة الله ألا يعطى الولد إلا من نطفة والبر إلا من زراعه فإن أصابك شيء فلا تقل : لو أنى فعلت كذا . ولكن قل : قدَّر الله ، وما شاء فعل فإن « لو » تفتح عمل **الشيطان** »[2].

وعلى الأستاذ أن يرشد البليد بطريق حسن ، وكلام لين ، والتلميذ ألا يخاطبه بما يؤذيه ويدعوه عند درسه ولا يقول فى مقابلته قوله : قال فلان بخلاف ما قلت ؛ وإن كان مما لابد ، قاله على وجه حسن ولا يسأله وقت الملالة ، ولا يخالفه فى أمر مباح ، ويدعوه بأحسن الأسماء والألقاب ، ويخفض له جناح الذل ، والأصل أن يعلمه من العلم والتجارة والصنائع المباحة بعد تعلمه ما يحتاج إليه لأمر دينه وأفضل الحرف : العلم ، فالجهاد ، فالتجارة ، فالحداثة ، وقد يكون فرضا وهو الكسب بقدر الكفاية ، وندباً وهو الزائد على ذلك ؛ ليواسى به الفقراء ويجازى به الأقرباء ، ومباحاً وهو الزيادة للتجمل ومكروهاً وهو ما للتفاخر والفرع أن يطيعه فيما يأمره ، ولا يؤُفّ ، ولا يرفع صوته عليه كما على الأستاذ قال تعالى : ﴿ **فلا تقل لهما أُف** ﴾ الآية[3].

والآباء ثلاثة : أب ولدك ، وأبُ روحِك ، وأبُ عِلمك وخير الآباء من علّمك ؛ فيجب على الأب أولاً أن يعلّم ولده ما يجب عليه شرعاً ، ثم الأمثل فالأمثل فيحفظه القرآن والأحاديث وأقله أربعون حديثاً ، والتلقين والأدعية المأثورة المحتاج إليها لخطبة نكاح وجمعة وعيد وكسوف واستسقاء وغير ذلك .

ثم ما يحتاج إليه من الصنائع كما مر .

ويجب على الشيخ أن يأمر مريده بالذكر بلسانه وحضور جنانه كأنه يرى الحق أو يراه الحق ، والطهارة والنظافة وعدم النوم إلا عن غلبة ، وقلة الطعام وإيثار الخلوة والعزلة[4] وعلى المريد الموافقة واحتمال الضيم ، والخدمة والبعد عن أبناء الدنيا بالنفس

---

(١) أخرجه الترمذى من حديث له بقية ، وقال : هذا حديث غريب من حديث أنس لا نعرفه إلا من هذا الوجه (٩/٣٢٠) .

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب القدر ، باب فى الأمر بالقوة وترك العجز ... ، حديث رقم (٣٤) (٤/٢٠٥٢) ، وابن ماجه فى المقدمة ، باب فى القدر (١/٣١) (٧٩) .

(٣) الإسراء : ٢٣ .

(٤) الحق أن الديانة الإسلامية ديانة اجتماعية ، والتشريع الإسلامى تشريع اجتماعى ، « والمؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى » والبخارى (٤/٥٣) ، =

ثم بالقلب وعدم إعتبار الدنيا ، ورؤية قدرها لأن حبها رأس كل خطيئة وعدم سفره قبل أوانه وإن سافر فبإذنه والخروج من العلائق كالمال والجاه فإنهما أعظم عائق .

وعلى الإخوة المساهلة والإرشاد وقطع الطمع من ماله وجاهه .

وعلى المستفتَى الخشوع وقطع الطمع ولين الكلام ، والمستفتِى الخشوع والكلام الطيب وتعظيم قدره .

وعلى الواعظ جمع أطرافه وذكر التفسير والحديث سيما ما اشتمل على الخوف والرجاء وترك الطمع والالتفات لما فى يد الناس .

وعلى المناظر تقديم الإشارة العقلية لتقدير الأقوال وتحرير المباحث لإظهار الصواب .

وعلى المتصدق أن يخفى صدقته[1] ولا يرفع يده على يد السائل ولو صافح ووضعه فى يده كان أحسن ، ولا يرى لما يتصدق به قدراً بالنظر إلى من يتقرب إليه .

وعلى السائل أن يكون سؤاله عند الحاجة لا فى مسجد وإن لم يتخط الرقاب .

وعلى المُضيف أن يُحْضِرَ للضيف ما حضر ، ولا يتكلف . وهى ثلاثة أيام مع يومى الدخول والخروج ، وبعده صدقة ، ويجب ترك الضيافة بالحرام وعلى الضيف أنه لا يدخل ما لم يُدْعَ وإلا دخل مغيراً وخرج سارقاً .

وعلى القارئ أن يكون جالساً مفترشاً ، ويكره قائما ونائما والدعاء فى السجود أسرع إجابة .

وعلى طالب حاجةٍ التَّوكُّل والطلبُ على الوجه الأحسن ، ويرى أن قضاءها من

= فليس للعزلة والخلوة إيثار على الاجتماع فى الديانة الإسلامية ، وما تدعو إليه الفرق الصوفية من إيثار للخلوة والعزلة هو ضرب من ضروب الرهبانية والدروشة ، ولا رهبانية فى الإسلام ، وكما قلنا من قبل ، إن هذه المبادىء دخيلة على الديانة الإسلامية ، ومن يدعو إليها فإنما يدعو إلى غير الإسلام ، وليس معنى ذلك أننا نمقت أية عزلة ، فربما يتهجد المسلم لربه ليلاً فى عزلة كما كان يفعل الصحابة رضوان الله عليهم ، وإنما العزلة التى نمقتها هى التى تنأى بنا عن واقعية وإجتماعية الديانة الإسلامية .

(١) وفى الإنفاق عد رسول الله ﷺ المتصدق فى خفية من الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله فقال : « سبعة يُظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ... رجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه .. » الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الأذان ، باب من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد (١٢١/١) .

الله ؛ ومن يطلب منه وسيلة[1] ويدعو عند الجوع المترتب عن أكل حلال ويكثر من قوله تعالى : ﴿ **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾[2].

وقول المصطفى - ﷺ - : « **لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد فى العمر إلا الصلاة وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه** »[3].

وسر الأدعية كثير ، وتأخر الإجابة لأمور بينتها فى شرح منظومة .

ويسن للآكل أن يسَمِّىَ الله تعالى أوله فإن نسى فحيث تذكر ، والحمد آخره وغسل اليدين قبله وبعده وألا يأكل من وسط الطعام وأن يصغر اللقمة ولا يتناول أخرى إلا بعد بلع ما قبلها ، ولا ينظر إلى لقمة أحد ويكره مسح الأصابع ، وقطع خبز بسكين ، ووضع مملحة على خبز كالعمامة على كتب لا لحفظه عن الغبار ، وعلى المصحف الشريف والحديث أشد .

ولا يكره وضع خبز أزيد من الحاجة على المائدة ويبدأ بالمأكول والمشروب لمن فى صدر المجلس ثم من عن يمينه .

وقال الشافعي من فرائض الأكل والشرب : أن يكون حلالاً وليُرى الرازق أنه واجد ، ويكون الأكل فرضا يدفع به الحلال ، ومباحا فوق الشبع **وقيل** : حرام ولا يجوز تقليله بحيث يضعف عن أداء العبادة .

ومن امتنع عن ميتة أو صام ولم يأكل حتى مات أثم .

ومن امتنع عن قتل آدمى حتى مات أثيب ولم يأثم .

والشرب أن يشرب قدر حاجته بغير تضلع[4]. ثلاث دفعات ويكره قائما وشرب الساق آخراً .

ومن اشتد جوعه وعجز عن طلب القوت فالواجب على كل مسلم عَلِم به أن

---

(١) أى : سبب أجرى الله على يديه الخير ، والمعطى فى الحقيقة هو الله تعالى .

(٢) التوبة : ٥١ .

(٣) أخرج الحاكم فى مستدركه بنحوه وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى (٤٩٣/١) ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير ، حديث رقم (٧٥٦٤) (٢٣٠/٦) .

(٤) تضلّع : امتلأ يقال : تضلّع : أى امتلأ شبعا وريّا .

يُطعمه أو يَدُلّه على من يُطعمه وإن قدر على كسب اكتسب فإن عجز سأل وإن ترك حتى مات أثِم .

ولا يأكل فى جوف المُنْخُل ولا على ظهرِ طَبق مَقْلوبٍ ، ولا على عتبة باب ، ولا يجلس عليها .

والهدية أن تكون من حلال غير مسبوقة بطلب ، ومنع حق ، بل تكون للمواصلة .

ويكره قبول هدية الأمراء[1].

ومن يريد لبس ثوب يسمى ويحمد ويدعو بالمأثور ولا يُطَوّله بحيث يقع على الأرض . بل الرجل يجعله فوق الكعب والمرأة بحيث يغطى ظهرِ قدمها .

ويسن أن يلبس يوم الجمعة أحسن ثيابه ، والبِذْلة[2] فى بقية أيامه وأن يلبس الخاتم فى خنصر يده جاعلاً فصّه مما يلى باطن كفه والعمل على خلافه . وحَلّ من وَرِقٍ لا ذهب للرجل .

ويسن لداخل المسجد أن يقول : « اللهم افتح لى أبواب رحمتك »[3] الحديث ولا يضع نعله الطاهر عن يمينه بل يجعله بين رجليه .

وإذا خرج دعا بالمأثور ، ونهى عن إنشاد الشعر وإقامة الحد . ودخول المسجد بخف به طينُ شارعٍ معفو عنه .

ويسن لداخل السوق أن يقول « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر اللهم إنى أسألك خير هذا الموضع وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه »[4].

---

(١) أخرج الترمذى حديثاً فى هدايا الأمراء عن معاذ بن جبل قال بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن فلما سرت أرسل فى أثرى فرددت فقال : لم بعثت إليك لا تصيبن شيئاً بغير إذنى فإنه غلول ومن يغلل يأت بماغل يوم القيامة ، لهذا دعوتك فامض لعملك ، وقال : حديث معاذ حديث غريب (٦/٧٩ ، ٨٠) وأخرج أحمد فى المسند عن الرسول ﷺ أنه قال : هدايا العمال غلول (٥/٤٢٤) .

(٢) البِذلة من الثياب ما يلبس فى المهنة والعمل ولا يصان والوَرِق : الفضة .

(٣) رواه أبو يعلى وفيه صالح بن موسى وهو متروك الحديث ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى ، كتاب الصلاة ، باب ما يقول إذا دخل المسجد وإذا خرج منه ، (٢/٣٢) .

(٤) ذكره المتقى الهندى فى كنز العمال ، حديث رقم (١٨٤٥٦) (٧/١٤٩) .

ولمن يشترى رقيقا : اللهم إنى أسألك خيره وخير ما جبلته عليه وأعوذ بك من شره ومن شر ما جبلته عليه » .

ويسن لمن دخل المجلس أن يقول : افسحوا يفسح الله لكم(*) ولا يقيم أحدا ليجلس محله ، ومن قام من محل وعاد فهو أحق به(١).

قال المصطفى - ﷺ - : « **المجالس بالأمانة** »(٢) وكره مجالسة الشعراء وكره للداخل أن يطمع فى قيام القوم لقوله « **من سره أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار** »(٣). وعَمَلُ الناس على خلافه ؛ لأن عدم القيام فى هذا الزمان يورث عداوة وفتنة .

وقد ورد النص ودل العقل على دفعه والتحريض على محافظة القلوب وأن يقول عند الصباح أصبحنا وأصبح الملك لله والمساء أمسينا وأمسى الملك لله »(٤) وعند النوم الذكر المأثور وكذا عند الانتباه .

ويسن أن ينام على اليمين ؛ لأنه نوم المؤمنين ثم اليسار لأنه نوم الأطباء ، أما نوم المنبطح فهو نوم الشياطين والمستلقى نوم الأنبياء منتظرين الوحى ولا ينام ذكر مع ذكر ولا أنثى مع أنثى بغير حائل وعلى من رأى مناما أن يقول للمَعبّر العالم القولَ الصدقَ وعليه أن يعبره له أولا بخير .

وأصدق الرؤيا أن يكون النائم طاهرا غير جائع ولا شبعان ، وقرب الصبح .

وعلى مريد الزيارة أن يكون متطهراً متأدباً معه كما مع الحى ولا يمر يده ولا بدنه على القبر والأولى أن يسلم ويقف قبل رأس المدعو له ولا يطأ القبر .

وأن يقول عند الغم : ﴿ **لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين** ﴾(٥)

---

* **وذلك مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا ﴾** [المجادلة : ١١] .

(١) **أخرج أحمد نحوه ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى ، كتاب الأدب ، باب افسحوا يفسح الله لكم (٦٠/٨) .**

(٢) **ذكره المتقى الهندى فى كنز العمال ، وعزاه للخطيب البغدادى عن على ، حديث رقم (٢٥٣٧٧) (١٣٦/٩) .**

(٣) أخرجه الديلمى فى الفردوس ، حديث رقم (٥٦٨١) ، (٥٣٩/٣) .

(٤) أخرجه البزار وإسناده جيد ، وأحمد ورجاله رجال الصحيح انظر مجمع الزوائد للهيثمى ، (١١٤/١٠) .

(٥) الأنبياء : ٨٧ ، والآية هى دعاء سيدنا يونس وهو فى بطن الحوت .

وعند الخوف : « **حسبى الله ونعم الوكيل * لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا** »[1] وعند خوف المكروه : ﴿ **وأفوض أمرى إلى الله** ﴾[2].

وخوف الشرك : اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك »[3] وعلى داخل الحمام أن يكون بمئزر فإن تركه ولو فى خلوة كره . ويكره أن يمكن البلان[4] من ذلك بدنه ولو غير سرته وتحت إزار ؛ فإن خاف فتنة حرم مطلقاً .

ونهى المصطفى - ﷺ - عن دخول الحمام للنساء لا مريضة أو نفساء وخبر : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلتهالحمام** » **مؤول أو للزجر والتنفير**[5].

ويكره أن ينام على سطح غير مهجور ، والمشى بين امرأتين ومشى امرأة وسط طريق .

ويسن للمسافرين أن يكونوا ثلاثة ، وأن يُعَرّسوا ليلا ولا يصحبوا كلبا ولا جَرَساً .

قال المصطفى - ﷺ - : « **الراكب شيطان** »[6] الحديث . وقال : « **إذا عرسْتم**[7] **بالليل فاجتنبوا الطريق** »[8] وقال : **لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا**

---

(١) ذكر المتقى الهندى نحوه فى كنز العمال ، حديث رقم (٣٤٤٥) (١٢٥/٢) .

(٢) غافر : ٤٤ ومعنى الآية أى أتوكل على الله وأستعينه . ابن كثير (٨٧/٤) .

(٣) رواه أبو يعلى من رواية ليث بن أبى سليم عن أبى محمد عن حذيفة وليث مدلس ، انظر مجمع الزوائد (٢٢٤/١٠) .

(٤) البلان : من يخدم فى الحمام .

(٥) سبق تخريج الأحاديث الخاصة بتحريم دخول النساء الحمام .

(٦) أخرجه مالك فى الموطأ وتمامه « والراكبان شيطانان والثلاثة ركب » ، وذلك فى كتاب الإستئذان ، باب ما جاء فى الوحدة فى السفر للرجال والنساء ، (٩٧٨/٢) و« الراكب » أى الواحد « شيطان » أى بعيد عن الخير فى الأنس والرفق ، وقال ابن قتيبة : بمعنى أن الشيطان يطمع فى الواحد كما يطمع فيه اللص والسبع (والراكبان شيطانان) لأن كلا منهما متعرض لذلك ؛ سيما بذلك لأن كل واحد من القبيلين يسلك سبيل الشيطان فى اختياره الوحدة فى السفر (والثلاثة ركب) لزوال الوحشة وحصول الأنس وانقطاع الأطماع عنهم .

(٧) **عَرّسوا : نزلوا آخر الليل للراحة .**

(٨) روى البزار والطبرانى نحوه موقوفاً ، وفيه محمد بن أبى نعيم وثقه أبو حاتم الرازى وابن حبان وضعفه ابن معين ، انظر مجمع الزوائد (٢٥٧/٥) .

جرس »[1] وأن يدعو بالمأثور إذا أراد العود وأن يستصحب ما يرغب فيه فى البلد والبيت ولو تمراً وزبيبا ، ولا يطرق أهله ليلا ، ويبدأ بالمسجد فيصلى فيه ركعتين ، ويجلس مع الناس ويندب صلاة ركعتين لكل نازل ومنزل وعائد إلى وطن ولو من الدرس .

ولمريد الوطء ألا يقربها إلا وهما متطهران وأن يقول : » اللهم جنبنا الشيطان »[2] الحديث ولا يقربها إلا قدر ما يحتاج إليه ولا ينظر إلى فرجها كعكسه وكره وطء حامل وإذا قصد أن يكون عند الحاجة وفى النصف الآخر من الشهر ويجوز فى الأول لخبر فيه[3].

والله الموفق والهادى للصواب .

تم هذا الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه فى سابع عشر من شهر صفر الخير سنة ١٠٣٥ هـ .

وحسبنا الله ونعم الوكيل

وصلى الله على من لا نبى بعده وآله وسلم .

---

(١) أخرجه مسلم ، حديث رقم (١٠٣) (١٦٧٢/٣) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) لم أعثر عليه .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥
مع المؤلف	٧
هذا الكتاب	٩
صورة المخطوط	١١
مقدمة المصنف	١٥
فصل : الأكل سبع مراتب	٢٣
المقصد الأول : فى آداب الأكل	٢٧
الفصل الأول : فيما لابد للآكل من رعايته	٢٧
الفصل الثانى : فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة فى الأكل	٣٩
الفصل الثالث : فى آداب تقديم الطعام إلى الإخوان	٤١
الفصل الرابع : فى آداب الضيافة	٤٨
الفصل الخامس : فى آداب ومناهى منثورة	٦٢
الباب الثانى : فى آداب الأكل الطبية المتلقاه عن علماء الطب	٦٩
المقصد الثانى : فى آداب الشرب الشرعية والطبية	٧٤
المقصد الثالث : فى آداب اللباس	٨٠
المقصد الرابع : فى آداب الجماع	٨٧
فصل : فى أسباب ضعفه وعلاجه	٩٢
فصل : فى المفردات المضعفة للباه	٩٦
فصل : فى أسباب قوة الباه	٩٧
المقصد الخامس : فى آداب النوم الشرعية والطبية	٩٩
المقصد السادس : فى آداب الحمام الشرعية والطبية	١١٠
المقصد السابع : فى معاشرة النساء والنظر فيما على الزوجة	١١٤
فصل : فى ذكر عادات النساء	١٢٤

المقصد الثامن : فى القيام بحقوق الناس وصحبة الأهل والأقارب
والجيران وآداب معاشرة الخلان ١٢٧
المقصد التاسع : فى تربية الأولاد وآداب ذلك الشرعية والحكمية ١٤٤
المقصد العاشر : فى جمع جوامع الآداب ١٥١

رقم الإيداع ٩٢/٧٥٢٦

وكلاء التوزيع

السعودية

مكتبة الساعي

الرياض : ت ٤٣٥٣٧٦٨ فاكس ٤٣٥٥٩٤٥ فرع جدة ت ٦٥٣٢٠٨٩
القصيم - بريدة : ت ٣٢٣١٤٣٤ - المدينة المنورة - ت ٨٢٤٢٧٧٥
ص.ب : ٥٠٦٤٩ - ١١٥٣٣ الرياض

كنوز المعرفة

جدة ت ٦٥١٠٤٢١ فاكس ٦٤٤٢٢٧٣ ص.ب : ٣٠٧٤٦ جدة ٢١٤٨٧

المغرب

دار المعرفة

40 شارع فيكتور هيكو - الدار البيضاء
ص.ب : 4150 ☎ 300567 - 309520

المكتبة السلفية

12 حي الداخلة - زنقة الإمام القسطلاني - الدار البيضاء
☎ 307643

الإمارات

دار الفضيلة

دبي - ديرة - ص.ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦

البحرين

دار الحكمة

ص.ب : ٢٣٨٧٥ هاتف ٣٣٦٠٣٢

جميع الحقوق محفوظة للناشر